

الدكتور محمد بن عبود

التاريخ السياسي والاجتماعي لاشيية

في عهد

دول الطوائف

مطبعة

جانب ساحة ورزازة

سفيروا بعبت من مطبعة جامعة

التاريخ لما وقع في التاريخ حقيقا ما يريح اسم

من أهم وجهات في فقهنا به انكلمنا انظر من كتابه

وهو انصب لنا ريبا في هذا صنفه كل من جهة الله وانه ربه

على حسب كل من جهة الله في هذا صنفه كل من جهة الله وانه

بما هو من اوله في حق كواكب ربه في التاريخ والتاريخ في كل من جهة الله

في كل من جهة الله في التاريخ والتاريخ في كل من جهة الله

التاريخ في كل من جهة الله في التاريخ والتاريخ في كل من جهة الله

بما هو من اوله في حق كواكب ربه في التاريخ والتاريخ في كل من جهة الله

في كل من جهة الله في التاريخ والتاريخ في كل من جهة الله

التاريخ في كل من جهة الله في التاريخ والتاريخ في كل من جهة الله

بما هو من اوله في حق كواكب ربه في التاريخ والتاريخ في كل من جهة الله

في كل من جهة الله في التاريخ والتاريخ في كل من جهة الله

التاريخ في كل من جهة الله في التاريخ والتاريخ في كل من جهة الله

بما هو من اوله في حق كواكب ربه في التاريخ والتاريخ في كل من جهة الله

في كل من جهة الله في التاريخ والتاريخ في كل من جهة الله

التاريخ في كل من جهة الله في التاريخ والتاريخ في كل من جهة الله

بما هو من اوله في حق كواكب ربه في التاريخ والتاريخ في كل من جهة الله

في كل من جهة الله في التاريخ والتاريخ في كل من جهة الله

التاريخ في كل من جهة الله في التاريخ والتاريخ في كل من جهة الله

بما هو من اوله في حق كواكب ربه في التاريخ والتاريخ في كل من جهة الله

في كل من جهة الله في التاريخ والتاريخ في كل من جهة الله

التاريخ في كل من جهة الله في التاريخ والتاريخ في كل من جهة الله

بما هو من اوله في حق كواكب ربه في التاريخ والتاريخ في كل من جهة الله

في كل من جهة الله في التاريخ والتاريخ في كل من جهة الله

التاريخ في كل من جهة الله في التاريخ والتاريخ في كل من جهة الله

بما هو من اوله في حق كواكب ربه في التاريخ والتاريخ في كل من جهة الله

في كل من جهة الله في التاريخ والتاريخ في كل من جهة الله

التاريخ في كل من جهة الله في التاريخ والتاريخ في كل من جهة الله

تجارتنا المغربية

1983

تحت اشراف المعهد الجامعي للبحث العلمي



خطط وجهه الكتاب : الامتاذ المنصور العلالى



التاريخ السياسي والاجتماعي لاشبيلية
في عهد دول الطوائف
(414 هـ / 1023 م - 484 هـ / 1091 م)

Handwritten text, likely bleed-through from the reverse side of the page. The text is illegible due to blurriness and low contrast.

الدكتور محمد ابن عبود

التاريخ السياسي والاجتماعي
لاشبيلىة
في عهد دول الطوائف

مطبعة - دار النشر - تونس

تطوان

1988

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

مطابع الشوبخ «ديسبريس» - نطوان

الإهداء

إلى ذكري أبي السني وهب حياته من
أجل استقلال وطنه وإلى أمي التي عملت
الأعباء بعده بشجاعة وصبر وحكمة .

محتوى الكتاب

- ج - محتوى الكتاب
- ح - لائحة اختزال العناوين
- م - شكر
- ف - تقديم الأستاذ ولهم موفتهومري واط
- 5 - المقدمة

الفصل الاول

دولة بني عباد : تحليل لقيام دولتهم وسقوطها

I - القاضي محمد بن إسماعيل بن عباد

(414 هـ / 1028 م . - 438 هـ / 1041 م)

- 25 (1) الاحوال العامة في الاندلس قبل مجيء بني عباد
- 44 (2) قيام القاضي بن عباد بإشبيلية
- 68 (3) تدعيم سلطة القاضي بن عباد

II - المعتضد بن محمد بن عباد

(493 هـ / 1041 م - 461 هـ / 1068 م)

- 65 (1) ظروف خلافة المعتضد لابيه وأساليبه في الاحتفاظ بالحكم
- 69 (2) انفاذ المعتضد للعنف سلاحاً

III - المعتمد محمد بن عباد بن عباد

(461 هـ / 1068 م - 484 هـ / 1091 م)

- 64 (1) خلافة المعتمد لابيه
- 66 (2) الاسباب الخارجية والداخلية لضياح سلطة المعتمد

الفصل الثاني

الحكومة والادارة في دولة إشبيلية الطائفية

I - النظام السياسي الاشبيلي

- 79 (1) مفهوم الدولة الطائفية كنظام سياسي
- 79 (أ) تحديد المفهوم
- 81 (ب) مصانة الدولة الطائفية في التاريخ الاندلسي
- 86 (2) السلطة داخل النظام السياسي: الحاكم والمحكوم في إطار النظام
- 90 (3) العاجب وفو الوزارتين
- 99 (4) الحكائب

- 108 (6) صاحب الشرطة والوالي والعامل
110 (6) طبيعة الدعاية الرسمية ودورها
111 (7) الضائقة

II - الجيش الاشبيلي

- 114 (1) تركيب الجيش الاشبيلي ومناصره السلالية
122 (2) تنظيم الجيش الاشبيلي

III - المؤسسات الدينية والثقافية

- (1) المذهب المالكي بالاندلس
127 (أ) الاسس السياسية والاجتماعية للمذهب المالكي بالاندلس
134 (ب) المذهب المالكي. قواعده الاساسية وخصائصه العامة
139 (2) العدل في إشبيلية على عهد بني صباد
(أ) الاصل الاجتماعي لفقهاء إشبيلية وخصائرها
154 (ب) تسهير القضاء: القاضي ومساعدوه

الفصل الثالث

الحياة الاقتصادية والاجتماعية في إشبيلية

I - الاقتصاد الاشبيلي

- 162 (1) إشبيلية وموارد الاندلس
168 (2) الاقتصاد الحضري في إشبيلية

II - التركيب الاجتماعي

1) التنضيد الاجتماعي والعرقية 176

2) الخاصة 181

3) العامة : الطبقتان الوسطى والسفلى 187

III - التغيير الاجتماعي والاستقرار

1) العائلة والعلاقات الشخصية 192

2) المؤسسات الاجتماعية : المسجد والشوق 197

3) النزاعات الاجتماعية وعدم الاستقرار 209

4) الاستنتاج : التكامل الاجتماعي 214

الفصل الرابع

السياسة الخارجية الاشبيلية

I - المراحل التاريخية التي قطعتها اشبيلية على عهد بني عباد 217

II - أهداف السياسة الخارجية 223

III - دور الحرب في سياسة اشبيلية الخارجية 222

1) الحملات العسكرية التخريبية 233

2) الحروب التوسعية التقليدية 236

- (3) الحروب الدفاعية: العلاقات مع قشتالة والمغرب .
أ - انعكاسات سقوط طلمطلة على إشبيلية . 250
ب - معركة الزلاقة وأثارها على إشبيلية . 251
(4) الخاتمة: فشل سياسة إشبيلية الخارجية

المصادر والمراجع

- (1) لائحة المصادر 271
(2) لائحة المراجع العربية 279
(3) لائحة المراجع باللغة الاجنبية 283
(4) تعريب لائحة المراجع الاجنبية 302
(5) الفهرس 318

اختزال العناوين

- « أعمال الاسلام » . . . « أعمال الاعلام في من يبيع قبل الاحتلال من ملوك الاسلام » لابن الخطيب
- « اعتبارات » . . . « اعتبارات من عهد ملوك الطوائف » للمفتون حسين مؤنس
- « الاحاطة » . . . « الاحاطة في أخبار فرغانة » لابن الخطيب
- « البيان المغرب » . . . « البيان المغرب في أخبار ملوك الاندلس والمغرب » لابن عدي
- « العلة السراء » . . . « العلة السراء » لابن الأبار
- « العلل الموشية » . . . « العلل الموشية في ذكر الاخبار المراهضية » لمؤلف أندلسي مجهول
- « الذخيرة » . . . « الذخيرة في معاني أهل الجزيرة » لابن بسام
- « الروض المطار » . . . « كتاب الروض المطار في خبر الامصار » للصبيحي
- « المعجب » . . . « المعجب في تلخيص أخبار المغرب » للمراشقي

- « الكامل في التاريخ » . « الكامل في التاريخ » لابن الأثير .
- « المسالك والممالك » . « المسالك والممالك » للبهري .
- « المقدمة » . « المقدمة » ابن خلدون .
- « المغرب في حلى المغرب » . « المغرب في حلى المغرب » لابن سعيد .
- « أول تاريخ عام » . « أول تاريخ عام لابانها » لأفونسو الماسر وسانشو الرابع .
- « بقية المقتبيين » . « بقية المقتبيين في تاريخ رجال الاندلس » للضبي .
- « تاريخ روهريكي » . « تاريخ روهريكي » لبطران روهريكي .
- « تذكرة ابن حمدون » . « تذكرة ابن حمدون السياسية والادب الملطبة » لابن حمدون .
- « تاريخ بني هباد » . « تاريخ بني هباد » لهوزي .
- « ترتيب المدارك » . « ترتيب المدارك وتقرير المسالك لمعرفة اعلام ملطبة ملك » للقاضي هباش .
- « جذوة المقتبيين » . « جذوة المقتبيين في حصر ولات الاندلس » للحميدي .
- « خريدة القصر » . « خريدة القصر وجميدة اهل مصر » للاصنعاني .

- « ديوان ابن حديد » . . . « ديوان ابن حديد » لابن حديد .
- « ديوان زيدون » . . . « ديوان ابن زيدون » لابن زيدون .
- « دول الطوائف » . . . « دول الطوائف » لعبد عبد الله عثمان .
- « رسالة في القضاء » . . . « رسالة في القضاء والحكمة » لابن زيدون .
- « سراج الملوك » . . . « سراج الملوك » للطروش .
- « صبح الاعشى » . . . « صبح الاعشى في صناعة الانشاء »
التفشيدي .
- « طوق الحمامة » . . . « طوق الحمامة في الالف والالف »
لابن حزم .
- « فلاذ المقيان » . . . « فلاذ المقيان في محاسن الاعيان »
لابن خالان .
- « كتاب الاكتفاء » . . . « كتاب الاكتفاء » لابن الكردوس .
- « كتاب الثبيان » . . . « كتاب الثبيان » لعمد الله بن رلقين .
- « كتاب حسن التوسل » . . . « كتاب حسن التوسل إلى صناعة
التوسل » للحلي .
- « كتاب الدياج » . . . « كتاب الدياج المذهب في معرفة
أهوان المذهب » لابن فرحون .

- كتاب الصلاة •
- كتاب الصلاة في تاريخ ائمة الاندلس
وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدواتهم •
لابن بشكروال •
- كتاب العبر •
- كتاب المير ودهوان المبتدأ والخبر
في أيام العرب والبربر • لابن خلدون
- ملحمة السيد •
- ملحمة السيد • فرودوقوديهات السيد •
- نقط العروس •
- نقط العروس • لابن حزم •
- نهاية الارب •
- نهاية الارب في فنون الادب • للنويري •
- وفيات الاهيان •
- وفيات الاهيان في أنيا الزمان •
لابن خلدون •

ABBREVIATIONS OF JOURNALS

<u>A. A.</u>	<u>Al - Andalus</u>
<u>A. E. M.</u>	<u>Anuario de Estudios Medievales</u>
<u>A. E. S. O.</u>	<u>Annales: Economies, Sociétés, Civilisations</u>
<u>A. H. R.</u>	<u>American Historical Review</u>
<u>B. H. S.</u>	<u>Bulletin of Hispanic Studies</u>
<u>C. H. E.</u>	<u>Cuadernos de Historia de España</u>
<u>C. H. M.</u>	<u>Cahiers d'Histiore Mondiale (Journal of World History)</u>
<u>C. S. S. H.</u>	<u>Comparative Studies in Society and History</u>
<u>E. I. 1</u>	<u>Encyclopedia of Islam, first edition.</u>
<u>E. I. 2</u>	<u>Encyclopedia of Islam, second edition.</u>
<u>E. O.</u>	<u>Estudios Orientales</u>
<u>H. T.</u>	<u>Hespéris - Tamuda</u>
<u>J. R. A. S.</u>	<u>The Journal of the Royal Asia- tic Society</u>
<u>M. A.</u>	<u>Moyen Age</u>
<u>M. C. V.</u>	<u>Mélangé de la Casa Velasquez</u>
<u>P. P.</u>	<u>Past and Present</u>
<u>R. E. I.</u>	<u>Revue des Etudes Islamiques</u>
<u>R. H.</u>	<u>Revue Historique</u>
<u>R. I. E. E. I. M.</u>	<u>Revista del Instituto Egipcio de Estudios Islamicos en Madrid.</u>
<u>R. O.</u>	<u>Revista de Occidente</u>
<u>R. O. M. M.</u>	<u>Revue de l'Occident Musulman et de la Méditerranée</u>
<u>S. I.</u>	<u>Studia Islamica</u>
<u>T.</u>	<u>Tradition</u>

شكر

إني أحزن بالشكر المبهق لاسمي الحاج محمد أحمد بن عبود الذي مكنتني
حنانيته ومساعدته بصنفته وصبا علي طول الحياة من إنعاش هذه الأطروحة . كما
أنتقدم بخالص شكري وامتناني للمدثرين عليها وهما الأستاذ الدكتور وادم
مونتوموي واطم والدكتور مايكل ما هديواند . لقد كان الأستاذ واطم خلال
سنوات تعري الأطروحة متصرا ملها وخبر معين لي وإني لارى فيه المثال
الذي يجب أن يقتدي به كل باحث .

أما مساهمة الدكتور ماهدونالد المباشرة في إنجازي لهذه الأطروحة فقد
جسلا لا أستطيع رده وأريد أن أشكره بصفة خاصة على شعوره الفريد
بالمسؤولية المعنية . كما أريد أن أشكر الأستاذ ج. ريت والشقي أفاندي
إنادة تامة في ميدان المنهجية التاريخية .

وأنتقدم كذلك بالشكر الجزيل للأستاذ محمد بن تاويت والأستاذ الحسن
بن عبد الوهاب وصهري الأستاذ عبد اللطيف الخطيب ولصديقي الدكتور
أنهوس ماضي على مدمم يد المساعدة لي وإعارتهم لي كتبهم الشخصية .
كما أتوه بمساعدة زغلامي في قسم الدراسات الدينية والإسلامية بجامعة
إديره وهم الدكتور خالد العلوي من باهستان وعبد الرحيم علي من السودان
ومحمد الهدلق من السمرية وباسون سيلان من تركيا وكريس فبرارد من
اسهوتلاندا كما أشكر الأخوان الأخرين في القسم الذي ربطتني بهم علاقة
الصدقة والودعة .

ولا يسفني إلا أن أتوجه بالشكر إلى الأئمة إيرين كروفارد ، حكاية
القسم . على تقوعها ضرب قسده الأطروحة على الآلة السكانية تحت ضغوط
شادة وهكذا على طيبوتها حرت جعلت من القسم مكانا يشعر كل من يعمل

فيه والسعادة والثبات . وأريد أن أشكر موظفي مكتبة أدبها الجامعة عامة والآنسة مارغريط داواين المكاتبة بقلم إعادة الكتب من المكتبات الأخرى .
كما أشكر الأستاذ عبد الرحمن القاسمي مدير المكتبة المأهولة سابقا بالرباط الذي منحني ميكروفيلم لتسختين من القسم الثاني من «خبرة» ابن بسام . وأخيرا أشكر زوجتي لما قدمته لي من مساعدة وفضيحة خلال المدة التي قضتها معي في إدنبرة .

أما عملية نقل هذا الكتاب من المانة الإنجليزية إلى العربية فلقد أجهزت نتيجة مساعدة ثبينة قدمها لي بعض الأصدقاء والأقارب في أوقات فراغهم فبعد قيامي بتعريب الأطروحة التي كتبتها في الأصل بالإنجليزية ثم قمتها في جامعة إدنبرة للحصول على درجة الدكتوراه (Ph.D.) سنة 1978، كان من الضروري أن أحصل على مساعدة من تمنح بتكوين عربي مثين لتعريب الأسلوب وتقرينه إلى القارئ العربي، وأريد بهذه المناسبة أن أشكر الأخوة الأساتذة إبراهيم الطيب وعبد اللطيف الناصري وعبد المزور السعوي لمراجعتهم فصول الكتاب المختلفة، كما أشكر صبري الاستاذ عبد اللطيف الطيب الذي قرأ الكتاب جملة فزاد أسلوبه تهذيباً مقرباً إليه إلى العربية الفصحى . فشكل هؤلاء أقدم شعري المبدع ليس فقط على مساهماتهم المذمورة وإنما على اهتمامهم الفصلي أكثر ولو بكيفية غير مباشرة على أن اللغة العربية قادرة على القيام بدورها الثقافي في عالمنا العربي مع كل ما أصابه من تقدم تكنولوجيا وهيمنة وتغلغل اللغات الأوربية فيه . وأخيراً أشكر الأستاذة خديجة حرقات على مراجعتها الكتاب بعد طبعه ووضع لائحة الأخطاء والصواب . وهكذا وبفضل هذه المساعادات نتجت من نقل النص الإنجليزي الأصلي لهذا الكتاب إلى عربية محترمة ومقبولة وإن لم تلب رغبة أو شروط بعض فقهاء اللغة .

وأخيراً هناك بعض الملاحظات البسيطة عن النص العربي لهذا الكتاب تشجيلاً على القارئ . حوات الهوامش المتعلقة بالقسم الثاني من «خبرة» ابن بسام المخطوط إلى طبعة تحقيق الدكتور إحسان عباس .

وبما أن هذا الكتاب كان أطروحة في الأصل ، فإذ لم يهتم بالإشارة إلا إلى المصادر الأساسية، وبدلاً من الرجوع التي كتبت أوني تخصيمه لاعادة

المقدمة

لقد أخذ الدارسون المصريون بصفة عامة فترة دول الطوائف مأخذ السهولة، إذ كان اهتمامهم الكبير ينصب على فترة بني أمية على حساب القرن الهجري الخامس، فقد جرى تصوير عهد ملوك الطوائف إما استمراراً لعهد بني أمية الذي سبقه، أو مقدمة لعهد المرابطين الذي تلاه. ورغم أنه يحتمل كلا التأويلين فيجب تصور عهد الطوائف أولاً في نطاق مستقل ذي خصائص ينفرد بها عن غيره. لذا يجب تجنب الاغراء باعتبار القرن الخامس الهجري في الاندلس امتداداً لعهد بني أمية، على ما يجمع بين المهديين من رباط وهذا أمر صعب لأن المؤرخين الذين درسوا عهد الطوائف في الماضي كانوا في معظمهم يهتمون في المقام الأول بدولة بني أمية أو دولة المرابطين، فكانت مناهجهم ونظرائهم إلى تاريخ دول الطوائف مطبوعة بطابع خاص، الأمر الذي جعلنا بحاجة إلى منهج تاريخي يضع عهد الطوائف في المقدمة، فضلاً عن النظر إليه في سياقه العام.

يشكل القرن الهجري الخامس طغياناً مسجماً ليس فقط كفترة زمنية تعادل مئة سنة، وإنما كعهد تميز بانقسام الاندلس وانحلالها إلى دول طوائف

فقد كانت جبل القوي التي أدت الى بروز ظاهرة دول الطوائف قوي معاصرة وحديثة النمو رغم محافظتها الحتمية على مقومات من الماضي فمسرحة الاحداث خلال عهد الطوائف كان في نواحي عديدة شبيها بالذي كان عليه عهد بني أمية، اذ كانت الظروف الجغرافية والطبقية متطابقة، وكانت الاحوال الاجتماعية على درجة كبيرة من التشابه. سلاليا وثقافيا واقتصاديا، بل ان البنية نفسها لم تتغير تغيراً جذرياً. ورغم ذلك لم يتغير المناخ السياسي تغيراً أساسياً لا رجعة فيه. فقد كانت للبعد السياسي أهمية بالغة خلال عهد الطوائف بسبب غياب إطار سياسي شامل في الاندلس خلال القرن الخامس للهجرة وتأثر المشهد الاجتماعي والاقتصادي تأثراً مهولاً. ونتيجة لذلك فان أي فهم للقوى الاجتماعية والاقتصادية الكامنة وراء التغيرات والتقلبات التي عرف بها عهد الطوائف سيبقى ناقصاً ما لم نقيم الحالة السياسية تقييماً حقيقياً. فلم تكن القوى الاجتماعية متسيرة خلف مظهر سياسي، بل ان القوتين الاجتماعية والسياسية كانتا مندمجتين بحيث أصبح التمييز بينهما أمراً صعب المنال، وانحلال الاندلس خلال القرن الهجري الخامس يفترض أن الوحدات السياسية الاجتماعية الحديثة النمو مثل الدولة الطائفية تجب دراستها بطريقة منفردة لكي يتم إلقاء المزيد من الاضواء على التاريخ الاندلسي العام في الفترة المذكورة ولا يمكن اعتبار عهد الطوائف مرحلة انتقالية أو ظاهرة عابرة لان نفس النمط قد تكرر في حالتين، وانه لمن المشروع أن ننسأل: ألم تؤثر مقومات من عهد الطوائف الاول في القرن الخامس الهجري على العهدين الطائفيين الثاني والثالث اللذين نلنا حكم المرابطين ثم الموحيدين؟ ونتيجة لهذا فان فهماً أعمق لعهد الطوائف خلال القرن الخامس الهجري قد أمراً ملحقاً.

ويجب أن يكون حاضرًا لدينا عند دراستنا لتاريخ دولة إشبيلية الطائفية عنصر منهجي أساسي هو النظر إلى الأندلس في سياق زمني ومكاني عام فالنظر إلى القرن الخامس الهجري في حد ذاته طريقة ملائمة للإجابة على فقرة زكية معجزة لذا نفترض أن تاريخ القرن المذكور سيورث مستوية بين قرنين، فيمكن تصور تاريخ إشبيلية في عهد بني عباد داخل النطاق العام للأندلس التي يمكن أن يعتبر بدوره وحدة متفاعلة مع وحدات أكبر كالممالك المسيحية الشمالية، أو المغربيين وباختصار يجب أن نتصور إشبيلية خلال عهد بني عباد في آن واحد كنتاج الأندلس القرن الهجري الخامس وكجزء لا يتجزأ منها لقد ركزنا على التأثير الخارجي في إشبيلية ونحننا لم نعمل مساهمتها في التطورات العامة بالأندلس. إن نظرنا إلى إشبيلية كدولة طائفية تستجيب على الحكام والسكان الإشبيليين ونحن نلهم في النطاق الاقتصادي والاجتماعي العام فنحن لم نتجاهل دورهم كوحدة بشرية جماعية ساهمت في صناعة المصير الإشبيلي. لذلك فإن هدفنا هو خلق منهج متوازن وشامل لدراسة إشبيلية في عهد بني عباد

إن الانحاح على العديدين السياسي والاجتماعي في هذه الأطروحة ينتج عن اعتبارات عدة، هي عملية أكثر منها فلسفية. فيصرف النظر أولاً عن الأشعار العديدة التي وصلتنا من أندلس القرن الهجري الخامس فإن معظم المادة التاريخية لهذه الفترة هي أساساً مادة سياسية واجتماعية. ثم إن هذه الدراسة، فضلاً عن تركيزها على العديدين السياسي والاجتماعي، تتضم جميع العناصر الأخرى (كالعصرين الاقتصادي والقضائي) التي تمس أولها صلة بتاريخ إشبيلية القرن الخامس الهجري ونود في الختام أن تكون هذه الدراسة السياسية والاجتماعية حول إشبيلية نافعة للذين يدرسون هذا الموضوع مركزين على جوانب أخرى.

سنعالج في الفصل الاول من هذا الكتاب موضوع قيام وسقوط دولة بني صباد مع تحليل الاسباب الداخلية التي أدت الى نولي القاضي بن صباد الحكم في إشبيلية في سنة 414 هـ - 1023م وتوطيد المعتضد بن عباد لحكمه بين 423 هـ - 1041م و 461 هـ - 1068م. وانتشار وفوسع ثم سقوط الحكم على يد المعتد بن عباد سنة 484 هـ - 1091م. كما سنحلل في هذا الفصل أيضاً أهم الاحداث الداخلية في اشبيلية خلال عهد بني عباد.

ویدرس الفصل الثاني نظام اشبيلية السياسي ثم تنظيم وترتيب الجيش ونظام القضاء. وسنركز على النظام السياسي مع مقارنة خصائصه المختلفة بنظام دولة بني أمية الذي اتخذته اشبيلية نموذجاً لنظامها السياسي. وبعد توضيحنا في الفصل الاول للافراط الذي كانت تصنف به سلطة حكام بني صباد سنطرق في الفصل الثاني الى كيفية ممارسة الحاكم لسلطته في النظام السياسي حيث أنه شكل في الواقع أبرز مصدر للسلطة. أما القسم الذي نتطرق فيه للعدالة باشبيلية فسنعيطه باهتمام وافر لسببين

1) لكونه شكل أهم عنصر في مراقبة الحاكم أو على الأقل في حصر هيمنته داخل النظام ككل.

2) لاختلاف نهجنا في دراسة طبيعة المذهب المالكي وتأثيره في الاندلس خلال القرن الخامس الهجري من النهج الذي سلكه عامة الدارسين المهتمين بالتاريخ الاندلسي. فمؤلف هذا الكتاب لا يقبل مفهوم المذهب المالكي كما تصوره وكتب عنه معظم المؤرخين الفرنسيين والاسبانيين. فلقد كان مذهب مالك بن أنس في شكله ومضمونه منشعباً من حيث تطبيقه في الاندلس والمغرب وأحاء أخرى من العالم الاسلامي. والمقياس الذي

يجب اتخاذه عند مقارنة المذهب المالكي في الأندلس والمغرب هو مدى تشابه ملامحه الأساسية وخصائصه السطحية. فالشكل مشكل اختيار، والتفريق بين مذهب مالك في الأندلس والمغرب ليس مهما إلا إذا أمطينا الأولوية للاختلافات السطحية على حساب تشابههما الجوهرى .

لقد كانت الدراسات المتعلقة بالمجتمع الأندلسي وخاصة المجتمع الأشبيلي في القرن الهجري الخامس تعتمد في مادتها على الانتاج الأدبي (2) . إلا أننا اتخذنا في العمل الثالث نهجاً يرتكز على الجوانب السياسية والاجتماعية الخاصة. وكان مشكلنا الأساسي في هذا الفصل محاولتنا استغلال المصادر المحدودة في محاولة إبراز جوانب من المجتمع الأشبيلي تجلب اهتمام علماء الاجتماع ومنها التركيب الاجتماعي والحركية الاجتماعية .

وسنتطرق أخيراً في الفصل الرابع للعلاقات الخارجية بين أشبيلية والدول الطائفية الأخرى وقشتالة والمغرب . وخلافاً للفصل الأول الذي ركزنا فيه على فترة حكم حاكم على حدة فسكون معالجتنا لسياسة أشبيلية الخارجية معالجة شاملة حيث اعتبرناها جسماً متحماً ومتطوراً . وسنفرغ بعدها لمناقشة سياسة أشبيلية على المستوى النظري ثم نحلل تطورها في إطار الخلفية العامة للأندلس . كما سنحلل أهداف السياسة الخارجية المباشرة ونجاحها من جهة . وكذلك أهدافها البعيدة المدى وفشلها النهائي من جهة أخرى .

(2) فعلى سبيل المثال أنظر كتاب « الشعر الأندلسي المعبر بالثرية القصصى فى القرن الحادى عشر الميلادى : ملامحه العامة وقيمه الوثائقية » لعنرى بيريس : Henri Pérès , La poésie andalouse en arabe classique au XI^e siècle : ses aspects généraux et sa valeur documentaire, 2nd ed., Paris 1953 .
وانظر كتاب : صالح خالص ، « أشبيلية فى القرن الخامس الهجرى . » ، بيروت ، 1965 .

لقد اعتمدنا في هذا الكتاب بالدرجة الأولى على المصادر الأساسية في الحواشي. أما المراجع الثانوية فقد تجلبنا الاعتماد عليها، بصفة مباشرة، إلى أقصى درجة. ويرجع سبب هذا الاختيار المنهجي إلى نوعي الوقوع في فخ الوصول إلى افتراضات واستنتاجات خاطئة. ونرجو باهتمامنا الشبيه بالمطلق على المصادر الأساسية أن نكون البراهين المساندة لسائرنا متينة ومعللة. ومع ذلك فإن لاختيارنا هذا سلبيات من حيث أننا لا نشير إلى المراجع الثانوية التي لها أهميتها عند مناقشتنا لمشاكل أو نظريات معينة، علماً منا أن المتخصص اطلاقاً على محتوى المراجع الثانوية فيما يخص المواضيع التي نتطرق إليها، وأن بمستطاع القاري الرجوع إلى المصادر الثانوية المثبتة في البيبليوغرافيا

لقد اعتمدنا في هذا الكتاب على مجموعة واسعة من المصادر الأساسية بخلاف استعمالنا لها ويمكن تقسيم أنماطها على النحو التالي :

- 1 - التواريخ « العالمية » .
- 2 - المعاجم العامة للسيرة والبيبليوغرافيا .
- 3 - معاجم سير ومؤلفات الفقهاء ورجال الدين .
- 4 - مختارات أدبية .
- 5 - « الكرونيكاس » أو سجل الوقائع المسيحية والتواريخ الإسلامية .
- 6 - المؤلفات الجغرافية .
- 7 - المذكرات .
- 8 - المؤلفات الأدبية .
- 9 - رسائل في القضاء والحسبة .

(10) - مؤلفات أخرى في رتبة خاصة مثل مجموعات الامثال أو المؤلفات الجامعة .

(11) - مجموعات النقود والمآثر والنقوش والرسائل ووثائق أخرى .

إن مصادر دراسة تاريخ الغبيلية والاندلس في عهد دول الطوائف (القرن الخامس الهجري - الحادي عشر الميلادي) وفيرة إذا اعتبرنا أن فترة اهتمامنا تبدأ بأكثر من تسعة قرون . وبالرغم من أن المصادر لا نقيدها كثيراً في جوانب كثيرة من التاريخ الأشبيلي والاندلسي إلا أن فترة دول الطوائف فهناك حقيقة أخرى هي أن المصادر الموجودة لم تستغل بعمق علمية إلا على نطاق محدود جداً ، وذلك رغم تحقيقات قيمة لعدد من المصادر التاريخية الفريدة

ويمكن إبراز أهمية مصادر تاريخ الأندلس إبان القرن الهجري الخامس من خلال مقارنتها بمصادر بعض الفترات التاريخية الأخرى كمهد بني أمية . فنجد على سبيل المثال أن المؤرخين الأسبانيين والفرنسيين والعرب بذلوا مجهودات جبارة أسفرت عن دراسات ومقالات عديدة حول دولة بني أمية بالأندلس . ونلاحظ أن هناك خلافاً في التوازن بين قلة مصادر دولة بني أمية وفقر مضمونها من جهة . وكثرة الأبحاث والمقالات حول العهد المفكور من جهة أخرى . فإذا اعتبرنا مصادر الأندلس خلال القرن الخامس الهجري وجدنا أن مدها وقيمتها التاريخية يفوقان أهمية مصادر القرون الثلاثة التي سبقتها بل إن بعض مصادر الأندلس خلال القرن الخامس الهجري تفرد بصفات لم تتميز بها المصادر التي تناولت فترات أخرى من التاريخ الأندلسي . فمن أبرز من ترك لنا تراثاً يعكس فيه عصره بروح نقدية وتعمق في فهم

الأوضاع الاجتماعية والسياسية وأبعاد الاضطراب التي نتجت عن تطورها، نجد علي ابن حزم . ثم يمكن ذكر أبي مروان بن خلف بن حبان الذي أجمع المستشرقون على اعتباره أعظم مؤرخ أندلسي .

إن المصادر التي تناولت فترة دول الطوائف تشمل مؤلفات جمة في ميادين مختلفة . لذلك يجب على المؤرخ الذي يعتمد عليها أن يقوم بانتقاء دقيق مبني على أسس متينة وتقييم حذر يفرق بين الذي يبدو مزوراً وسطحياً وبين الذي يحتمل أن يكون أصيلاً هاماً . كما ينبغي عليه أن يستغل تلك المصادر بكيفية مختلفة نظراً لتنوعها ، ومما لا جدال فيه فإن القيمة الاخبارية للمصادر ككل ذات أهمية كبرى وذلك رغم الفراغ الموجود في مناطق وجوانب معينة فمن النواحي «العالمية» كتاب «الكامل في التاريخ» لابن الأثير الذي يحتوي على مجال تاريخي ضخم ويعتبر مرجعاً تكميلياً مفيداً . ومن المعاجم العامة للسيرة والبيولوجرافيا كتاب «وفيات الأعيان» لابن خلكان ، وهو مفيد في تحديد ترجمات الشخصيات التاريخية . أما معاجم سير ومؤلفات الفقهاء والعلماء فمنها «كتاب الصلة» لابن بشكوال و«ترتيب البدارك» للقاضي عياض . ولهذه الكتب إفادة خاصة في دراسة دور العلماء والفقهاء في بيئتهم الاجتماعية والسياسية . ومن المنتخبات الأدبية «قلائد العقيان» لابن خاقان و«الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة» لابن بسام . وللمختارين أهمية بالغة لتوفرهما على مختارات من الأشعار خلال القرن الخامس الهجري ولإبرازهما أهم الشخصيات الأدبية ونشاطها في الميدانين الاجتماعي والسياسي . ويمكن اعتبار «الذخيرة» أوثق مصدر تاريخي لدراسة أشبيلية والأندلس في عهد دول الطوائف لما يشتمل عليه من مختارات كثيرة من كتاب «المتين» لابن حبان .

ثم إن الكتب التاريخية ككتاب « البيان المغرب » لابن عذاري و« المعجب في تلخيص أخبار المغرب » للمراكشي تحتوي على معلومات مفصلة حول الحكم والاحداث الخ . . . ومن المؤلفات الجغرافية كتاب « المسالك والممالك » لليكري الذي عاش خلال اتقرب الهجري الخامس . ونجد من المذكرات مؤلفا وحيدا يرجع الى القرن الخامس الهجري هو كتاب « التبيات » للامير عبد الله بن بلقين الزهري والذي له قيمة تاريخية بالغة . ومن المؤلفات الادبية المفيدة الدواوين الشعرية كديوان ابن زيدون و« ديوان ابن حمديس » . ويقتضي الاضمار على الشعر كمصدر تاريخي كثيرا من الحذر ، بيد أن القيمة التاريخية المفيدة لشعر القرن الخامس الهجري تنشق من كونه يعكس الجو العام وعقلية الفئات الاجتماعية الأكثر امتيازاً . ومن الرسائل في الحسبة والقضاء تمرز دراسة في القضاء والحسبة ، لابن زيدون . وهي تصور لنا أحوال العدل في اشبيلية . ومن المؤلفات التي تأتي في رتبة خاصة « ري الاوام ومره السوام في نكت الخواص والعوام » للرجالي الذي يعكس عقلية وقيم المجتمع الاندلسي . و « نكت العروس » لابن حزم الذي يفيدنا بمعلومات دقيقة حول طبيعة حكم الاندلس . ومن الكتب الجامعة « نفع الطيب » للمقري . ونجد في الختام نقوشا ونقودا في كتاب « نقود ملوك الطوائف الاسبانيين » لجورج مايلز (Coins of the Spanish Mulúk at - Tawaif) وكتاب « نقوش عربية من اسبانيا ، ليفي بروفنسال (Inscriptions arabes d'Espagne) كما توجد مجموعة من الرسائل التي كتبها الحكام كالمعتمد بن عباد ويوسف بن تاشفين وألفونسو السادس . ثم هناك رسائل أخرى للادباء أمثال ابن زيدون وابن حزم . ونوجد بعض هذه الرسائل منقولة في مؤلفات كالكاتب التاريخية والمختارات الادبية والمؤلفات في البلاغة .

وتختلف درجة الاعتماد التي يمكن وضعها على المصادر لدراسة القرن الخامس الهجري . فبينما عاصر بعض المؤلفين أمثال عبد الله بن بليغ والبيكري وابن حزم وابن زهدون والحמיד وابن حبان عهد دول الطوائف عاش آخرون بعد هذه الفترة بقليل أو كثير . فقد كتب كل من ابن عبدون وابن بشكوال وابن بسام خلال القرنين الخامس والسادس للهجرة . كما أنتج بعض الكتاب أمثال ابن خلكان وابن عذاري خلال القرن الهجري السابع ، بينما كان إنتاج كل من ابن الخطيب وابن خلدون في القرن الثامن ، وحتى في فترة متأخرة كالقرن الهجري العاشر نجد الكتاب الضروري الجامع وهو « نفع الطيب » للمقري . ومع ذلك فإن تاريخ المؤلف ليس معيارا في حد ذاته لقيمة الكتاب من ذلك أن السبب الرئيسي لقيمة « نفع الطيب » بالنسبة لمن يدرس تاريخ الأندلس خلال القرن الهجري الخامس يرجع إلى كونه يقتبس كثيرا من مصادر سبقته وضاعت بأكملها أو فقدت أجزاء منها . وهناك خلاف حول تواريخ تأليف بعض الأعمال المنسوبة لمؤلفين مجهولين مثل كتاب « ملحمة السيد » (Poema de Mio Sid) ومع ذلك هناك كتب متأخرة لم تضبط تواريخ تأليفها مثل « الحلل الموشية » و « كتاب الاكتفاء » وملحمة السيد . إلا أنها تحتوي على بعض المعلومات المفصلة التي لا توجد في غيرها حول أحداث بالغة الأهمية في القرن الهجري الخامس . منها احتلال الفونسو السادس لطليطلة واحتلال « السيد » لبينسية .

ولقد ألفت بعض المصادر التي يعتمد عليها مشارقة لهم علم محدود بتاريخ الأندلس ومصادره . ومن الصدفة أننا نجد النص الكامل لرسالة ألفونسو السادس إلى يوسف بن تاشفين منقولا في كتاب يرجع إلى القرن الثامن

العجري حول الأسلوب والبلاغة وهو كتاب «حسن التوسل» للمؤلف المصري الحلبي. ولقد ألف بعض الكتاب تأليفهم عن التاريخ الأندلسي وهم بالمعنى حيث لم يتمكنوا من الوقوف على المصادر اللازمة. وهذا حال المراكشي، الأمر الذي يفسر سبب وقوعه في أغلاط متعددة في كتابه «المعجب».

وتكمن القيمة التاريخية لعدد من المصادر المتأخرة في كونها اقتبست أو نقلت عن مصادر سابقة ضاع بعضها ومن هذه المؤلفات كتاب «المتين» الذي هو عبارة عن تاريخ عهد ملوك الطوائف لمؤلف معاصر هو ابن حيان. فلقد كان أصل هذا الكتاب يتألف من ستين جزءاً، فضاعت (8)، ومع ذلك فقد نقل عدد من المؤرخين اقتباسات منه على نطاق واسع فرغم أن ابن بسام يركز أساساً على التقديم الأدبي والتعليق في كتاب «الذخيرة»، فإنه يقتبس كثيراً من ابن حيان فيما يخص المعلومات التاريخية، كما نجد اقتباسات من كتاب «المتين» في جل كتب المؤرخين المسلمين الذين يدرسون الأندلس خلال القرن العجري الخامس (4). وإن لم يكن هذا مكاناً مناسباً لتحليل مكانة ابن حيان كمؤرخ فنجد الإشارة إلى أن الاعتراف المطلق به من

(8) يذكر بروكلمان أن كتاب «المتين» كان يحتوي في الأصل على ستين جزءاً وكانت توجد بمكتبة تونس، إلا أنها فقدت (كارل بروكلمان، «تاريخ الأدب العربي» (C. Brockelmann, Geschichte der Arabischen Literatur, vol. I, p. 338).

(4) لقد اعتمد عدد من المؤلفين على كتاب «المتين» كما أخذ البعض اقتباسات منه ومن هذه المؤلفات ما يلي: «العلة السيرة» لابن الأبار و«البيان المغرب» لابن هذاري و«المغرب في حلى المغرب» لابن سميح و«نسخ الطب» للمصري. وتكمن هذه المجموعة التأثير الكبير الذي تركه كتاب «المتين» على عدد من المؤلفين خلال فترة تهاجر الخمسة عرون

طرف المتخصصين في الدراسات الاسبانية كأعظم مؤرخ أندلسي اعتراف له ما يبرره من خلال الاقتباسات التي وصلتنا من كتاب «الذخيرة» ، ومن المصادر التي اعتمدها في هذا الكتاب، كتاب «الذخيرة» لابن بسام وكتاب «النيبان» لعبد الله بن بلقين. أما «الذخيرة» فهي أهم المصادر لدراسة الأندلس في القرن الهجري الخامس (5). ونقدر أهمية القسمين الأول والرابع في كونهما يشتملان على أطراف منيرة حول الشعراء الذين كان لهم دور هام في تاريخ أشبيلية ومنهم ابن زبدون. كما يشمل القسمان روايات مهمة حول تاريخ بعض الدول الطائفية صقرطية وطلطيلة وأشبيلية. ومع هذا فإن القسم الثاني الذي يدرس الشخصيات الأدبية البارزة، في الغرب الأندلسي بما فيه أشبيلية هو القسم الذي لا يمكن الاستغناء عنه في دراسة تاريخ أشبيلية. والنقط التالية تثير أهمية هذا المصدر بالنسبة للمؤرخين لأشبيلية.

1) رغم أن الأهداف الأساسية من القسم الثاني من «الذخيرة» أهداف أدبية فإنه يظهرنا على سبيل أبرز الشخصيات السياسية الأندلسية في الغرب الأندلسي خلال عهد دول الطوائف ومنها حكام بني عباد وابن عمار والقاضي ابن الوليد الباجي الخ . . ويمكن من خلال المعلومات الجغرافية

(6) هناك دراسة نقدية لكتاب «الذخيرة» في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام وهي عبارة عن أطروحة لنهل الدكتوراه (ب.ب.]. ناصيف الذخيرة لابن بسام الشنتروني، دراسة نقدية أحقواها B. B. Nossif. La Dajira de Ibn Bassam al-Santariui. Estudio crítico de su contenido un published doctoral thesis. Madrid, 1962).
وتجب الإشارة إلى أن الإمتام الأساسي يقع بالدرجة الأولى على الطابع الأدبي في كتاب «الذخيرة» .

للشخصيات المختلفة المدروسة في القسم الثاني من «الذخيرة» . أخذ انطباع حي حول عقلية ومزاج وقيم وسلوك الساسة الاندلسيين في تلك الفترة . فبينما يشكل العدد الكبير من الشخصيات المدروسة مساهمة فعالة في تصورنا للمزاج العام الذي اتصفت به الاحوال السياسية في الاندلس فان ضم أبرز الشخصيات يلقي أضواء على مشاكل محددة . وتزداد القيمة الحقيقية لمثل هذه المعلومات عند ما نعتبر قلة المصادر الموثوق بها لدراسة فترة تبعد عنا بتسعة قرون . فنجد أن مؤرخ هذه الفترة يرحب بأية معلومات جديدة شريطة أن يكون واثقاً من صحتها وأصالتها .

8) يعطينا القسم الثاني أيضاً معلومات ثمينة بشأن أهم الاحداث التاريخية في شرق الاندلس خلال القرن الخامس الهجري ، منها سقوط اشبيلية في أيدي المرابطين أو حروب المعتضد بن عباد مع المظفر بن الاطلس .

9) مما يهتم به المؤرخ العصري بصفة خاصة أن ابن بسام قد عاصر بعض الاحداث التي يعالجها في القسم الثاني من «الذخيرة» . فكان له اتصال مباشر ببعض الشخصيات التي تناولها بالدرس . وما يكتسب أهمية بالغة في النهاية الطابع الموضوعي لما كتب ، ثم اعتماده على ابن حبان أعظم المؤرخين الاندلسيين .

ومن المسلم به أن مذكرات الامير عبد الله بن بلقين التي عنوانها كتاب «التبيان» مصدر فريد لدراسة الاندلس خلال القرن الهجري الخامس (6) .

(6) انظر في هذا الشأن تحليلاً نقدياً وترجمة الى الانجليزية مع تعالقي مفصلة «كتاب التبيان» دامين تونيك الطيبي ، «التبيان لعبد الله بن بلقين آخر أمير زهري في غرناطة» : A.T.Tibi, The Tabyan of Abdallah b. Buluggin, Last Zehri Amir of Granada un published Ph. D. thesis, Oxford, 1972 .

ولم يكن الأمير عبد الله شخصية معاصرة فقط، بل شارك في عدد من الأحداث التاريخية التي يناقشها. لقد ألف عبد الله كتابه في المغرب بعد احتلال يوسف بن ناشفين لدول الطوائف. ولذلك كان عبد الله مقلا فيما قاله عن يوسف، ولكنه استطاع أن يناقش تاريخ غرناطة وعلاقتها بالدول الطائفية الأخرى مثل اشبيلية بقرية ثامة. ولا ننحصر قيمة كتاب «التبيان» في كونه مصدراً مهماً للمعلومات، فعبد الله بن بلقين يقدم لنا أفهاره والدوافع الحفية وراء قراراته، بل انه يذهب إلى تحليل سلوك وعقلية خصومه أمثال وزير المعتمد بن عباد، ابن عمار، أو ألفونسو السادس. وينقل أحياناً اقتباسات من الشخصيات التي يشير اليها مثل رسل ألفونسو السادس، سيسناندو، دافديث وألفا فانبيث وبيدرو أنسوريث. وأخيراً فرغم اهتمام عبد الله أساساً لتاريخ غرناطة فإنه يناقش أبرز الأحداث التاريخية في القرن الخامس الهجري مثل احتلال ألفونسو السادس لطليطلة في سنة 478 هـ - 1086 م. ومعركة الزلاقة في سنة 479 هـ - 1086 م التي شارك فيها

وللمعلومات الواردة في المصادر المسيحية إسهام كبير في تكميل أو مطابقة أو معارضة المعلومات الواردة في المصادر الإسلامية أو العربية ويمكن المؤرخ من خلال اختلاف نظرة كل منها اختبار المادة ومعالجة المشاكل المختلفة بموضوعية أكثر، ومع الأسف الشديد فإن الوقائع التاريخية المسيحية (كرونيكاس) التي اهتمت بالقرن الحادي عشر الميلادي (الخامس الهجري) قليلة ولا يمكن استعمالها إلا في نطاق محدود. ولم تهتم هذه الأخيرة بالمجتمع الأندلسي الإسلامي في حد ذاته بل انحصرت ذكرها لهذا المجتمع في إطار علاقاته مع الخصام والقادة المسيحيين أمثال ألفونسو السادس و«السيد القنباطور» رودريغو ديثا، ولكن هناك روايتان تاريخيتان

مسيحيتان ذاتا أهمية خاصة وهما «تاريخ رودريكي» (Historia Roderici) و «السجل الأول للوقائع العامة الاسبانية» (Primera crónica general de España) باللغة الاسبانية القديمة يعتبر المصدر الأول السني كتب باللاتينية لمؤلف مجهول الاسم، أقدم رواية تاريخية مسيحية في اسبانيا (إذ يرجع تاريخها إلى حوالي القرن الثاني عشر الميلادي) وتنطرق لاحداث القرن الحادي عشر الميلادي ولقد نسب هذا العمل المطران اسمه رودريغو (Rodrigo). (7) أما الكتاب الثاني وهو أول رواية تاريخية باللغة الاسبانية فلقد جمعت بإذن من الملك الفونسو العاشر وتوبيع جمعها نعت رعاية الملك سانشو الرابع. ويمتاز المصدر الثاني بمعلومات طريفة كما يعتمد بدوره على كتاب «تاريخ رودريكي». (8) وللهذين المصدرين أهمية كبيرة في دراسة علاقات إشبيلية بالدول المسيحية، كما يعطينا معلومات وأخباراً مفصلة عن أهم أحداث القرن الحادي عشر الميلادي، منها احتلال الفونسو السادس لطلطلة ومعركة الزلاقة واحتلال السيد (El Cid) لبلسية.

وهناك كتاب «ملحمة السيد» (Poema de Mio Cid) أو (Cantar de Mio Cid) وهو من المصادر الاندلسية المعتمدة في دراسة القرن الحادي عشر الميلادي

(7) انظر تحليل لكتاب «تاريخ رودريكي» في كتاب رامون مينندث بيدال «اسبانيا على عهد السيد» : La España del Cid, vol. 2, Ramon Menendez Pidal, Madrid, 1929, pp. 901-105.
(8) حول هذا العمل انظر: الفونسو العاشر وسانشو الرابع «السجل الأول للوقائع العامة الاسبانية».

Alfonso X and Sancho IV, Primera crónica general de España, Madrid, 1958, vol. 1, pp. XV - LXXII, and vol. 2, pp. CXXXIX - CCLVIII.

بالرغم من الانتقادات العديدة التي وجهت لهذا المصدر بشأن أصالته التاريخية (9) . ورغم وجهة نظر المؤرخين القائلة بأن كتاب «ملحمة السيد» محدود الفائدة كمصدر تاريخي شأنه شأن أية ملحمة حيث يجب الاعتماد عليه بحذر، فإن هذا العمل يشير إلى عدد من الشخصيات التاريخية التي لا يشك في صحة وجودها التاريخي، كما أنه يعكس الروح العامة السائدة في قشتالة خلال القرن الحادي عشر الميلادي وعقلية القشتاليين المعاصرين له وذلك بعدة ووضوح كبيرين، بالإضافة إلى أن المعلومات الواردة في هذا الكتاب لا تعارض الارتسامات العامة التي يمكن استنباطها من المصادر التاريخية الموثوق بها .

إننا نجد في الملحمة صفي صفتين من خصائص قشتالة في القرن الحادي عشر الميلادي تبرزان بروزاً كاملاً وهما : الجشع المفرط للكسب (الجشع المفرط للكسب) .

من أدق التعليقات لكتاب « ملحمة السيد » تلك التي قام بها كولون سميت : (9) من أدق التعليقات لكتاب « ملحمة السيد » تلك التي قام بها كولون سميت :
 Colin Smith, Poema de Mio Cid, Oxford, 1972. ومع ذلك فلو كان المحقق هولدين سميت مطلعاً على اللغة العربية لتمكن من استعمال المصادر العربية ولاستطاع اتخاذ متبع أكثر موضوعية عند تحليله لأصالة الملحمة التاريخية في مقدمته ، فعلى سبيل المثال ؛ لا يناقش سميت في قسم من مقدمته يحمل عنوان « ملحمة وتاريخ » الروايات التاريخية حول عدد من الشخصيات الموجودة في الملحمة في المصادر العربية كالفخيرة لابن بسام و«كتاب الذهبان » لعبد الله بن بلقين و « العادل الموشة » لمؤلف أندلسي مجهول الاسم . وكاننت النتيجة ان لقبهم سميت كأصالة الملحمة كان ناقصاً ويتصف بهم التوازن مستفهم من

المادي والعنف المرؤسي (10) ونجد انه مكاسا بالغا لهذا العنف في المصادر التاريخية، وبالرغم من البعد المثالي السائد في الملحمة فإنها لا تعارض الواقع التاريخي لتلك الفترة لان الاندفاع القوي للكسب المادي التي تعكسه الملحمة كان عنصراً محركاً أساسياً وراء ديناميكية السيد وأتباعه (11) !

ومع ذلك فبدلاً من أن تمكس الملحمة هذا العنف وهذا الشره بكيفية فجأة فإنها اعتبرت داخل إطار الشرعية والمقداسة نظراً لمساندة الملك ألفونسو

(10) فملى سبيل المثال، تشير القوة من جملة خصائص السيد الباهرة كما يشير استعمال القوة ضد المسلمين واجباً خلقياً - أما العنف فكان حاضراً في وصف احتلال السيد لحصون مختلفة مثل كاستيجون (Castellan)، والكوتور (Alcocer) وأتيها (Ataca) وتيرير (Terrer) (ملحة السيد، Poema de Mio Cid, pp. 17 - 26) وكان يتمدد على العنف اللفظي في التمهيد عن الشهور الفياض للمشاركين في معاهدة أميري هاريون (نفس المصدر، صفحات 94 - 103) - بل وحتى السهوف التي يملؤها أصحاب السيد وصفت « بالسيف المذبة » (Espadas dulces • Tajadores) (نفس المصدر، ص 94) .

(11) فملى سبيل المثال، يقسم السيد عادة الفنائم المحصل عليها من المسلمين على رجاله في مناسبات ككالندفاع من بلنسية ضد ملك إشبيلية (ملحة السيد Poema de Mio Cid, pp. 40 - 41) ولقد حصل السيد على مساندة الملك القشتالي له من جديد بعد أن كان غاضباً عليه وذلك بمناسبة تقديم السيد هدايا للملك المذكور منها مائة خيل بعضها له بعد دقاه من بلنسية (نفس المصدر، صفحات 41 - 42) - وعند معاهدة أميري هاريون طلب السيد منهما إعادة السجن اللذين كان قد وهبهما إياهما والذان يعملان - اسم « هولادا » (Colada) و « تيزون » (Tizon) - حضا طلب منهما مبلغاً مالياً قدره ثلاثمائة مارك كان قد منحها لهما أيضاً - وأخيراً طلب المدالة لابنتيه اللتين أضر بهما الامهران (نفس المصدر، صفحات 94 - 97 - 98) .

السادس والكنيسة لهما. ومن هنا فرغم طرد الملك للسيد رودريغو ديثا في الآونة الأولى، فإنه أعجب به فيما بعد بل رحب به ودافع عنه كيطل (18) لقد شكلت العقيدة العميقة للسيد مصدر الإلهام خلال الاوقات المحرجة. وعلاوة على ذلك، ترك السيد زوجته وابنتيه في دير سان بيدرو دي كاردينا تحت رعاية الراهب دون سانشو عندما ففي. كما أن جيروم - الذي كان فرنسيا في فالب الظن والذي قاتل بجانب السيد - قد عين أسقفا على بلنسية عندما احتلها السيد (18).

ولهذا فإن كتاب «ملحة السيد» بشكل مصدر لا يمكن الاستغناء عنه عند مناقشة القوة الاجتماعية والتاريخية الاساسية وراء تطور مملكة قشتالة التي شرعت بعد سنة 478 هـ - 1085م. في نهج سياسة تهدف احتلال الاندلس برمتها كما أن دور الكنيسة الروحي قد سيطر في الملحمة. ولكن سلطة الملك كانت العنصر السياسي الموحد الذي لم يكن ليطلق الملحمة بد من الخفوع لقوته ونفوذه.

عند مناقشة القوة الاجتماعية والتاريخية الاساسية وراء تطور مملكة قشتالة التي شرعت بعد سنة 478 هـ - 1085م. في نهج سياسة تهدف احتلال الاندلس برمتها كما أن دور الكنيسة الروحي قد سيطر في الملحمة. ولكن سلطة الملك كانت العنصر السياسي الموحد الذي لم يكن ليطلق الملحمة بد من الخفوع لقوته ونفوذه.

(18) على سبيل المثال انظر الخطاب الانتاحي للملك خلال معاهدة أميري عاريون (نفس المصدر، ص 95).
(18) نفس المصدر، صفحات 9 - 11 - و 48 - 49.

الفصل الاول

دولة بني عباد: تحليل لقيام دولتهم وسقوطها

القاضي محمد بن اسماعيل بن عباد (1029/414 - 1041/433)

الاحوال العامة في الاندلس قبل مجيء بني عباد

لم يسبق في التاريخ لدولة ضاربة في الحضارة أن تفككت أو اصرها الداخلية وانقسم مقدها، سياسياً الى جزئيات مستقلة مثلما حصل في الاندلس خلال القرن الخامس الهجري (الخامس عشر الميلادي). ثم انه من النادر ان تتمكن كيانات سياسية صغيرة من المحافظة على استقلالها الذاتي طيلة المدة التي استطلعت دول الطوائف خلالها انفجار ذلك، وما تزال هذه الظاهرة تتسم بالغموض لان التاريخ الاندلسي خلال القرن الخامس للهجرة ما يزال بدوره بحاجة الى الكثير من البحث. ومن جراء ذلك ظهرت الضرورة الملحة للنظر الى فترة ملوك الطوائف نظرة جديدة فأخذ بالاعتبار الادق مدى تأثيرها في التاريخ الاندلسي كله.

لقد انحل النظام الاداري والسياسي العام بالاندلس خلال القرن الهجري الخامس فوصل أقصى درجات الانفصال وأبعد حدود اللامركزية. فبعد سقوط

دولة بني أمية فقدت قرطبة بصفة نهائية دورها الذي نهضت به ، كمركز استقطاب ، الى نهاية القرن الهجري الرابع ، فقد تحولت الاقاليم الاندلسية الى مناطق نفوذ شبه مستقلة ومنعزلة ، أي ما يعرف بدول طوائف ، فأصبحت النزعة الاقليمية هي النتيجة الحتمية التي قضت نهائياً على الخلافة بقرطبة المضطحة أوائل القرن الخامس الهجري . واستمرت هذه الاقليمية فأصبحت تشكل قالباً للاضطرابات السياسية التي زعزعت الاندلس طيلة ذلك القرن . فاللامركزية والاقليمية والتفرقة أصبحت عناصر أساسية ميزت وحددت فترة تاريخية اختلفت بظاهرة فريدة هي ظاهرة نمو دول الطوائف .

ان القوى المعقدة في الاندلس والتي كانت تتداخل أحياناً وتتصارع أطواراً أخرى قد فرضت نفسها بطرق متعددة وحسب ظروف مختلفة طيلة القرن الهجري الخامس الذي اتمتت خلاله العوامل المذهبية أهمية بالغة في صياغة التطورات السياسية بالاندلس .

ولقد كانت قوى الوعي الاسلامي الجماعي تنطلق كقوة فعل كلما حدث في الشمال تهديد مسيحي ذو أبعاد خطيرة . وبيدوا أول العناصر الاسلامية عند أبرزت اتجاهين متعارضين إذ حافظ ملوك الطوائف من جهة على مظاهرهم الاسلامية بقصد ابقاء صبغة شرعية على هيمنتهم واستئثارهم بأقاليم خلافة دولة بني أمية السابقة ، رغم عوامل الانفصال ، ثم المعارضة للاسلام التي نتجت عن تفككهم وقيام دولة الطوائف فيما بينهم . ومن أبرز الأمثلة في هذا الصدد الاستنجاد بيوسف بن تاشفين الذي قرره ملوك الطوائف وبرروه بأسس ودواع دينية ، رغم وجود أسباب مخالفة ولا صلة لها بالدين في المدينين القريب والبعيد ، الملاحظة سياسة ألفونسو السادس

لعدوانية بعد سنة 478 هـ / 1085 م (1). ولقد ميزت المصطلحات الاسلامية خطب ملوك الطوائف ورسائلهم . نشرًا وشعرًا . فعلى سبيل المثال نذكر أن جواب المعتمد بن عباد على رسالة أنفونسو كان مليحةً بصياغات دينية . كما تبدو تلك الخاصة بوضوح في مذكرات الامير عبد الله بن بلقين بن زيري . حاكم فرناطة ، مند ما يضيف مبررات اسلامية سندا لمعظم القرارات التي اتخذها ، بل انه يذهب الى الاستدلال بالقرآن وإيراد أسس ومرجعاً بديهما لتبرير مواقفه . واما يشير الى النزعة الدينية لدى ملوك الطوائف اختصارهم للالقاب كالمعتاد بدين الله والمعتمد على الله والمستعين بدين الله رغم أن ذلك الوجه الاسلامي الظاهر لملوك الطوائف كان يتناقض مع أعمالهم العديدة المعارضة للدين . الامر الذي يثبت سطحية الاحتمال الاول . ومن خلال انتقاد هذه الاصلال ورغم التأييد الداخلي والشعبي الذي كان يحظى به ملوك الطوائف فان حركة ثقافية قوية قد نمت واستطاعت أن تتخطى حتمهم في الحكم ، وذلك بواسطة تدعيم مطالبها بمبدأ الشرعية الاسلامية فقد ضمت هذه الحركة الثقافية المعارضة أفراداً ذوي مهن مختلفة ينتمون الى جميع أنحاء الاندلس ، جمع بينهم تنديدهم الصريح بملوك الطوائف وانصوائهم تحت ظل لواء واحد في سعيهم لتوحيد الاندلس . فبينما كان ملوك الطوائف يرغبون في المحافظة على الحالة التي وفرت الاستقرار اللازم لبقائهم كان متنازلوا الحركة الثقافية يستهدفون أحداث تغيير جذري للاندلس عن طريق ضم أقاليمها المشتتة وتوحيدها من جديد . ولقد كان التعبير عن السخط

(1) يأتي تعليق سباحة أنفونسو السادس تجاه دول الطوائف بهذا احتلال طليطلة سنة 478 هـ / 1085 م . بالتفصيل في الفصل الرابع من هذا الكتاب .

الشاعر بجري على عدة مستويات استوفيت زيارات القاضي أبي الوليد الباجي لابرز ملوك الطوائف ومحاولة اقتناعهم بمسالمة بعضهم لبعض وتوحيد الأندلس، وذلك إثر عودته من المشرق عام 428 هـ / 1034 م (2)، وكذلك الادانات البرة التي تبرز في منتخبات من كتاب التين لابي حيان، وكذلك أيضا في سخرية ابي حزم والجراحة وفي النضال الفعلي لمؤيدي يوسف بن تاشفين المخلصين كالقاضي بن سهل وباديس بن وروي أو القليبي (3). ولقد انعكست الادانة العامة لملوك الطوائف على الشعر النسياسي في تلك الفترة فأصبح ذلك الشعر بادائه وسهله اعلامية فعالة (4).

(3) أبو الحسن علي بن بسام الشنفرني، الفخيرة في حامين أهل الجزيرة، القسم 2، ج 1، تحقيق الدكتور إسمان عباس، ليبيا - تونس، 1998 هـ - 1978 م، صفحتي 96، 98 (بمع إصلا" معلومات مفصلة حول النصب الواردة في العوامش منذ ذكرها لأول مرة نستعمل اختصارات ترمز إليها هنا بذكرت من جديد).

(3) الأمير عبد الله بن بلقين بن زيري، كتاب التين، تحقيق إفرست ليفي بروتصال، القاهرة، 1965، صفحات 117 - 118، 148.

(4) ربما كان أشهر شعر مجاني يدين ملوك الطوائف الايات التالية من شعر أبي الحسين علي بن رشيق القيرواني:

«منا يزعموني في أرض أندلس» سماح مقتدر فيها ومعتد بها

ألقاب مملوكة في غير موطئها كالقمر يحمي انقلابا أصول الاسم لعلته

(أبو عبد عبد الواحد بن علي المواهشي، المسجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد الريان ومحمد العربي الملبلي، القاهرة، 1949، ص 70، أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد، كتاب رايات المبرزين ونمايات المميزين، ص 101، الذي

حفظه ونقله إلى الإسبانية أميليو غارسيا غومث تحت عنوان «El libro de las banderas de los campeones», ed. and trans. into Spanish by Emilio García Gómez, Madrid, 1942, p. 101.

ورغم مساهمة هذه الحركة في الانهيار النهائي لدول الطوائف ، فإن التقص في تنظيمها وصدورها عن فوازع وأغراض شخصية مكثت في طليمة العوامل التي مكنت المرابطين الأكثر نظاماً من قيادة الأندلس بعد اقتصرهم على ملوك الطوائف . وبالإضافة إلى ما سلف فإن المعارضة الثقافية مكثت منظمة تنظيمياً معنوياً أكثر مما كان تنظيمياً سياسياً .

ولقد برزت على المستوى الداخلي قوة وهي أخرى مند ما اجتمعت أو تصادمت أطراف عرقية مختلفة . فإن المجتمع الأندلسي المتعدد الاجناس والذي كان يتألف من العرب والبرابرة ، والصقالبة واللاتينيين قد اهتز وغدا أكثر حساسية خلال القرن الخامس الهجري المضطر فمع انتشار القلق الاجتماعي وفسو الاضطراب والعنف تشكلت التكتلات العرقية فأصبحت الوسيلة الوحيدة للحصول على الأمن وتقوية أسباب الدفاع . فرغم البعد السلالي وضرورته كعنصر في تحليل العلاقات بين ملوك الطوائف فإنه لا يجب تصويره كعامل قار مسيطر . ويمكن إثبات نهافت النظرة العرقية بإيراد أمثلة للتعايش السلمي بين دول الطوائف ، عربية وبربرية من جهة ، وبربرية وصقلبية من جهة ثانية ، وصقلبية وهربية من جهة أخرى . فعلى سبيل المثال نذكر أن إشبيلية تمتعت على عهد بني هبادة بعلاقات سلمية مع زعيم قرمونة ، محمد بن البرزالي ، بينما نجد الأمير عبد الله بن بلقين ، حاكم غرناطة ، يعبر عن عميق شكره للمعتمد الذي قدم له مساعدات في وقت الازمة وانعدام الاستقرار الداخلي (5) . كما ساهم التزاوج أيضاً في تمتين

(5) يثني الأمير عبد الله بن بلقين على المعتمد بن عباد حكماً ذكر اسمه ، مثلاً أنظر «كتاب البيان» ، ص. 62.

الولاء بين أعراق مختلفة . من ذلك زواج المعتضد بن عباد بنت مجاهد العامري ، أخت علي بن مجاهد ، حاكم دانية (8) . كما أن هناك أمثلة كثيرة للمواجهات العسكرية بين دول الطوائف الملتزمة إلى أصل عرقي متشابه ، الأمر الذي تبرزه النزاعات الداخلية بين العرب والبربر والصقالبة . وكمثال على الاصطدامات بين ملوك الطوائف المنتسبين إلى الأصل الواحد يمكن ذكر اصطدام المعتضد بابن جهور وقتال الأمير عبد الله بن بلقين لأخيه تميم ، أو تحالف محمد البرزالي والمعتضد ضد بربري آخر هو يحيى ابن جمود (7) . وسبق لقاسم بن جمود أن اصطدم بأخيه علي ثم بابن أخيه يحيى بن جمود (8) ويمكن القول في النهاية بأن التقسيم العرقي لسدول الطوائف . إذا ما تجاهلنا دور السكان الأصليين بالاندلس . كان ينتمي إلى الأصل العرقي لملوك الطوائف أنفسهم . ويتجاهل التنوع السلالي للسكان المحليين في تلك الدول .

(6) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الأبار القرطبي ، «الحلة السمرانية» ج 2 ص 48 .
 (7) أبو الحسن علي بن بسام الشنتري ، «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة» ، القسم 1 ج 2 . تحقيق إحصان عباس ، ليبيا - تونس ، 1998 هـ / 1978 م . ص 160 . «كتاب النيمان» صفحات 80 - 86 . أبو الحسن علي بن بسام الشنتري ، «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة» ، القسم 1 ج 1 . تحقيق الدكتور إحصان عباس ، ليبيا - تونس ، 1996 هـ / 1975 م . صفحات 216 - 218 .

(8) أبو العباس أحمد بن محمد بن عقاري المراكشي ، «البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس والخراب» ج 2 . تحقيق إفريست ليفي برونفصال ، باريس 1980 . صفحات 124 - 126 . 186 . 185 . «الذخيرة» ، القسم 1 ج 2 . صفحات 481 - 482 . 485 .

وقد كان الجشع الفردي والحرص على الكسب وإثارة المصلحة الشخصية عوامل تطفئ أحياناً على جميع الاعتبارات الأخرى في تقرير التطورات السياسية بين دول الطوائف. وداخل الدولة الواحدة منها أيضاً. فقد كان القرن الخامس الهجري عهداً جرى فيه استغلال النفوذ إلى درجة بعيدة فصار وسيلة لتصفية الحسابات والخلافات على مستوى الأفراد والدول معاً. وهكذا وجدت الطبوحات الشخصية تربة خصبة لنموها، فعنى إذا لم نعتبر أن الجيل الأول من ملوك الطوائف فرض سلطته على مختلف أقاليم دولة بني أمية بطريقة غير شرعية فإن هناك أمثلة عديدة لمغامرين ثاروا على ملوك الطوائف أنفسهم. فكتاب «التبيان» للامير عبد الله بن بلقين يسلط الضوء على هذا المشكل عند ما يعطينا أمثلة مفصلة للمتمردين أو القوي المتردة التي هددت وحدة فرناطة. لقد حاول أخو عبد الله، نعيم، الذي كان يحكم مالقة، احتلال أراضي فرناطة، فلما هزم عسكرياً، استمر في الإحاح على مطالبه لدى يوسف بن تاشفين حتى بعد معركة الزلاقة. وبعد أن هزم الامير عبد الله قائده المتمرد، ابن فاقناوت، أعدم مؤيديه أيضاً. وكان قائده على أرجونة وأنتقيرة، كسياب بن تميت، قد أشعل نار الفتنة بين المعتمد والامير عبد الله، حتى قمع هذا الأخير (10). أما الجالية اليهودية المرهقة بالضرائب في ايبوسنة فثارت بقيادة ابن ميمون، على عبد الله، إلى أن توصلت معه إلى إتفاق يتدخل مؤمل قائد عبد الله على حصن لوشة. وجماعة من أحبار اليهود (11).

(9) «كتاب التبيان» صفحات 90 - 95 - 108 - 107 - 112 .

(10) نفس المصدر، صفحات 95 - 100 .

(11) نفس المصدر، صفحات 180 - 182 .

لقد منيت ثورة مؤمل على عبد الله بالقتل ، فلما يتس من الحصول على مساندة يوسف اضطر الى الفرار (12) . أما نعمان ، وهو القائد الذي هزم مؤمل ، فقد التحق بصغوف جيش يوسف بعد معركة الزلاقة وقاد القوات المنتصرة خلال احتلاله لليوسنة وحصون أخرى في أراضي بغرب غرناطة (13) ولم يفشل ثمره فواد زفانة على عبد الله إلا بفضل العمل الحازم الذي نهض به عبد الله في الوقت المناسب (14) . وان مما يسامد كثيراً على استجلاء الامر شكوك عبد الله المفرطة في موظفيه الكبار وقواده بغرناطة ، وكذلك لجوؤه باستمرار الى اتخاذ التدابير الاحتياطية فقد ألقى على سبيل المثال منصب الوزير واعتبر كل موظف مسؤولاً لديه بصفة مباشرة (15) . ومن الذين ثاروا على المعتمد ، ابن رشيق ، ورفيقه وصديقه الحميم سابقاً ، ابن عمار (16) . وكانت الثورات على ملوك الطوائف هي القاعدة ، لا الاستثناء . فقليل منهم لم يتعرض لتمرد ثائر . غير أن الملاحظ بصورة غالبية هو أن القواد المحليين كانوا يتمتعون بنفوذ فعلي داخل نفوسهم . مع محافظتهم على ولاء شكلي لزاء ملوك الطوائف . وخالصة القول هي أن المصلحة الشخصية للثوار تستنبط من انعدام دوافع مذهبية جادة في تحريك أعمالهم ويمكن أن نلاحظ نفس الامر بالنسبة لملوك الطوائف خصوصاً إذا اعتبرنا

(12) نفس المصدر ، صفحات 184 - 188 .

(13) نفس المصدر ، صفحات 188 - 189 + 144 + 148 .

(14) نفس المصدر ، صفحات 188 - 189 .

(15) نفس المصدر ، ص . 86 .

(16) نفس المصدر ، صفحات 110 - 112 + 79 - 81 .

مناوشاتهم السخيفة ومحاولات بعضهم تخريب بعض ، فضلاً عن سياستهم
الداخلية التعسفية القائمة على الشطط والافراط في فرض الضرائب (17) .

أما كانت للعوامل الجغرافية دلالة ضئيلة في تحديد الاصطدامات
المسكوية بالاندلس ، خلافاً للشمال المسيحي حيث كانت أحوال الطقس
الباردة والغابات والجبال حواجز طبيعية تعوق الجيوش الاسلامية عن القيام
بعملات كعمليات المنصور بن أبي عامر إلا أن الاوضاع السياسية والاجتماعية
والاقتصادية أثرت كثيراً في تطور الاحداث خلال القرن الخامس للهجرة ،
وكذلك تدخل الافراد انطلاقاً من محض إرادتهم . ان الوجود الكامن لمجموعة
من القوى المتفاعلة التي تعاشت في انسجام أحياناً وصادمت في أطوار
أخرى قد تغيرت أنماطها بطرق مختلفة حسب تغير الظروف . ومن هنا نجد
التناقضات التي شكلت النمط الاساسي للنزعات السياسية بين دول الطوائف .
ومع ذلك فإن تضارب القوى المتناقضة وبروزها على المستوى السياسي خلال
القرن الهجري الخامس لا يشير الى تفكك طبيعي للمجتمع الاندلسي لانه
سبق لهذا المجتمع أن أثبت إلتحامه بفضل تفاعل ثقافي فريد مستمر .
فاستبداد بني أبي عامر قد أثار بتخصبه ردود فعل قوى خفية مختلفة
ومقهورة ، عززت الدفاع عن المصالح الضيقة للجماعات . واستغلال بني أبي
عامر للنفوذ حال دون أية محاولة إيجابية لانقاذ الهيكل السياسي المنهار
لدولة بني أمية . كما أن الخطر العنيف للنشاطات السياسية المشروعة في
مجتمع سبق له أن كان متسامحاً وبالغ التيسير كانت له نتيجة حتمية

(17) نفس المصدر ، ص . 108 .

بعيدة المدى في شكل انفجارات ضيقة وتقسيم نهائي للاندلس الى دويلات متعددة. وخلال الفترة الانتقالية لهيمنة دولة بني عامر كان دورهم الذي يبدو وحدويًا عند قيادتهم للاندلس قد تضائل أمام العواقب السلبية الناتجة في المدى البعيد عن خلق جميع القوى السياسية الموجودة بالاندلس. وقد كان الطابع التوسعي لدولة بني عامر ومظاهرها الشبه للامبرالية تعكس مظهرًا خارجيًا يتناقض مع الباطن الذي كان يخفي عناصر الضعف والتعفن.

ورغم أن بداية دولة بني عامر سجلت النهاية الفعلية لدولة بني أمية فإن المنزلة الشرعية والروحية لهذه الدولة استمر الاعتراف بها طيلة حكم بني أبي عامر، فقد كان حكامهم، فعلا، يديرون خلافة قرطبة باسم بني أمية. وبعد سقوط الناصر سليمان بن الحكم في سنة 407 هـ / 1016 م. اختفى هشام الثاني من المسرح السياسي ويتباهى انتهى الى الإبد دور الامويين كقوة مهمة للمحافظة على المركزية والالتحام. ويتفقدان هيمنتهم السياسية لم يردده صدى ماضيهم المجيد إلا حفنة من ملوك الطوائف ادعوا اكتشاف هشام الثاني. لقد أعقب وفاة الحكم المستنصر بالله في 2 صفر 536 هـ / 80 شتبر 976 م. دخول فترات مختلفة في الصراع من أجل الحكم فأدى ذلك الى اثاره عوامل عدة أدت الى الانهيار النهائي للخلافة الأموية بالاندلس. ويتحدث الامير عبد الله بن بلقين عن > . احماله (المنصور بن أبي عامر) لاهل الدولة الحكيمة، وتقصيمهم بالقتل . . . (18). ونتيجة لقتل المغيرة بن عبد الله الناصر، بعد وفاة أخيه الحكم، ضعفت معارضة مؤيدي القائدين الصقليين، فائق وجوذر،

ثم سقطت (19) أما ولي العهد هشام المؤيد فلما بلغ العاشرة استنصر فوراً كخليفة في 13 صفر 868هـ / 1 أكتوبر 976 م. ثم اعترف به في أنحاء الأندلس ككافة (20). واستولى مدبراً القتل، وهما الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي ومحمد بن علي بن أبي عامر. على الرغم بصفتهم مشرفين على هشام الثاني، بل انهما حظيا بتأييد صريح، أم الخليفة الصبي، التي كان لها تأثير كبير بسبب تعيينها للموظفين السامين وتدخلاتها السياسية (21)، وتدريبها أدى انعدام الثقة بين عثمان المصحفي ومحمد بن أبي عامر من جهة وطموح كل منهما إلى تصفية أولهما والفراد الآخر بالحكم. لقد نجح محمد بن أبي عامر في ادراك بغيته باستغلال وضعيته التي ازدادت نفوذاً بينما تضائلت سلطات المصحفي (22). فمن الناحية الإدارية ارتقى محمد بن أبي عامر من منصبه الأول كوزير إلى منصب القائد

- (19) أبو العباس أحمد بن محمد بن عذاري المراكشي، «البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب»، ج 2، تحقيق ج. س. كولان وفريست ليفي بروفتال، لايدن، 1981، صفحات 261 - 264؛ وأبو العباس أحمد بن محمد المقرئ، «فتح الطب من حصن الأندلس الرطب وظهر وزيرها لسان الدين بن الخطيب»، ج 1، تحقيق محمد محيي الدين هبة الحميد، القاهرة، 1939 - 1942، ص 272.
- (20) أبو عبد الله محمد بن هبة الله لسان الدين بن الخطيب، «أعمال الإعلام في من ربيع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام»، تحقيق فريست ليفي بروفتال، الرباط، 1984، صفحات 48 - 67، «المعجب»، ص 26.
- (21) «الموسم المضروب»، ج 2، صفحات 261 - 263؛ «المعجب»، ص 74.
- (22) «البيان المغرب»، ج 2، ص 264؛ أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، «الخير في محاسن أهل الجزيرة»، القسم 4، ج 2، تحقيق إحسان عباس، ليبيا - تونس، 1999، / 1979 م، صفحات 64 - 66.

إشبيلية الطائفية إلا بضعة أيام ، (48) والانهار ، علاوة على دورها في الري ، كانت ذات أهمية بالغة كوسيلة للنقل . (44) وزيادة على ذلك كان عدد القرى في المناطق الريفية كبيراً حيث نجد ما يقرب من إثني عشرة ألف قرية . (45) ومن منتوجات الاندلس الفلاحية الزيتون واللوز والرمان والبرقوق والموز والتين في أنواع مختلفة . (46) وإلى جانب ذلك ازدهرت منتوجات كانت تستخرج من النبات كالعطور وأخرى كالتوابل مثل الزعفران . (47) واعتبرت المعادن من أهم الثروات الطبيعية التي جادت بها أرض الاندلس، فمنها الفضة في منطقة قرطبة بينما كان يتم تحويل الرمال في مدينة لبلة الى زجاج . (48) وبالنسبة للرخام فكان يستخرج من عدة مناطق ، فمثلا في قرطبة وجد الرخام الابيض والاحمر ، أما الرخام الاسود وهو أقل قيمة من سابقه فتعددت نواحيه . (49) وزيادة على ما ذكر اشتهرت مواد ومنتوجات أخرى كالخشب والصبغة التي غلب عليها اللون الاحمر خاصة . ومن منتوجات النسيج ثوب حريري ملون عرف باسم المبلد كما كان يصدر الى المشرق زليج ملون ولامع عرف باسم الزليجي . (50) وفي إشبيلية عرفت المنتوجات المعدنية شهرة واسعة ضاهت الشمال المسيحي ومن جملتها صناعة الاقواس والرماح والسهام بالاضافة الى صناعة السرج المزينة . (51)

وساهمت هذه المنتوجات وغيرها في إنعاش الحركة التجارية في المدن الاندلسية من جهة وبين الاندلس وكل من المغرب

فقد بلغ مجموع جلالاته العسكرية في أراضي ممالك قشتالة وليون وغافارا وجلالة الشمالية ثلاثا وخمسين حملة . وانفردت هذه الغزوات بتواترها نظرا لانها أصبحت حدثا سنويا ، كما تميزت بمجالها الكبير حيث أنها شملت أطرافا بعيدة من أسبانيا الشمالية، مثل سانتياغو دي هومبوستيلا ، واختصت بالفوز الذي توجت به ، حتى اضطرت الممالك المسيحية الى نهج سياسة دفاعية مستمرة . ولما كان الهدف الرئيسي من هذه الغزوات اقتصاديا فأن الثروات التي تم الحصول عليها ساهمت مباشرة في تقوية مركز وحكم محمد بن أبي عامر في الداخل . وقد امتدت مجهودات المنصور بن أبي عامر العسكرية الى داخل المغرب ، حيث كانت الاصطدامات الداخلية تعكس الصراع المباشر بين الادارة من جهة والزنايين والمغراويين من جهة أخرى ، مؤيديين ، على التوالي ، من طرف الفاطميين في مصر وبني أمية (ثم بني أبي عامر في الأندلس) .

ورغم النجاح العسكري المستمر للمنصور بن أبي عامر ، بعد القضاء على الحاجب المصحفي ، فإنه لم يتمكن من سحق جميع العناصر المعارضة . فبعد سيطرته التامة على الجهازين الإداري والعسكري ، أصبح المنصور بن أبي عامر بمنأى عن تأثير صيغ ، أم هشام الثاني ، وشكل خطرا على وعية هشام الثاني كخليفة شرعي . ونتيجة لذلك أخذت صيغ تبذل مجهودات خفية لتحريض غالب و زعي بني عطية من بعده ، على تحدي الحكم العامري .

واتخذت معارضة غالب لمحمد بن أبي عامر شكل مواجهة عسكرية انتهت بمقتل أولهما في معركة سان فيسنتي قريبا من ألبينا

في 4 محرم 381 هـ / 9 أبريل 991 م. (28) ثم نظم المنصور بن أبي عامر هجومات في أراضي ليون ضد وأميرو الثالث انتقاماً منه لبشاركته في جيش غالب ، فانتصر عليه وعلى حليفه ، سانشوا ملك غازارا ، وغارسية فوناندو ، ملك قشتالة .

أما مساندة صبح لزيري فكانت مالية نظراً لأنها كانت تتمتع بحرية التصرف في خزينة الدولة . وجاء رد فعل محمد بن أبي عامر لمعارضة زيري في 8 جمادى الأولى 388 هـ / 24 ماي 996 م . في شكل نقل للمدخرات المالية للدولة التي بلاطه وذلك برضا العلماء والوزراء وقبول هشام الثاني (29) ولمواجهة خطر مؤيدي الأمويين الموجه ضده ، نظم استمراءاً ضخماً شارك فيه هو وابنه عبد الملك وهشام الثاني الذي كان يرتفي زي الخلافة (30) وهكذا استطاع محمد بن أبي عامر أن يقضي على جميع المعارضين لحكمه الذي استمر إلى 3 صفر 392 هـ / ديسمبر 1001م - يناير 1002م . عند ما مات من مرض عضال خلال حملة عسكرية داخل الأراضي القشتالية (31) .

لقد كانت لطول حكم المنصور بن أبي عامر نتيجة سلبية نظراً لقضاائه على مفهوم شرعية الحكم لدى المدعين مستقبلاً للخلافة . فيعد أن أبطل محمد بن أبي عامر دور هشام الثاني تولى الأمر من بعده ابنه عبد

(28) « البيان المغرب » ، ج . 3 ، صحتي 298 - 300 .
 (29) « الذخيرة » ، القسم 4 ، ج . 1 ، صفحاتنا 71 - 72 .
 (30) « الممجب » ، صفحات 40 - 42 و « الذخيرة » ، القسم 4 ، ج . 1 ، ص . 72 .
 (31) « الذخيرة » ، القسم 4 ، ج . 1 / صفحات 78 - 78 .

الملك الذي خلفه أخوه عبد الرحمان (82). غير أن أناسا غيرهم أخذوا يصلون من أجل الحصول على الحكم بنفس الطريقة التي استعملها المنصور ابن أبي عامر، أي انتهاز خطة المنفذ. ففي جمادى الأولى أو جمادى الثانية 899 هـ / يناير - فبراير 1008 م. خلع محمد بن هشام ابن عبد الجبار المعروف بالمعدي، عبد الرحمن بن أبي عامر ثم صلبه، سكما فُخلى عن ولاته هشام الثاني، رغم أن هذا الأخير أُعيد إلى الحكم في سنة 400 هـ / 1008 م. (83). لقد كان قيام المعدي ميمزا لبداية الفتنة التي أدت إلى ظهور دول الطوائف. وسكان تدمير مدينة الزهراء رمزا دالا عليها (84). وبلى ذلك تهدم قرطبة بعد مقاومة استمرت ثلاث سنوات. استسلمت بعدها لسليمان ابن المحكم بن سليمان الذي دخل العاصمة الأندلسية في 408 هـ / 1018 م. حيث قتل فيما يبدو هشام الثاني (85). ولقد اختلف المؤرخون عامة، وحتى المحاصرون منهم للقرن العجبري الخامس، حول ضبط الفترة التي حكم خلالها هشام الثاني. فبند بداية حكمه الشكلي، مكث هشام المؤبد في بيئة منزلة، محاطا باللعب والموسيقيين والعجائري، فلم يحصل على أي تكوين في تسيير شؤون الدولة. ورغم هزله فقد برزت صورته لدى العامة، فعصل على قبول وتقدير متعاطفين. ومن أجل إعطاء الشرعية

(82) «المعجب» ص 40 والاطلاع على رواية دقيقة لفترة حكم عبد الملك وعبد الرحمن انظر كتاب «البيان المغرب» ج 3، صفحات 2 - 50.
 (83) «المعجب» صفحتي 40 - 41 «البيان المغرب» ج 3، صفحات 40 - 50 - 58 - 60.
 (84) - «البيان المغرب» ج 3، ص 64.
 (85) «المعجب» صفحات 41 و 43.

لمطالب وحركات سياسية متنازعة خلال ستين عاما فان صورته عادت الى الحياة فيما بعد .

لقد ظل هشام الثاني الخليفة الصوري طوال فترة دولة بني ابي عامر واستمر مركزه الرمزي خلال حكم المنصور بن ابي عامر ايان فترة حكم ابنه عبد الملك بن ابي عامر (38) . ولقد احدث هشام الثاني استياء ومعارضة شاملة للحكم العامري في جميع انحاء الاندلس منذ ما عين عبد الرحمن بن ابي عامر خلفا شرعيا له ومنحه لقب «ولي عهد المسلمين» . وهكذا هيا رسميا نزع السلطة الشرعية من ايدي الامويين (37) . لقد عجلت انتفاضة المهدي محمد بن هشام الضيفة باضعلال مركز هشام الثاني، نظرا لان هذا الاخير صرح علنا بتنازله عن الخلافة (38) . ورغم ان هشام الثاني عاد الى الحكم في الفترة المتراوحة بين 400 هـ / 1009م - و 408 هـ / 1012م . فان قتله خلال مسيرة سليمان بن الحكم على قرطبة قد ادى الى نهاية الدولة الاموية التي استمر احتضارها مدة طويلة ففي سنة 407 هـ / 1016 - 1017 م . قاد علي بن حمود حركة ضد قرطبة كان هدفها ارجاع هشام الثاني المزعوم الى الحكم بعد بئته فعندما هدد يحيى بن حمود حكم القاضي بن عباد باشبيلية، صرح هذا الاخير باكتشافه هشام المؤبد

(36) هناك برهان على مركز عبد الملك المتصاعد في رسالة منسوبة الى هشام الثاني حيث يخاطب هذا الاخير عبد الملك . بلقب الظنر ويمنح ابنه محمد منصب في الوزاراتين . ويوجد النص الكامل لهذه الرسالة في « البيان المغرب » ج 3 ، صفحات 16 - 17 .

(37) « البيان المغرب » ج 3 ، ص 38 - 39 .

(38) نفس المصدر ، صفحات 59 - 62 .

في سنة 428 هـ / 1034 - 1036 م. فأيده عدد من ملوك الطوائف الآخرين (39). أما دربخيا ، فباستثناء تأكيد وجوده الحقيقي ، تبقى شخصية هشام الثاني سرا خفيا . ان صورة هشام ضئولة تحريك أساسية في الاندلس ظلت آخر أثر من الفترة الطويلة لحكم بني أمية .

إن الصراعات الدموية حول قرطبة العاصمة أدى في نهاية الامر الى فرض حكم بني حمود عليها. ومع ذلك فان هذا الانتصار لم تصاحبه إعادة توحيد الاندلس نظرا لان بعض دول الطوائف تستعت بسيادة فعلية طول هذه الفترة بينما وجدت دول طائفية أخرى نفسها داخل مسلسل الاتصال من العاصمة المركزية قرطبة (40) .

وفي سنة 404 هـ . / 1018 - 1014 م . توصل علي بن حمود الذي كان يحكم سبتة آنذاك برسالة مزهومة من هشام الثاني ، يطلب منه فيها مساعدته لاسترجاع قرطبة التي كان يسيطر عليها الناصر محمد بن سليمان ، كما يمهده بحق استخلافه عليها (41) . لقد أدت هذه الرسالة التي مكنت

(39) نفس المصدر ، ص . 198 ، «أعمال الاسلام» ص . 179 ، «الذخيرة» - القسم 2 ج . 1 ، صفحات 17 - 18 .

(40) «الذخيرة» - القسم 1 ج . 2 ، صفحات 888 - 889 ، ومن بين الأمثلة على دول الطوائف التي حصلت على استقلالها خلال القرن الخامس الهجري بعد انهيار خلافة قرطبة الدخول الآتية : سرسطة (279 هـ / 894 م .) ، ورسندة (388 هـ / 999 م .) ، و مالقة (381 هـ / 1000 م .) ، وبلنسية (399 هـ / 1008 م .) ، و مالقة وطرطوشة (490 هـ / 1099 م .) ، والمرية ومورسبة ومورورو (488 هـ / 1095 م .) ، وقرمونة (484 هـ / 1092 م .) ، وطلطلطة (418 هـ / 1027 م .) .

(41) «المعجب» ، ص . 66 .

من قيام علي بن حمود كمرشح قوي للخلافة الاندلسية ، الى تأييد صابر ابن فتح ، حاكم مالقة ، وبلقين بن زهري ، حاكم غرناطة ، له ، الامر الذي أدى الى الاحتلال العسكري لقرطبة حيث قيل ان هشام الثاني قد وجد بها مقتولا .

ثم أعلن علي نفسه خليفة في ذي القعدة 407 هـ . / 1016 م . (42) . ورضم أنه استهل حكمه بتطبيق العدالة حيث فرض القانون والنظام فانه بدل سياسته بمد ثمانية أشهر عند ما تزايد شكه بشأن السعنان المحليين نتيجة تأييدهم لمطلب المرتضى بتولي الخلافة الامر الذي أدى الى حملة صنف أدت بدورها الى اغتياله من طرف ثلاثة فتيان صقالبة وهو بحمام قصره (48) . وخلفه أخوه القاسم بن حمود الذي كان يحكم اشبيلية والذي التحق بقرطبة حيث أعلن خليفة في ذي القعدة 408 هـ . / مارس - أبريل 1018 (44) . وانتهى حكمه الاول عند ما أسقطه حفيده يحيى بن حمود ، حاكم مالقة ، في ربيع الاول 412 هـ . / يونيو - يوليو 1021 (45) . واهن

(42) «الذخيرة» ، القسم 1 ، ج 1 ، ص 97 ؛ «المعجب» ، صفحاتنا 69 - 80 .
 (43) «الذخيرة» ، القسم 1 ، ج 1 ، صفحاتنا 100 - 101 ؛ لقد بلغ خبران العامري حاكم مورسية عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن الناصر المرتضى من خاتمة بني أمية خليفة شرعياً وذلك ليناس طلبات علي بن حمود ؛ البيان المغرب ، ج 3 ، ص 181 .
 (44) «الذخيرة» ، القسم 1 ، ج 1 ، صفحات 481 ؛ البيان المغرب ، ج 3 ، صفحاتنا 122 ، 124 ؛ «المعجب» ، ص 50 .
 (45) «الذخيرة» ، القسم 1 ، ج 1 ، صفحاتنا 481 - 482 ؛ «البيان المغرب» ، ج 3 ، ص 184 ؛ «المعجب» ، ص 50 .

القاسم بن حمود دخل قرطبة من جديد وبويع بها في ذي القعدة 418 هـ . /
 أكتوبر - نوفمبر 1028 (46) .

وأخيرا ثارت العاصفة عليه بعد سبعة أشهر من استيلائه الثاني على
 الحكم بقرطبة ، فعندما فشلت محاولته للتغلب على القرطبيين ، قرأ إلى
 إشبيلية حيث كان يحكم ابنه محمد ، وذلك في شعبان 414 هـ . / 1028 م .
 إلا أن أبواب مدينة إشبيلية سدت في وجهه . وبعد تطويق قصر ولديه محمد
 والعسكر داخل المدينة ، قررت مجموعة من أعيان إشبيلية نعت القيادة
 الجديدة للقاضي بن عباد إطلاق سراحها (47) . وبهذه فكف تفسير منامة
 إشبيلية بصعوبة أسوارها الضخمة الحديثة البناء (48) . أما القاسم الذي
 تخلى عنه القسم الأكبر من جيشه ليلتحق بجيش يحيى بن حمود في
 مالقة فقد هرب إلى أن التحق به حفيده يحيى في شريش ، حيث ألقى
 عليه القبض وعاد به سجينا إلى مالقة . وتوفي القاسم في سنة 427 هـ . /
 1036 م . في سجن حفيده إدريس ، ثم دفنه ابنه محمد بالجزيرة

(46) «الذخيرة» ، القسم 1 ، ج . 1 ، صحتنا 484 - 485 ؛ «البيان المغرب» ، ج . 2 ، ص . 124 ؛ «المعجب» ، ص . 50 ؛ «نفع الطب» ، ج . 2 ، ص . 32 .
 (47) «الذخيرة» ، القسم 1 ، ج . 1 ، ص 486 ؛ «الذخيرة» ، القسم 2 ، ج . 1 ، ص . 16 ؛
 «البيان المغرب» ، ج . 2 ، صحتنا 124 - 124 ؛ «المعجب» ، ص . 51 ؛ «العتة السهرا» ، ج . 2 ، ص 36 .
 (48) بنو عبد الرحمن الحكم (208 هـ . / 821 م - 438 هـ . / 828 م) حاكم إشبيلية الثاني
 بالجزيرة عندما تعرضت المدينة لهجومات الجوس (أبو هيب عبد الله بن عبد العزيز البهري ،
 «جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك» ، تحقيق الدكتور عبد الرحمن علي
 الحجري ، بنغازي ، 1987 هـ . - 1988 م ، ص . 112) .

الخضراء (49). وفي هذه الاثناء أصبحت إشبيلية سيدة مصيرها ، بينما غرقت قرطبة في سلسلة من عمليات قتل الحكام ، والتمردات العامة التي أدت تدريجيا الى تأسيس جمهورية تحت حكم بني جهور .

(2) قيام القاضي بن عباد بإشبيلية

إن إشبيلية التي كانت قد نجت من السيطرة المركزية لقرطبة عند ما حكمها القاسم قد نمت لأول مرة بحكم أحد أهلها ، وذلك عند ما بسط القاضي بن عباد حكمه في سنة 404 هـ / 1028 م . (50) . وبعد امساك هذا الاخير بزمام السلطة أصبح حكم بني عباد بقرون سياسة إشبيلية داخل وخارج حدودها التي كانت تنوسع باستمرار . وهكذا اتخذ تاريخ إشبيلية انجاءها جديدا حيث أثر في التاريخ الاندلسي بصورة لم يسبق لها نظير .

إن الوعي السياسي والمناورات الماهرة والزعامة التي فرضها القاضي بن عباد بطرق دبلوماسية خصال ساهمت كلها في اقامة بني عباد بإشبيلية ، بنفس درجة الحسم التي ساهمت بها الحالة السياسية العامة بالاندلس بعد

(49) «التذكرة» ، القسم 1 ، ج . 1 ، صفحاتنا 485 - 486 ؛ «المعجب» ، صفحات 51 - 52 ، أبو المياس أحمد بن محمد المقرئ ، «نسخ الطيب من ضمن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب» ، ج . 2 ، تحقيق محمد معوي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، 1387 هـ / 1969 م . ص . 89 ؛ «البيان المغرب» ، ج . 8 ، صفحاتنا 124 - 125 . (50) أبو عبد الله محمد بن توفيق الحبيدي ، «جدوة القتبس في زهر ولاية الاندلس» ، القاهرة ، 1982 ، ص . 80 ؛ «نسخ الطيب» ، ج . 2 ، ص . 22 .

التشنت الكلي لخلافة بني أمية. وصافته تصرفاته. التي تنسم بالحذر والدهاء، عند ما عمل قاضيا ابان حكم القاسم بن حمود تتناقض مع صرامته وقسوته وعمله لتخلص النهجي من جميع منافسه لدى ترسيخ حكمه تبعاً للرفض الجماهي لسيطرة بني حمود الفعلية على إشبيلية في سنة 414 هـ / 1023 م. والمناورات التي مكنت القاضي من الحصول على الزعامة المطلقة على إشبيلية، تشير الى معنى صيق للدراك والصرامة لبذل الجهد في سبيل طموحات بعيدة المدى. لقد فرض القاضي بن عباد نفسه حاكماً مطلقاً على إشبيلية، وذلك من خلال استراتيجية طويلة المدى، لا يستطيع القيام بها الا منظم تدبر يخطط ويضبط توقيت كل حركة قبل أن يجعلها واقعاً.

كان القاضي بن عباد في سنة 414 هـ / 1023 م. قد تغلب على عدة عراقيل هامة واستخدم وسائل متنوعة للسيطرة على إشبيلية. وبما أن حكمه لم يتم على أسس شرعية فقد فرض سيطرته معتمداً على مبدأ ضمني يقبله من طرف أقلية الأشبيليين. مكنت الخلافة الوراثة باعتبارها مبدأ دائماً يفر منازع ويقبله الجميع تتنازع الواقع الإشبيلي بعد القضاء على بني أمية ومع السكينة الشخصية للقاضي بن عباد كمرشح محتمل لحكم إشبيلية. غير أن الأمر الذي ساعد القاضي هو انعدام منافس له يستطيع مزاحمته بواسطة الوراثة.

إن الروح الواقعية المفرطة التي تميز بها القاضي قد قللت الى أقصى درجة من أثر انعدام مبرر نظري لحكمه منذ البداية. كما أنه استطاع تدريجياً أن يضمن السلطة اللازمة لتطبيق حكمه على الصعيد العملي. لذلك فاعتسابه التدريجي لقاعدة متينة لحكمه يمكن اعتباره نتاجاً لسلطته وليس سبباً لوضعيته الراهنة كحاكم. لقد تغلب على هذه العقلة باستعمال خطتين:

(أ) فبدون تنازله عن حقه في الحكم لم يقدم أي مطلب بشرعية حكمه حتى هند ما كان حاكماً بالفعل . فهو على سبيل المثال لم يتخذ أي لقب شرعي واحتفظ بلقبه السابق كقاضي (61) . (ب) . لقد ربط القاضي موقفه كحاكم فعلي بموقف هشام الثاني الذي كان معترفاً به من طرف الجميع عند ما أعلن في سنة 426 هـ / 1034 م عن اكتشافه لهشام الثاني (62) . وزيادة على ذلك اتخذ القاضي بن عباد عدة تدابير لتدعيم وضعيته حاكماً لإشبيلية ومن أهم العوامل التي ساهمت في تنمية قوته السياسية ، قاعدته المالية ، حيث قيل إنه ملك ثلث إشبيلية (68) . لقد ضمن أبوه ، القاضي إسماعيل بن عباد ، الذي كان محل تقدير الجميع ، المقام الاجتماعي العالي لأسرته بفضل حسن تسييره لشؤون إشبيلية وهو قاض بها ، كما أن

(61) ولعل قلة الانقلاب المنظمة المتوقعة في التقوى التي تحمل اسم القاضي بن

عباد تؤكد هذا الموقف . . *Antonio Prieto y Vives, Los reyes de Taifas estudio histórico-munitómico de los musulmanes españoles en el siglo V de la hégira (XI de J. C.), Madrid, 1962, p. 227.*

كتاب « مطبخ الأندلس ومسرح الناس في مطبخ أهل الأندلس » لابي نصر الفتح بن أحمد بن خالان في كتاب « تاريخ بني عباد » لرينهارت هوزي :

P. A. Dozy, *Historia Abbadidarum*, vol. I, Leiden, 1864, p. 24.

(62) « أعمال الأعلام » ، ص . 179 ، وأبو محمد علي بن أحمد بن حزم ، « نقط

المرويس » ، تحقيق س . ف . سهولك وترجمه إلى الإسبانية لوييس سهودي لوئينا ، بلنسية ، 1974 . ص . 35 و « البيان المغرب » ، ج . 8 ، صفحات 187 - 188 ، « الذخيرة » ، ج . 2 ، صفحات 16 - 17 .

(63) « أعمال الأعلام » ، ص . 177 و « البيان المغرب » ، ج . 2 ، ص . 195 ، أبو زيد

عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، « كتاب العبر » و « ديوان المهتدا والمحبر في أيام العرب والبربر » ، ج . 4 ، القاهرة ، 1984 ، ص . 188 و « الذخيرة » ، القسم 2 ، ج . 1 ، ص . 18 ،

المرتقيات الدينية لمنصب القاضي محمد بن عباد قد أضافت وزناً لمكانته (84).
 لقد استطاع القاضي أن يفرض زعامته وينمي تأثيره السياسي باستغلاله
 للتهديدات الخارجية ولل فراغ السياسي بإشبيلية ، وكذلك باخضاعه الرؤساء
 المحليين الآخرين لسيطرته . ولقد مكنت هذه العوامل الأساسية الثلاثة
 القاضي بن عباد من خلافة بني حمود . إن حكم القاسم بن حمود لم
 يكن قائماً على أسس متينة حينما فرض سيطرته على قرطبة ، الأمر الذي
 أدى إلى غيابه عن إشبيلية التي بقيت تحت القيادة الضعيفة لابنه محمد بن
 حمود . وأدى سلوك القاسم المتعجرف تجاه سكان إشبيلية إلى نخلي هؤلاء
 عن جزء من مساندتهم له ، الشيء الذي أدى بدوره إلى أحداث فراغ سياسي .
 فلقد ارتكب القاسم أخطاء سياسية عند ما بعث إلى الأشبيليين
 رسالة يأمرهم فيها بإعداد المدينة لاستقبال جيوشه (85) . واستغل القاضي
 محمد بن عباد هذا التهديد أحسن استغلال لضمان أمن مدينة إشبيلية
 وسلامتها . وذلك لاثارة السخط العام وإشاعة الشكوك حول القاسم بن حمود
 وكذلك حول ولده محمد (86) . وأدى التخلص من بني حمود إلى أفراد
 القاضي بن عباد بالسلطة ووضائه على إمكانية مشاركة زعماء آخرين له
 في الحكم . أما الزعماء المحليون الذين كانوا مهددين من طرف جيش

(84) « أعمال الإقليم » ، ص 177 و « الذخيرة » ، القسم 2 ، ج 3 ، صحتنا 16-18 .
 (85) « البيان المغرب » ، ج 4 ، ص 3 ، ص 198 و « أعمال الإقليم » ، ص 179 .
 (86) « الذخيرة » ، القسم 1 ، ج 1 ، ص 488 و « أعمال الإقليم » ، ص 178 .
 و « السير » ، ج 4 ، ص 160 .

القاضي بن عباد فلم ينتبهوا الى قوته السباحية المتزايدة الا عند ما نجلت فعاة في قمع أي اعتراض محلي على مركزه كحاجهم مطلق (57) .

لقد وقع الزعماء الاشبيليون المحليون في فخ القاضي بن عباد عند ما استعمل الاولغار شيفا التي اُسمت لمواجهة الخطر الحمودي . ونظراً لوضعية قوته النسبية فإنه لم يقبل اقتراح الزعماء المحليين بتحمل المسؤولية الكاملة في تسيير شؤون (شبهية) حينما برز خطر القاسم بن حمود (58) . ويمرر هذا القرار الفظنة الكبرى التي انصف بها القاضي ، لانه لو وقع في امراء قبول الرئاسة دون غيره في تلك الظروف لتحمل وحده مسؤولية مواجهة بني حمود ، معرضاً نفسه بذلك لمؤامرات المنافسين المحليين . فيوافقته على ترأس مجموعة من الوزراء عنهم وجهاء إشبيلية أخذ مركز القيادة دون أن يكون قد تحمّل مسؤولية النتائج السلبية لاصالهم (59) .

(57) « المخبرة » ، القسم 2 ، ج 1 ، ص 16 - 16 .

(58) نفس المصدر

(59) لقد جلت الأزال بخصوص وصف هذه المجموعة من الوزراء بطرق مختلفة عند مؤرخين مختلفين ، نصف ابن عذاري هذه المجموعة كالتالي :
« وكانوا جماعة منهم بنو / أبي بكر / الزهدي / النحوي / دنو مرهم وبنو الربيعي وغيرهم . . . » (البيان المغرب ، ج 3 ، ص 185)
ويقدم ابن بام الاسماء التالية :

« وكان الذي وطد له ذلك نفر من أعيانها المرتسبين بالوزارة . . . وكانوا جماعة منهم بنو أبي بكر الزهدي النحوي وبنو مرهم حنائق بن عباد وغيرهم . . . » (المخبرة ، القسم 2 ، ج 1 ، ص 18) .

ويصفها الراجشي بالهارات الثانية :

ولا شك أنهم فوجئوا بتردده الظاهر في الامسك ، ولم يكونوا مستعدين
 عند ما خلق القاضي بن عباد وزراه بصورة غير منوقعة ، ففرض سيطرته
 الفعلية على إشبيلية بعد القضاء على بني حمود (80) .

ولقد كانت روابط القاضي محمد بن عباد ببني حمود صيقة الجذور في
 إشبيلية ، فقد فرض نفسه قاضياً على تلك المدينة خلال حكم القاسم بن حمود ،
 وذلك منذ ما لم يعد بمستطاع أبيه القاضي إسماعيل بن عباد مواصلة العمل

— «تواراه اختارهم بعد بعض الرأي وتفرج التدبير على القاضي أبي القاسم محمد
 بن إسماعيل بن عباد الأديبي . . وأبى ذلك على ان يختاروا له من أنفسهم رجلاً لا يساهم
 اعلي يخدموناه أمواتاً ووزراً» و«رحمنا» . . . وهؤلاء السجون هم . الوزير أبو بكر محمد
 بن الحسن الزبيدي ومحمد بن يريم الالهائسي وأبو الأصبغ عيسى بن حجاج الحضرمي
 وأبو محمد عبد الله بن علي الهوزني ، في رجال آخرين ذهبت مني أسماؤهم إلا أنني
 أعرف بمئاتهم ويدهم . ففعلوا ذلك . . . (« المعجب » ، ص 94 - 98) .

وهناك وصف آخر في كتب أخرى منها « الحلة السيرة » ، ج ٢ ، ص ٨٦ . وخلافاً
 لابن بسام وابن عدي ، يؤيد المراكشي في كتابه « المعجب » أن تكون هذه المجموعة
 من الوزراء جا' بمد هزيمة محمد بن حمود وهذا لا يتسر طرد هذا الأخير من إشبيلية .
 وعلاوة على ذلك ، نولا خطر محمد بن حمود ، لنا احتاج القاضي بن حمود أن يتولى الحكم
 بمساعدة الوزراء ، ولانفرد بالحكم منذ البداية . وفي النهاية ، واعتباراً لكون ابن بسام حاش
 في فترة أقرب من الأحداث ، يجب اعتبار المصدر الأكثر ثقة . وتزيد على ذلك أن
 المراكشي ألف كتابه « المعجب » وهو يهود عن الاندلس فكانت المصادر تنقصه وكان
 يعتمد في ذلك على قاصده (« المعجب » ، ص ٤) .

80 (« السيمان الحرب » ، ج ٨ ، ص 105 و « المعجب » ، ص ٨١ و « أسماول
 الاصلاح » ، ص 178 و « الحلة السيرة » ، ج ٢ ، ص 87 و « السخيرة » ، القسم ٢ ،
 ج ١ ، ص 16 - 18 .

في ذلك المنصب (61) . كان القاضي محمد بن عباد يتعاون مع القاسم بن حدود وابنه محمد ، وكان يحصر نشاطه في ميدان واجباته الرسمية كقاضٍ .

ورغم ابتعاده عن السياسة الى غاية سنة 414 هـ / 1023 م . فان مركزه ووضعيته مكناه من التقرب الى الحكم وملاحظة ضعفهم . كما ان دهاء وحلمه جعله يعمل في خفاء دون أن يكون موضع شك أو رقابة .

فرض القاضي محمد بن عباد نفسه حاكماً على إشبيلية سنة 414 هـ / 1023 م . نتيجة اطلاعه ومعرفته الشخصية بحاكم بني حمود وبسبب تأييد الاشباليين له حيث كانت صلته بهم وثيقة ومستمرة . وكان نجاحه وسيلة في أيدي أميان إشبيلية مكنتهم من التخلص من حكام بني حمود . وبذلك استطاع أن يفرض نفسه قائداً بدون منازع . وبإثارة القاضي للقوى الناضبة كما تمثل في الشعب الاشبالي والاصيان المحليين ضد قمع بني حمود استطاع أن يصد كلا القوتين عن مواجهته . وصد ما أنهكت القوتان بعضهما فمكن القاضي بن عباد من الانفراد بالحكم (62) .

ومن جهة أخرى كان للجيش دور حاسم في بلوغ القاضي هدفه النهائي . فقد انتهى خطر جيش بني حمود عند ما فرض الاشباليون على جيش محمد بن حمود مغادرة مدينتهم ، فأغلقوا أبوابها أمام جيش القاسم

(61) « أعمال الاعلام » ، ص 177 و « الذخيرة » ، القسم 2 ، ج 1 ، ص 16 .
(62) « البيان المغرب » ، ج 1 ، ص 2 ، صفتا 128 ، 130 و « أعمال الاعلام » ، ص 178 و « الذخيرة » ، القسم 2 ، ج 1 ، صفتا 15 ، 16 .

بن حمود بعد فشله في استرداد الرطبة . وهكذا بادر القاضي بن عباد الى تحكويين جيش يخضع لسيطرته المباشرة سعيًا في بسط نفوذه . واستعمل فيما بعد ثروته الضخمة للحصول على هذا الهدف ، حيث اشترى عبيداً وجند مرتزقة ، منشئاً بهذه الطريقة جيشاً من أقوى جيوش الاندلس (83) .

ومن جملة العوامل الاساسية التي ساهمت في ابراز دور القاضي في الميدان الدبلوماسي واظهار براعته في التفاوض نظرتة الواضحة والشاملة لاهدافه البعيدة المدى . فمفاوضاته لمجموعة معينة سحانت نساهم دائماً في تقوية مواقفه بالنسبة لمجموعة أخرى ، ومفاوضاته مع ابن حمود والجيش وأعيان إشبيلية خير مثال على هذه الملاحظة . لقد صكان محمد بن حمود الذي حكم بواسطة وزيره محمد بن خالص أبرز خطر على القاضي بن عباد (84) . فعند ما وجد نفسه في وضعية التفوق اتخذ القاضي بن عباد موقفاً حازماً فأنزم محمد بن حمود بمغادرة إشبيلية دون أي تنازل . ولما أدرك القاضي البعد الحقيقي لخطورة محمد بن حمود على مركزه ، هاجمه مستعيناً بوزرائه ، فأخرجه من إشبيلية سنة 414 هـ / 1023 م . (85) . وعند ما طوق القاضي قصر محمد بن حمود وهاجمه ، تفاوض مع أبيه القاسم بشأن اطلاقه . فوافق القاضي على مغادرة محمد بن حمود لإشبيلية بشرط أن يتغلى بنو

(83) « الفخيرة » ، القسم 2 ، ج 1 ، صفحات 15 - 16 و « البيان المغرب » ، ج 8 ، صفحات 196 - 197 و « الحلة السرا » ، ج 2 ، ص 28 و « أصل الاعلام » ، ص 178 .

(84) « الفخيرة » ، القسم 1 ، ج 2 ، ص 488 و « أعمال الاعلام » ، ص 178 .

(85) « الفخيرة » ، القسم 1 ، ج 2 ، ص 486 و « المعجب » ، ص 84 .

حمود عن كفاة مطالبهم فيها (66) وبعد تقيقه هذين الهدفين أرفس القاضي الجيش الاشبيلي الذي كان قد استخدمه في الهجوم على قصر محمد بن حمود ، على التشتت خارج إشبيلية ذلك انه أسر قائده ، محمد بن زري ابن دوناس ، ثم أطلقه شريطة أن يغادر المدينة نهائياً . (67) . ومن العوامل الاساسية لتجاح القاضي بن عباد قدرته على استمالة الجيش عند اصطدامه بمحمد بن حمود . وقد حصل على ذلك ضد ما وعد محمد بن دوناس بمبايعة إشبيلية له كحماكم لقاء تأييد هذا الاخير له (68) .

ثم أبرز القاضي بن عباد قدرته على التفاوض بذكاء عند ما حاصرت مدينة إشبيلية جيوش يحيى بن حمود في سنة 414 هـ / 1023 م . (69) ، واستطاع القاضي بن عباد أن يقنع يحيى بن حمود بالتخلي عن تطويق المدينة مقابل الاعتراف بسيادته عليها (70) . ولقد حقق هذا الهدف بتقديم ابنه عباد ، رهينه ، دليلاً على اخلاصه (71) . وكان هذا القرار بارهاً حيث إنه أرضى يحيى بن حمود من جهة ، وساهم في مضاعفة سيطرة القاضي داخلياً باعتباره الرجل الوحيد الذي استطاع أن يقدم التضحية اللازمة

(66) « الذخيرة » ، القسم 1 ، ج 2 ، ص 406 .

(67) « الذخيرة » ، القسم 1 ، ج 2 ، ص 485 ، « كتاب المير » ، ج 4 ، ص 156 .

(68) نفس المصدر .

(69) « الذخيرة » ، القسم 2 ، ج 1 ، ص 19 .

(70) نفس المصدر .

(71) نفس المصدر .

لصد الخطر الذي كان يهدد إشبيلية . وعلاوة على ذلك فلم يكن اعتراف القاضي بن عباد بسيادة يحيى الا اسماً . ذلك أنه تخلى عنه فيما بعد . الامر الذي أدى الى نشوب نزاع في قرمونة بين القاضي بن عباد ويحيى بنت حدود في محرم 427 . هـ / نوفمبر - ديسمبر 1085 م . انتهى بهزيمة يحيى ومصرعه ، (72) .

(8) - تدعيم سلطة القاضي بن عباد

عند ما أقام القاضي بن عباد دولته فقد كان تعزيز مركزه كحاكم على إشبيلية قد أصبح حقيقة ثابتة . فقد استطاع بعد قبضته على الاخطار الداخلية توحيد قوى إشبيلية السياسية تحت لواء واحد ، وتم الاعتراف به في جميع أنحاء الأندلس كأحد ملوك الطوائف الاقوياء المحظوظين . ويمكن القول بأن ثلاثة عوامل قد ساهمت في تحقيق هذه الوضعية ، وهي ولاؤه المعلن لهشام الثاني وقدرته على تحويل الاخطار والفوز بطاعة وولاء دول الطوائف ، وأخيراً هجوماته العسكرية على دول طائفة أخرى .

وبعد الانتشار الواسع للشائنة الشعبية المتعلقة بالظهور الجديد لهشام الثاني في المرية في سنة 428 . هـ / 1034 م . أعلن القاضي أنه اكتشفه بنفسه (72) . ورغم جاذبية مثل هذا الحدث لخيال العامة وأثره في بعض

(72) « البيان المغرب » ج ٥ . ص 199 و « المعجب » ص 24 .

(72) « الذخيرة » القسم 2 ج 1 . صفحاتنا 17 - 18 و « البيان المغرب » ج 5 .

ص 198 و « أعمال الأعلام » ص 178 .

ملوك الطوائف . فلقد أدرك البعض منهم حقيقة ذلك الخدعة الرامية الى توحيد القوى لمواجهة الخطر المنامي لمحيى بن حمود على إشبيلية ، وذلك بإعلان الولاء لخلف الحضري بوصفه هشام الثاني (74) إن جميع المصادر الرئيسية متفقة على الطبيعة المزيفة لذلك الادعاء . كما يبدو ذلك عند كتاب ثقة كتابين حزم وابن بسام وابن حبان . ولكن يمكن تفسير نجاح هذا الادعاء بالحاجة العامة الى وجود سلطة مركزية في الاندلس ففي وقت كانت فيه الاندلس أشبه بفسيفساء من الدول الطائفية نجد أن قوة موحدة جذبت اهتمام انعام الاندلسيين رغم سذاجة الادعاء من جهة ومحاولة بعض ملوك الطوائف انكار أهميته السياسية من جهة أخرى . ولكن فشل هذا الادعاء في محاولة توحيد الاندلس من جديد يرجع جزئياً الى رفضه من طرف ملوك الطوائف الذين بعثوا مندوبيهم الى إشبيلية للتأكد من صحته ، فأدخلوا الى غرفة مظلمة لمشاهدة الخليفة المزعوم من وراء حجاب (75) . ورغم قدرة هذا الزعم على إعادة توحيد الاندلس ، فيجب البحث في النوايا الحقيقية على المستوى الشخصي . ونتيجة لذلك نجح هذا الزعم في تحقيق طموح القاضي بن عباد حيث أنه حول خطر يحيى بن حمود عن إشبيلية ودهم سلطة القاضي على المستوى الداخلي والخارجي معاً . إن ولاء القاضي بن عباد لهشام الثاني المزعوم أعطى حظه درجة من الشرعية كان دائماً في حاجة إليها نظراً لأنه لم يمكن يتوفر على أية أسس نظرية للحكم .

(74) • نطق المروسي • ص . 25 .

(75) • البيان المغرب • ج . 3 . ص . 200 و • أصحال الإسلام • ص . 180 .

وفي سنة 438 هـ / 1041 م. رسخ القاضي بن عباد دعائم حكمه ووطدها فوطيداً متيناً وقد ساهمت خاصياته عقائده داهية وسياسي محنك في حصوله على الحكم ثم في المحافظة عليه . وهكذا استطاع القاضي بن عباد خلال مدة حكمه أن يمطي سلطته صفة الشرعية . وذلك بولاية لهشام الثاني وإنشائه جيشاً منظماً ينتهج خطة هجومية ضد دول الطوائف المجاورة له وتخلصه من عدوه الأول . يحيى بن حمود وإذا كان القاضي قد توفي قبل ادراك بغيته ، فإنه وفر الشروط اللازمة لكي يخلفه ابنه المعتضد .

2 - المعتضد عباد بن محمد بن عباد 438 هـ / 1041 م . - 461 هـ / 1068 م

(1) ظروف خلافة المعتضد لابنه وأساليبه في الاحتفاظ بالحكم

عند ما التحق المعتضد عباد بن محمد بن عباد بالحكم في جمادى الثانية 438 هـ / يناير فبراير 1042 م . صفات شرميته كحاكم لاشيولية قد أصبحت أمراً منتهياً . ومن هنا انخاضه فيما بعد ألقاباً كـ «فجر الدولة» ثم المعتضد بالله (77) . على أن اكتمال شرمية المعتضد كحاكم لم يتأت إلا عن طريق الاعتراف بقيادته من طرف دول الطوائف الأخرى . الأمر الذي

(76) «الجملة السيرة» ج 2 ، ص 141 و أما الصبيهي الذي عاصر الأحداث فانه يحدد تاريخ ولاة حوالي سنة 430 هـ / 1038 م . «جدوة المقابس» ، ص 81 .
(77) «الفخيرة» ، القسم 2 ، ج 1 ، ص 34

تجلى في وصف ابن حيان له « كزعيم جماعة أمراء الأندلس » (78) . ولقد وجد المعتضد أنه من المناسب الإبقاء على اعترافه بهشام الثاني كخليفة الأندلس، لكنه تخطى عن ذلك في سنة 461 هـ / 1068 م. عند ما لم يعد ذلك الزعم مجدداً (79) .

ورغم أن أثر المعتضد كان أكثر نجاحاً باعتماده على وسائل العنف من ارتكازه على أية تصورات لتبرير شرعية حكمه ، فإن صورته كحاكم شرعي كانت منتشرة بطريقة مذهبه بواسطة جاذبية الأزياء والحلل التي كان يرتديها والحملات المبرقة التي كان يقمها والقصور الرائجة التي شادها الخ... (80) واستغل المعتضد شرعية مركزه لاخفاء جرائمه، فكان ذلك من أهم العوامل التي ساهمت في تنفيذ قراراته وتطبيق سياسته .

ظل المعتضد حاكماً على إشبيلية بلا منازع طيلة اثنين وثلاثين عاماً . وقد كان حاكماً مطلقاً إذ كانت سياسته تستهدف زيادة كسل من كان خطراً على مركزه ، وحتى من كان من المحتمل أن يصبح خطراً عليه . وكان سلوكه نحو الأصدقاء والاعداء في غالب الأحيان سلوكاً غير يميزاً أكثر منه عقلانياً أو دينياً أو فلسفياً أو عاطفياً . واستطاع أن يفرض نفسه كطاغية يطاع ويحترم عن خوف على المستوى الداخلي والخارجي معاً .

(78) نفس المصدر وفي مقدمة رسالة من رسائله يلقب أبو الوليد بن زيون المعتضد بلقب العاجب فخر الدولة وألقاب أخرى من الألقاب الخليفة («الذخيرة» ، القسم 1 ، ج . 1 ، ص . 406)

(79) « المحجب » ، ص . 96 و « جدوة المقتبس » ، ص . 80 .

(80) « البيان المغرب » ، ج . 8 ، ص . 206 و « أعلام الأعلام » ، ص . 182 .

فكان وزراؤه بخشونه مثلما يخشاه منافسوه من ملوك الطوائف الذين هجروا عن التنبؤ بمفاجأته المتصمة بالتلقائية والعنف . وخلافاً لوضعية القاضي بن عباد ، الذي حصل على الحكم من خلال الصراع مع أطراف منافسة أخرى ، فإن خلافة المعتضد لابيه كانت وراثية . ورقم سنة المبكر (إذ لم يكن قد نيف على السادسة والعشرين من عمره عند ما شغل منصب حاكم إشبيلية) فإن المعتضد كان قد أعد أحسن الاعداد لممارسة منصبه الجديد . وسبق للمعتضد أن مر بتجربة مأساوية عند ما كان في السابعة من عمره وقدم رهيناً ليحيى بن حمود بعد المفاوضات التي جرت بين هذا الأخير والقاضي بن عباد سنة 414 هـ / 1023 م . (81) ومن المحتمل أن أسره في هذا السن المبكر كان له أثر عليه من الوجهة النفسية حيث تصلبت مواقفه . الشيء الذي كان يفسر جزئياً ، عزمه المستمر في القضاء المبرم على منافسيه . وقد ساهمت نشأته بقصر أبيه في تسهيل اتصاله المباشر بوثيرة نسبير دواليب الحكومة ، بينما مكنته مشاركته في الحملات العسكرية التي نظمها أبوه من معرفة المتطلبات الأساسية لاستخلاص الحكم

(81) يصف ابن بسام حدث تقديم عباد ليحيى بن حمود رهينة ثم يصف الظروف التي أدت إلى انفراط القاضي بن عباد بالحكم في إشبيلية سنة 414 هـ / 1023 م - 1024 م . واعتباراً أن عباد (وهو المعتضد فيما بعد) خلف أباه سنة 488 هـ / 1042 - 1041 م . وهو في سن السادسة والعشرين ، وعندما سلم رهينة كان يبلغ سبع سنوات في سنة 414 هـ / 1023 - 1024 م . يمكن تحديد سنة إذ ذلك استناداً الى تاريخ ميلاده في صفر 407 هـ / يوليو - غشت 1016 م . حسب محمد عبد الله هنان («دول الطوائف» الطبعة الثانية ، القاهرة ، 1969 ، ص . 129) .

والمحافظة عليه وقد اعتمد خلال حكمه بطريقة واسعة على الجيش لمواجهة خصومه وتوسيع الرقعة الترابية لإشبيلية .

ورغم افتقار المعتضد للحصافة والدهاء فقد اعتمد القوة وسيلة أساسية لتنفيذ سياسته . وأبرز مثال على ميله الفردي للعنف حديقته الشهيرة الميثة بهجامم أعدائه الذين ذهبوا ضحية حروبه واقتيالاته . ونظراً لمحافظة الدائبة على هذه الحديقة الغريبة فإن وجودها قد استمر إلى أن أعيدت الهجامم إلى ذوبها كي تدفن ، وذلك بعد سقوط إشبيلية في أيدي المرابطين سنة 484 هـ / 1091 م . (82) : وصحانت من بينها هجامم محمد بن عبد الله البرزالي والحجاب بن خزون وابن فوح ويحيى بن حمود (83) . ولقد كان المعتضد يباهي بحديقته ويحترها رمزاً لانتصاره وقوته الباهرة . كما استعملها في إرهاب حلفائه وضيوفه .

وعند ما ولي المعتضد حكم إشبيلية لم يلبث أن فرض سلطته بالقوة ، فكان أول عمل قام به هو تصفية جميع الموظفين ، الذين ورثهم عن فترة حكم أبيه ، وذلك بنفيهم ومصادرة أملاكهم أو حرمانهم من موارد العيش أو قتلهم (84) . وقد استمر في سياسته هذه التي قضت على المعارضة في مرحلة تكوينها طوال حكمه . ونظراً لموقفه القوي إزاء ملوك الطوائف عامة

(82) « البيان المصروب » ج . 3 . ص . 208 و « الفخورة » القسم 2 ج . 1 . صفحات 28 - 29 .

(83) نفس المصدر . ص . 28 .

(84) « المنجيب » ص . 95 .

فقد استعمل المعتضد نفوقه بهدف استغلالهم وتسليط بعضهم على بعض . وكانت حوافزه من وراء مساندة ملوك الطوائف تتحول بتحول الظروف ، كما كانت سياسته محضة ، تتوافق مع التكتيك الذي افلحه في تطبيق خطته لتقوية هيمنته . ويمكن ذكر مثال مدهش في هذا المجال وهو تحول التعايش التقليدي بين بني عباد وحاكم قرمونة ، محمد بن عبد الله البرزالي ، الى عداوة بين إشبيلية وقرمونة فيما بعد . وفي سنة 427 هـ / 1035 م ساهم القاضي بن عباد في إعادة محمد البرزالي الى مكانته كحاكم على قرمونة ، وذلك عند ما استولى عليها يحيى بن حمود وهو الذي حاله المعتضد عند ما قرر الاستيلاء عليها نفسه في سنة 459 هـ / 1066 م (86) . فبعد استفادته غير المباشرة من الخدمات التي قدمها البرزالي لآبيه في مواجهة أعداء أقوياء كالمنظف بن الأفطس ، حاكم بطليوس ، ويحيى بن حمود ، حاكم مالقة ، لم ير من المربح استمرار تحالفه مع قرمونة رغم أنها دولة طائفية أضعف بكثير من دولة إشبيلية .

(2) - اتخاذ المعتضد للعنف سلاحاً

من المظاهر الشنيعة لحكم المعتضد اتخاذ القتل وسيلة للتخلص من منافسيه السياسيين ، وهو ما سجله كذاب سيرته الاوائل بدقة . ولقد حالت هذه الوضعية دون تطور أعمال منافسيه وخصومه الى درجة من الخطورة تهدد كيانه . فقد كانت الاغتيالات تدبر وتنفذ من طرف المعتضد بدقة ،

(86) « البيان المغرب » ج ٢٠ ، ص 312 .

وذلك لاسباب عديدة وأساليب قاسية وإن كانت فعالة. وإذا كانت معظم حالات الاغتيال المدبرة مرتبطة الى حد ما بكفاحه حرصاً على سلطته، فهناك حالات أخرى لا يمكن أن تنسب الا الى خصائص شخصية، والى تحويله وسائل حماية نفسه من خصومه السياسيين الى أهداف في حد ذاتها.

لقد وصف كتاب السير أمثال ابن بسام تفاصيل الظروف التي قتل فيها عدد من وزراء المعتضد، فيمكننا أن نذكر على سبيل المثال مغادرة صديق للمعتضد هو عمر بن الحسن الخواري لإشبيلية قبل استيلاء المعتضد على الحكم في سنة 440 هـ / 1048 م. وذلك خوفاً على أمنه. الا أنه قتل بعد هودنه الى إشبيلية من جولة في سورية والعراق ومصر والمغرب في ربيع الاول 480 هـ / يناير فبراير 1087 م. (86) ومن ضمن أمثلة أخرى مقتل أبي الوليد إسماعيل بن محمد بن الحبيب على يد المعتضد في سنة العشرين، وأبي الحسن الغائب بن حفص الذي قتله المعتضد نتيجة نكراهية ابن زيدون له وتأميره عليه (87).

وإذا كانت ردود فعل المعتضد العنيفة قد ساهمت في المحافظة على حكمه، فإنها يجب أن نعتبر بالدرجة الاولى تعبيراً عن حالة جنونية تتميز بالتركيز على الذات. وهؤيد هذا الاستنتاج عدة أمثلة حيث أن اعتماد المفرط على العنف لم يؤد الى أي هدف ظاهر سواء كان سياسياً أو غيره. كما أن تلقائته في اتخاذ القرارات ولجؤه المفاجيء الى العنف

(86) «الطلة السيرة» ج 2، صفتنا 239 - 240.

(87) نفس المصدر، صفتنا 550 - 551.

تشير الى انعدام التوازن في عقله . ولا شك أن المشال الذي يبعث على اندهاش أعبر هو جرأته في قتل ابنه إسماعيل (88) . فقد روى ابن حبان (80) أن خلافاً شجر بين المعتضد وابنه عند ما رفض هذا لقيادة الجيش الاشبيلي في الهجوم على قرطبة سنة 450 هـ . / 1068 م . فظراً لصغر حجم ذلك الجيش . وفادر إسماعيل إشبيلية متوجهاً الى الجزيرة الخضراء . وهو يقود قافلة تنقل ممتلكاته الثمينة فمنع في الطريق من الدخول الى عدد من الحصون التي كانت تحت سيطرة أبيه . ثم سمح له المسمى علي حصاد بدخول حصن شدوفة . وفاوض حصاد المعتضد بشأن عودة إسماعيل فوعده المعتضد بالعمو من ابنه خوفاً من التحايفه بأعدائه من ملوك الطوائف أمثال المظفر بن الانطس حاكم بطليوس . ورغم ذلك فما كاد إسماعيل يصل إشبيلية حتى بادر أبوه بالقائه في السجن . واعتقل مؤبديه ومن بينهم الوزير أبو عبد الله محمد بن أحمد البزلياني الذي كان قد نظم هروب إسماعيل وجماعته من إشبيلية . ثم قطع رؤوسهم .

(88) نص من كتاب «الذخيرة» ، القسم 2 في كتاب «تاريخ بني عبادة» لراينهارت دوزي؛ R.P.A. Dozy, *Historia Abbadidarum*, vol. 1, Leiden, 1864, pp. 253 and 259
 إن هذا المقطع لا يوجد في تحقيق د. إحسان عباس لكتاب «الذخيرة» ، «المعجب» ، ص . 27 و «أعمال الأعلام» ، ص . 181 و «كتاب العبر» ، ج . 2 ، ص . 157 .
 (89) نص من كتاب «الذخيرة» ، القسم 2 في كتاب «تاريخ بني عبادة» لراينهارت دوزي R. P. A. Dozy, *Historia Abbadidarum*. vol. 1, pp. 256 - 59
 د. إحسان عباس .

وقد دفع هذا التعسف باسماعيل الى اعداد محاولة لاغتيال والده ، غير أنها باءت بالفشل وأدت الى إعدام مؤيديه كما أدت الى نهائيه .
وسجلت هذه الجريمة بكيفية فريدة في رسالة بليغة أرسلها المعتضد إلى بعض ملوك الطوائف يشرح فيها الظروف ومبررات قتله لاسماعيل (90) كان هنالك مبرران أساسيان لاتخاذ ذلك القرار :

- (1) محاولة إسماعيل اغتياله .
- (2) أصبح من واجبه وقدره أن يجازي ابنه بالمعقوبة القسوى نظراً لان هذا الأخير فرض عليه هذا الموقف الصعب . إن الرسالة تعبر عن ورطة المعتضد ازاء اغتيال ابنه الذي كان محبوباً لديه وولياً لهده . وكان ذلك القرار ينم عن شعور فائق إلا أن ما وصل إليه من استنتاج هو أن مواجهة الواقع أمر حتمي لا مفر منه ، وتبرهن الرسالة بوضوح على أن ذلك العمل لم يكن جريمة وحشية متعددة بل انفعالا عاطفياً تجاه تحد خطير . واتقد تجلى ألم المعتضد النفسي نتيجة لهذه التجربة في صدمته وانفعاله لمدة ثلاثة أيام بعد هذا الحدث المثير .

ومن الامثلة التكميلية التي تدل على سلوكه غير الطبيعي إقدامه على قتل أخيه وعنه وابن عمه ، حسب ما نقله ابن حزم (81) . وكانت شهوته للانتقام ، أحياناً ، الدافع الوحيد لقتل أعدائه ومن أبرز الامثلة في هذا الصدد قصة رجل أصمى من قرية إشبيلية كان قد هرب الى مكة واستقر

(90) نفس المصدر ، صفحات 264 - 266 .

(91) « نطق المروس » ، صفحات 167 - 168 .

بها. فطورد بأمر من المعتضد ودس له السم. (98). لقد اعتبر المعتضد عداوة هذا الرجل أكثر أهمية من مغادرته لاشبيلية والتخلي عن السياسة والانحزال في حياة التأمل والعبادة. ونجد مثلا مشابها في المؤذن الاشبيلي الذي طورد في طليطلة وقتل ليحمل رأسه الى المعتضد (98). وإذا كانت دوافع اغتيال المعتضد لبعض خصومه نفسية أو شخصية فقد كانت نتائجها المباشرة وغير المباشرة. سياسيا، لصالح تدعيم استقرار حكم المعتضد الذي كانت واقعيته وانتهازيته سلاحين فعالين لقبح أذننى خطر سياسي وذلك بواسطة الاغتيال. وإذا كانت دوافع اغتيالات المعتضد سياسية بصفة جزئية، فإن بعض اغتيالاته الاخرى دوافع سياسية صرفة. ومثال ذلك دغمة لمحمد بن نوح الدمري، حاكم مورورو، وعبدون بن خزرون، حاكم أركوش، وأبو نور بن أبي قرعة، حاكم رندة. الى الاختناق في حمام ببلاطه بعد أن رفضوا مساندة ضد أعدائه ولم ينج منهم الا أبو نور (94). ورغم وضعيتهم كملفاه وضيواف فإن المعتضد لم يتردد في قتلهم بغية الاستيلاء على دولهم الطائفية. ومن جهة أخرى، فلصي يعالني أوائلك من مثل هذا المصير الشقي نتيجة لتقتهم المفرطة في المعتضد، فلا شك أن هذا الاخير كان يتوفر على قدرة خارقة في الخداع والانتاع في نفس الوقت.

(92) «المجيب» ص 97 - 98 .

(93) «المجيب» ص 98 .

(94) «البيان المغرب» ج 5، صفحات 296 - 96 و «أعمال الاعلام» ص 181

و«كتاب العبر» ج 4 ص 107 .

المعتمد محمد بن عباد بن عباد (461هـ / 1068م - 484هـ / 1091م).

(1) خلافة المعتمد لأبيه

انتهى حكم المعتمد محمد بن عباد الذي كان في ظاهره مزدهراً بنهاية الدولة العبادية وادمج المرابطين لإشبيلية في المغرب، فضلاً عن الأسباب الخارجية (التي سنعالجها بمزيد من الدقة في الفصل الرابع) والظروف الداخلية وعواملها. فلم يكن المعتمد يتوفر على شخصية ومزاج كافيين يؤهلانه لمنصب حاكم شبه مطلق، يقع النظام السياسي بأكمله على عاتقه. ولذلك لم يستطع فرض زعامته كقائد صارم، خصوصاً وأنه كان معرضاً لضغوط شديدة ومتزايدة في شكل تهديدات خارجية قاهرة، مما مكن المعتمد من خلافة المعتمد عند وفاته في سنة 461هـ / 1068م، ووفاة أخيه الأكبر، إسماعيل في سنة 480هـ / 1068م. (96). إن الانقلاب الفخمة التي اتخذها محمد بن عباد كالمعتمد على الله كانت عبارة عن رمز لفترة حكمه الذي كان عند قيامه متيناً إلى درجة أنه حافظ عليه لمدة تقارب عشرين عاماً، غير أن هزيمته النهائية في رجب 484هـ / 1091م. أدت إلى ضم إشبيلية للمغرب (96) ونفس القوى الداخلية والخارجية التي كانت السبب في سقوط إشبيلية

(96) كان حكم المعتمد من رجب 461هـ / أبريل - ماي 1068م إلى رجب 484هـ / مارس - أبريل 1092م. (المعجب، ص. 102)؛ نص من كتاب «تلائد العقيان» في كتاب «تاريخ بني عباد» لراينهارت دوزي؛ R. P. A. Duzy, *Historia Abbadidarum*, vol. 1, Leiden, 1864, p. 48.
(96) «الذخيرة» - القسم 2 - ج. 1 - صفحات 52 و 56.

قد قررت مصير دول الطوائف الأخرى التي سقطت تحت ضربات الجيش المرابطي غير أن انهيار حكم المعتمد جاء أيضاً نتيجة قوات الخليفة متضاربة تصادمت طيلة القرن الهجري الخامس، فشل المعتمد في توجيهها فضلاً عن حصرها. وكان المعتمد لما تولى الحكم يتمتع باعتراف وقبول تامين من طرف الجميع بفضل مجهودات أبيه وجده في تدعيم السيادة الدائمة لبني عبد الله إشبيلية. ولذلك لم يواجه المعتمد أية معارضة جماعية مثل التي هددهت الفاضل ابن عبد، كما لم يتعرض لمؤامرات عديدة دبرها أفراد مثل التي تسلطت على المعتضد فألجأته إلى استعمال العنف والقتل. ومع ذلك فإن المعتمد كان يحكم في ظروف مشابهة لتلك التي حكم فيها سلفاه، ويشير هذا الأمر إلى الاحتمال التالي: نظراً لوجود معارضة للقاضي والمعتضد فمن المرجح أن يكون المعتمد قد تعرض لخطر مماثلة بسبب عدم إدخال أية تحسينات على النظام. ولكن يجب الانتباه إلى أن المعارضة التي واجهت المعتمد اتخذت شكلاً جديداً انصرف بالتخفي والدعاء. فلم يتخذ المعتمد، خلافاً لابيه، تدابير وقائية في سياسته للحفاظ على حكمه. ويمكن لهذه الوضعية أن تليق ضوءاً على أسباب تأخير وزير المعتمد، ابن عبد، في توجيه سياسة إشبيلية إلى درجة أن شخصاً هو (عبد الله بن بلقين) تمكن من انتقاده (97).

www.j4know.com

www.j4know.com

87 • كتاب التزيان • 10 صفحاتي 79 - 86.

3. الأسباب الخارجية والداخلية لضياع سلطة المعتد

إن عواقب عدم الاستقرار المتواصل الذي زعزع الحياة الاجتماعية في إشبيلية خلال عهد بني عباد قد شكل مساهمة أساسية في الانهيار النهائي للحكم. فلقد أثرت حالة الحرب المستمرة على نمو النظام الإشبيلي اجتماعياً واقتصادياً حيث كان مضطراً إلى تحمل ثقل حملات عسكرية لا قبل له بها نظراً لاستمرارها وتزايد اتساع نطاقها.

كما كانت هناك أسباب أخرى ساهمت في انعدام الاستقرار منها ما كان بعيد المدى كأداء الجزية، فقد انعدم الاستقرار في إشبيلية أول الأمر نتيجة للصراعات حول خلافة قرطبة، غير أن استمراره أصبح سبباً لانهاؤها عند ما منعت إشبيلية من سلوك خطة تلاثم حاجياتها، وقد تجلّى انعدام الاستقرار في جبل جوانب الحياة بإشبيلية. ومن الأمثلة على هذه الحالة المضطربة عدد القتلى في المعارك، ومنهم ولدا المعتد، فتح ويزيد، اللذان رثاهما أبوها في أبيات شعرية (98). أما سقوط إشبيلية المفاجيء، فربما كان أكبر دليل على ضعف أسسها السياسية، إذ لا شك أن الأسباب غير المباشرة كانت قائمة طيلة القرن. فلم يكن انهيارها النهائي إلا الذروة الطبيعية للأحوال السائدة.

(98) «الذخيرة» ، القسم 3 ، ج. 1 ، صفحاتنا 70 - 71 ، نص من كتاب «قلائد القيان»

في «تاريخ بني عباد» لراينهارت دوزي ، vol. I ، R. P. A. Dasy, *Hismata Abbadidarum* , Leiden, 1846, p. 48 .

لقد كانت مؤهلات المعتمد للقيادة محدودة وغير ملائمة لمواجهة الخطر الداخلي والخارجي الذي كان يهدد إشبيلية ، نظراً الى أنه لم يكن في حاجة ملحة الى استمالة أتباعه الذين قبلوا سلطته بدون شروط. ثم إن الاعتراف العام بدهمه كان قائماً على الوراثة ، فوجد المعتمد نفسه في مكانة امتياز كأعلى سلطة في إشبيلية بطريقة غير منازع فيها . وهذا ما يفسر عدم قيام أي أحد بتحديه علائقية إلا بصفة نادرة ، كما يفسر عدم استعداده الكافي لمواجهة خطر يوسف بن تاشفين، الأمر الذي أدى إلى نهاية حكمه .

وكانت زمامته زمامة تنقصها الحيوية والنشاط لأنها لم تستعمل لتنمية مدى شعبيته وترسيخ عمقها . ووجد المعتمد نفسه ، نتيجة لذلك ، يتفاعل لتطورات داخلية بدلا من إنعاش سياسته ، فضلا عن إلهامها . ويرجع ذلك الى أنه كان يفتقد جاذبية الزمامة التي تحرك الاتباع على مستوى جماهيري واسع . فهو لم يستغل السند الشعبي السابق لبني أمية ، كليا ، كما أن هذه الشرعية لم تحول لصالح ملك ممين من ملوك الطوائف . وهكذا ظلت شخصية المعتمد عاجزة عن خلق حماس يعادل الحماس الذي أفرزته أسطورة هشام الثاني . فرغم التقدير العظيم الذي حظي به المعتمد على المستوى الداخلي لأسباب أدبية ومزاجية ، كبرائته في الشعر الى جانب كرمه . نغلبا ما كان يخشى من الناحية السياسية . ومما يرجع بما سلف أن مصالح المعتمد الشخصية لم تكن مرتبطة بمصالح رعاياه بإشبيلية حيث أنه كان السيد والبطل ، بينما لم يستغل مفهوم الأرض لاذكاء وهي جماعي ، فلم تكتسب الدولة الطائفية معنى الوطن حسب المفهوم الحديث .

ومما يشير إلى ضعف المعتمد ككفالة نشيط عدم وعيه بالمؤامرات والدسائس والمكائد المؤدية المدبرة من طرف صغار موظفيه وقادته العسكريين . الامر الذي كان يشجعهم على التباخي في صلهم . ويمكن في تبيان ذلك ذكر مثال احتلال ابن رشيق لحصن مرسية التي عينه المعتمد عاملا عليها . فقد كان بمستطاع المعتمد أن يتجنب ذلك لو فرض مراقبة أشد على سلطة ابن رشيق (99) . وصل ابن رشيق على تقوية المساعدة المحلية لنفسه، مما أدى الى رفضه تعيين المعتمداً لابنه الراضي عاملا على مرسية (100) . وتنجلى خطورة تمرد ابن رشيق في سعيه الى تحكيم يوسف بن ناشئين في خلافه مع المعتمد . الامر الذي يؤكد بوضوح أن فشل المؤامرة لم يكن راجعا الى مجهودات المعتمد بقدر ما كان بسبب رفض يوسف تقديم أية مساعدة له (101) . وعلاوة على ذلك لم يلجأ المعتمد الى العقاب تعذيرا للمتطلمين الى التمرد . معتمدا على أن حكمه مقبول بالاجماع . ولا ينزعه أحد فيه .

ومكان المعتمد يبالغ في الاعتماد على قيادة العسكريين خلال المعارك . الامر الذي يشير الى ضعفه وصعزه عن القيادة . فقد كان على خلاف محاصره البارزين كيوسف بن ناشئين وألفونسو السادس اللذين قادا جيوشهما شخصيا في أغلب الاحيان . يفضل الاعتماد على رؤوسه العسكريين

(99) «صائب التبيان» ص 111 - 112 .

(100) نفس المصدر + ص . 112 .

(101) نفس المصدر + ص . 111 .

ولا يشارك شخصيا في المعارك الا مضطرا، مثلما وقع في معركة التل لاقفة عند ما حكانت الأندلس تدافع عن استمرار وجودها ضدًا على ألفونسو السادس، أو عند ما شارك في الدفاع عن إشبيلية في سنة 484هـ / 1091م في مواجهة جيش يوسف الذي وصل الى أعتابه (102). وكان ضعف الرؤية السياسية عند المعتد إلى جانب عجزه عن تقرير مستقبل إشبيلية عنصرًا أساسيا في سقوطها النهائي. فقد كان المعتد يفتقد البصيرة السياسي الذي كان يمتاز به الأمير عبد الله بن بلقين، حاكم غرناطة، ولو أنهما لقيما مصيرًا مشتركًا عند ما فشلوا في مواجهة الحملة الجارحة لجيوش يوسف بن تاشفين (108). لقد كان الأمير عبد الله يقيم سلوكه وفق خطة نظرية، فكانت رؤيته عقلانية رغم فشله المتكرر مثلما حدث عند ما رفض إعطاء ألفونسو جزية مبالغها 20.000 مثقال (دينارا) فاضطر الي إضافة 10,000 دينارًا أخرى (104). ويوضح لنا هذا المثال أن سلوك عبد

(102) نفس المصدر، ص 170؛ «الذخيرة»، القسم 2، ج. 1، ص. 82 و«المعجب»، صفحات 140 - 142 و«أعمال الأعلام»، صفحات 179 - 180 وأبو عبد الله محمد بن عبد الله إسان الدين بن الخطيب، «الإحاطة في أخبار غرناطة»، ج. 2، تحقيق محمد عبد الله حنان، القاهرة، 1994هـ / 1974م، ص. 118 وأبو المباس أحمد بن محمد بن خلفان، «تواريخ الأندلس»، ص. 117، تحقيق إسماعيل عباس، بيروت، 1968 - 1972، ص. 80.

(108) «كتاب التبيان»، صفحات 154 - 162، 168 - 171 (104) عندما نقارن عمق الإدراك السياسي عند كل من المعتد بن عبد الأمير عبد الله بن بلقين، من جهة نجد نفسنا أمام صعوبة خاصة من حيث اعتمادنا على معلومات تعكس تفكير المعتد السياسي من مصادر غير مباشرة، باستثناء شعره الذي كان أساسًا لا سياسيًا، ومن جهة أخرى، «كتاب التبيان» الأمر عبد الله معلومات دقيقة ومفصلة حول دوافعه السياسية العميقة. مع ذلك لقد عاصر كل من الشخصيتين المذكورتين عهد ملوك الموحدين وواجهوا مشاهل متشابهة وتطورات ضمن إطار جغرافي وسياسي واحد.

الله سبحانه منطلبا عند ما بعد احتمال تحالف المعتمد مع أنفوسو عليه باعتبار اشتراكهما في العقيدة الاسلامية (106)، ونتيجة لذلك كان المعتمد هو الذي فشل في تقدير الخطر البعيد المدى لانهجه في مساندة أنفوسو ، نظراً لكون هذا العمل كانت فنقصه أسس منطقية ، إذ كان من تدبير وزيره اهن صبار (106) .

وبينما كانت قرارات المعتمد تتخذ بناء على النصائح المطربة من طرف وزراءه وحاشيته المتآمرة كزوجته اعتماد الاثيرة . فان الامير عبد الله كان يزن كل حالة على حدة ويتوقع التطورات والنتائج المحتملة الى أن كان يصل في غالب الاحيان الى الاستنتاجات التي تترك له مجالاً للمناورة (107) وإذا ما قابلنا سلبية المعتمد النسبية إزاء مروؤوسيه وجدنا أن شكوك الامير عبد الله نحو موظفيه السامين كانت تحول بينه وبين سلوك مرونة أكبر (108) .

(106) وهناب التبيان، صحتنا 80 و 76 .

(106) وهذا الدافع واضح حيث يبرر منه عبد الله بكل وضوح (نفس المصدر ، صحتنا 80 و 83) .

(107) رغم صحتنا ربما بالغ عدد من المؤرخين في وصف مائة علاقة المعتمد بزوجه اعتماد وحيه ناه إذ أخذ هذا الوصف طابعا رومانيا . أما فيما يخص الامير عبد الله فقد نبع نهجا نظيره الواقعية عندما شرح الدوافع والاسباب التي تفسر التطورات السياسية عند عرض فلسفته السياسية . فتهيرره المنطقي القرارات التي اتخذها بشأن أهـ أموال الجزية لانفوسو السادس ، يعبر عن عقليته ، (وهناب التبيان ، صفحات 122 - 127)

(108) نفس المصدر ، صحتنا 76 - 77 .

وعمل رد فعله تجاه الاعتمادات العنيفة التي شنّها يوسف ضد بلوك الطوائف بعد حصار حصن لبيط (Alode) في سنة 481 هـ / 1088م. هو أفضل مثال على قدرة عبد الله ومروته السياسية. فبينما أدت المعرفة الصارمة التي أبدّاها المعتمد إلى أن يسجن بأغصات بعد هزيمته. فإن الأمير عبد الله تنبأ بالنتيجة الحتمية لمقاومته ليوسف، ففضل التفاوض على الاستسلام. لقد طغت أثرة المعتمد على تحكيمه العقل، بينما كان الأمير عبد الله يحلل كل العوائق اعتماداً على المنطق. فاستنتج أن حظوظه في مقاومة القوى الداخلية والخارجية المعادية كانت ضئيلة (109). وخلافاً لروح عبد الله الواضحة كان المعتمد يعي وعياً تاماً خطر يوسف على دولة الأندلس كافة، فقرر مواجهته رغم العواقب السيئة معتبراً نفسه جسديراً بأن يدافع عنها خلقاً وشرماً (110).

كان وعي الأمير عبد الله بالقيود التي فرضتها عليه الظروف السياسية العامة يتناقض مع الثقة المفرطة عند المعتمد في نفسه ومبالغته في تصور طاقاته وامكانياته الفعلية. ومن هنا تتبين جذر الأمير عبد الله المفرط في تورطاته السياسية وضخامتها، خلافاً لثقة المعتمد التي أبان عنها في حالات

(109) يدافع الأمير عبد الله عن نفسه ضد هذه الاتهامات (نفس المصدر) صفحات 137 - 138. رغم أن موقفه هذا كان معتمداً منه نظراً لظروفه ككتب مذكراته وهو أمير عند يوسف بن تاشفين.

(110) كان للمعتمد رغبة قوية في الدفاع عن وجوده، رغم العرائل الضخمة التي واجهها. ويتجلى ذلك في مولفه ضد ضغوط يوسف بن تاشفين حتى قبل أن يشن هذا الأخير حملته العسكرية على إشبيلية.

متعددة - فالطريقة التي باشر بها عبد الله ثورة حصن ليوسنة تكسب بوضوح حليته وتمقله . فعندما نحدد سكان ليوسنة المزهقون بالضرائب، كان رد فعل عبد الله لأول وهلة رداً قريظاً، إذ فكر في سحق ومعاينة قائد الثورة اليهودي ابن ميون (111) غير أنه سرعان ما ضبط أعصابه عند ما حذره قائد جيشه ، مؤمل ، من احتمال ردود عنيفة إزاء تلك الخطة . فوافق على تهدئة الوضع بانتهاج وسائل سلمية رغم رغبته العاكسة (112) وهناك مثال آخر هو قراره بعدم تنفيذ إعدام الثائر ابن القلمي اعتباراً لمرتبته المتميزة عند يوسف (113) . وقد امتنع الأمير عبد الله في الحاليتين عن اللجوء إلى استعمال القوة والقمع وسيلة وقائية مبرراً عن خشيته من عواقب محتملة غير مرغوب فيها .

وبينما كان الأمير عبد الله يقيم الحساب لعلاقاته الشخصية مع ثوار التمرد بن أو الثوار المحتملين كان المعتمد يدير موظفيه الرسميين بطريقة آتية في نطاق النظام الإداري الموجود أو بطريقة تلقائية كرد فعل على إهانات شخصية . فقد كان يتفاعل أحياناً ضد الثوار بكيفية عاطفية وعلى مستوى الشعور الشخصي ، مجاناً أي اعتبار جدي لنتائج أفعاله في التشجيع على قيام ثوار جدد ، وبشير الطابع العاطفي القوي لرد فعله في قضية مرسية ، عند ما ثار عليه ابن عمار ، ثم مؤمل ، إلى اقتداره للواقع السياسية .

(111) «كتاب التيهان» ص 151 .

(112) نفس المصدر ، ص 182 .

(113) نفس المصدر ، ص 110 .

وبكشف رد فعل المعتمد للتحدي الذي شكله المتمردان المذكوران
 انعدام التفكير التحليلي لديه . لان كلا من ابن عمار والمؤمل تمكنا من
 النضج ككائنين بنجاح ولم يواجهها إلا عند ما أصبحتا خطراً جديداً على
 سيادة المعتمد داخل أراضيه، كما أن هذا التحدي كان يهدد بالانتشار في
 وقت تعرض فيه المعتمد لضغوط خارجية لم يسبق لها مثيل . فلقد كان
 المعتمد من الناحية السياسية ساذجا يبغض طموح وزارته وقواده العسكريين
 ويفترض أن ولاهم وطاعتهم لشخصه أكثر منانة مما كانا عليه بالفعل .
 وخلافاً لذلك كان الامير عبد الله بن بلقين يدرس احتمالات كل حالة
 في حد ذاتها ويحاول توقع هواقب كل قرار يتخذه بشأن المتمردين عليه .
 فبينما أقدم على اعدام المتمرد ابن تقنوت لكي يلقن القواد الاخرين درسا .
 بعث وزيره سماجة المنفى وأذن له بحمل ذخائره معه لكي ينشر في الناس
 صورته كحاكم رحيم غفور (114) . ونشير الطريقة الدقيقة التي أخذ بها
 خطر أخيه المتمرد مثالا آخر على مناهجه . وكان الامير عبد الله قد غزا
 أراضي مائة لآخيه نعيم حاكم مائة ، ولكنه سرر بغتة وقف الحملات
 العسكرية لينسحب الي غرناطة ، مستغلا بهذه الطريقة انتصاره العسكري
 استفلا سياسيا دون أن يعرض نفسه لهزيمة عسكرية (115) .

والمفاوضات ذاتها مقياس آخر لتناقض شخصيتي المعتمد وعبد الله ،
 فقد ألح هذا في مذكراته على الطريقة العفوية التي ساهم بها المعتمد

(114) نفس المصدر ، صفحتا 88 و 89 .

(115) راجع عن هذه التية بوضوح (نفس المصدر ، ص . 84) .

في انهياره النهائي . فمفاوضاتها بخصوص السيطرة على حصون مختلفة ،
 وتهديد المتمردين لهما ومهادنتها السلمية تعكس كلها مزاجي رجلين
 سياسيين متناقضين . فقد كان الامير عبد الله بصفته حاكما يترأس
 باستمرار وفوده، شخصيا، خلال المفاوضات، إلا في حالة وجود دافع سياسي
 مانع . ومن هنا تأتي لقائاته الشخصية مع سيسناردو دافيديث (ششندو)،
 وهو المستعرب الذي أرسله ألفونسو أو مع ألفونسو نفسه أو قائد العسكري
 وممثله ألفار فانيث (البرهنش) بشأن تحديد قدر الجزية (116) . ورغم أن
 الامير عبد الله كان يعتمد أحيانا على مبعوثيه خلال مفاوضاته مع ألفونسو
 السادس والمعتمد بن عبد يوسف بن تاشفين ، فإن إرشاداته لهم كانت
 تطبق عادة، بينما رسول المعتمد ، ابن عمار، كان يتمسك باستقلال نسبي
 في مفاوضاته مع ألفونسو . فعلى سبيل المثال ، كان الامير عبد الله يلوم
 ابن عمار على حزازاته مع المعتمد ، كما يعتبر أن مفاوضات ابن عمار
 وألفونسو كانت تنقل مصالح إشبيلية ، وأن الدافع وراءها كان مجرد
 طموحه الشخصي . وبالإضافة إلى ذلك فإن حنجر المعتمد بوصفه مفاوضا
 كان يتجلى في سرعة انفعاله لضغوط ألفونسو عليه ، بعد اسقاطه لطليلة
 في سنة 478 هـ / 1085م ففضبه على فحش اليهودي المكلف بجمع الجزية
 لألفونسو دفع بالمعتمد إلى قتله . ولد أدت هذه الأدلة حتما إلى نتائج
 لم يمكن المعتمد مؤهلا لمواجهةها (117) . وفي نهاية الامر نجد جواب المعتمد

(116) لقد جاء ذكر هذه المفاوضات في «كتاب البيان» صفحات 78 - 76 و 188-184 .

(117) مؤلف مجهول ، «الطال الموشية في ذكر الأعيان المراكشية» ، تحقيق | . من

علوش ، الرباط ، 1936 ، ص 39 .

على الانذار الخطير الذي وجهه ألفونسو إليه بشأن تسليم إشبيلية بدون أي شرط يبرز عجزه عن قبول موقفه الضعيف إزاء ألفونسو وغياب أية محاولة لاقتناع هذا الأخير باتخاذ موقف أئمن ، بل إن هذا الجواب قد تميز بلهجة معينة (118) . ومن المناسب الإشارة من جهة أخرى إلى أن ألفونسو كان تازما في هذه المرحلة على احتلال الأندلس بأكملها مما كلفه ذلك من ثمن .

ثم إن بيئة المعتمد المعقدة من السياسة كانت عنصرًا ضمنيًا في نمط حياته الموروث عن أبيه ، فرقم أن خاصيات المعتمد الأدبية كانت على سبيل المثال ذات أهمية أساسية في تقرير نمط نشاطه وقت الفراغ داخل القصر. فإن ذلك النشاط قد طبع بطابع وزرائه الشعراء الذين سبق أن عملوا في ظل المعتمد كتابين زيدون والبيزلياني. لقد كان أثر الشعر في السياسة واضحًا من خلال دور شعر أبي بكر ابن عمار الذي كان سببًا مباشرًا دفع بالمعتمد إلى قتل صديقه القديم ووزيره (118) . ولذلك كان المعتمد ، أساسًا ، حاكمًا محافظًا حيث عمل في نطاق الظروف والنظام الموجودين ، مؤديًا في هذا الصدد دوره كحاكم ففقد بعض الحملات العسكرية لأن هذا الدور كان منتظرًا منه رمزًا لسلطته .

(118) يوجد النص الكامل لرسالة ألفونسو السادس وجواب المعتمد عنها في «العلل البوشية» ، صفحات 25 - 30 ، محمد عبد الله هتان ، «دول الطوائف» ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، 1969 ، صفحات 75 - 76 .

(119) «المعجب» ، صفحات 126 - 129 ، و«أعمال الأعلام» ، ص 187 .

وأيضاً وصفه احتفالاته بعد انتصاره على قرطبة في البيت التالي :

«خطبت قرطبة الحسناء إذ منعت،

من جاء يخطبها بالبيض والاسل» (123).

وكان رد فعله على محاولة أبي يحيى محمد بن صمادح ، حاكم

ألمرية ، لتعكير علاقته بيوسف بن تاشفين في الشطر التالي :

«يا من تعرض لي بريد مسائي» (124) .

فإذا حكمنا على فترة حكم المعتمد من خلال هدفها فس نجد أنها كانت فشلاً ذريعاً ، ولو أنه كان أنجح ملوك الطوائف ، إذ كان محترماً على نطاق واسع كما كان له ذعر طيب في جميع أنحاء الأندلس . إلا أن استمراره حاكماً على إشبهية في المدى البعيد كان يتطلب مزايا لم يمكن يتوفر عليها إذا أخذنا بعين الاعتبار صعوبة الظروف أواخر حكمه . فالعوامل الداخلية التي أدت إلى الاضطراب السياسي وشخصية المعتمد السياسية لم يكونا كافيتين في حد ذاتهما لاجداث سقوط إشبهية لولا دور التهديدات الخارجية الخطيرة التي شكلها على التوالي كل من ألفونسو ويوسف بن تاشفين .

(123) نفس المصدر ، ص . 46 .

(124) نفس المصدر . ص . 51 .

1. The first part of the text discusses the importance of maintaining accurate records in a business. It states that records are essential for tracking financial performance, managing inventory, and ensuring compliance with legal requirements. The text emphasizes that without proper record-keeping, a business may face significant risks, including loss of revenue and legal penalties.

2. The second part of the text focuses on the role of technology in record management. It highlights how digital tools and software can streamline the process of collecting, storing, and retrieving data. The text notes that modern record management systems offer enhanced security, scalability, and ease of access, which are crucial for businesses operating in a fast-paced, data-driven environment.

3. The third part of the text addresses the challenges of record management. It identifies common issues such as data redundancy, inconsistent formatting, and limited search capabilities. The text suggests that businesses should implement standardized protocols and invest in robust record management solutions to overcome these challenges and ensure the integrity and availability of their data.

4. The final part of the text concludes by reinforcing the importance of a proactive record management strategy. It encourages businesses to regularly review and update their record management policies to stay current with industry best practices and technological advancements. The text concludes that effective record management is a key component of a successful business strategy, enabling organizations to make informed decisions and maintain a competitive edge.

الفصل الثاني

الحكومة والادارة في دولة إشبيلية الطائفية

I - النظام السياسي الاشبيلي

1 - مفهوم الدولة الطائفية كنظام سياسي

(أ) تحديد المفهوم :

إن الصعوبات المترتبة عند محاولة تحديد مفهوم النظام السياسي في دولة إشبيلية الطائفية ناتجة عن خصائصه الفريدة من جهة، وعن تركييب الميزات المتناقضة فيما بينها من جهة أخرى. فدولة إشبيلية الطائفية رغم تشابهها مع النظم السياسية الأخرى، تفتقد في عدة جوانب وتختلف عنها في جملتها.

فلقد كان بنو عباد أعلى سلطة تنفيذية في البلاد، الأمر الذي أكد سيادتهم داخل حدود إشبيلية التي استمرت في توسعها إلى بزوغ المواجهة العسكرية الحاسمة مع ألفونسو السادس، ويمكننا انطلاقاً من هذه الظاهرة أن نعتبر إشبيلية دولة قائمة الذات بوجود حدود قانونية محددة، وبخضوع هذه الحدود لسيطرة بني عباد في معظم الأحيان وبشعابش السكان التام داخلها.

كان الاشبيليون في ظل حكم بني عباد يعتبرون أنفسهم مجموعة سياسية بدافع من ضرورة الدفاع عن النفس من جهة ، ولانفرادهم من جهة أخرى بنظام سياسي هو موضوع هذا الفصل. وتجدر الإشارة الى أن هذا الانتماء السياسي لم يكن مقصوراً على الاهالي بحسب أنسابهم. لان الهجرة ، طوعاً أو كرهاً. من دولة طائفية الى أخرى كانت ناتجة عن انعدام الاستقرار الشامل الذي اتصفت به الاندلس فنحن نجد ، مثلاً ، ضمت المهاجرين الى إشبيلية أحد أعظم وزراء المعتضد هو ابن زيدون القرطبي. وكذلك كان أمر الوزير ابن همار، وأصله من شلب (Silves) وابن اللبانة من دانية (Dania) وقد شغل كلاهما مناصب سامية في قصر المعتضد .

ويبين الطابع الطائفي لدولة إشبيلية أساس القوة البشرية في نظامها السياسي ، حيث أن القاضي بن عباد ساندته في الاصل طائفة من أعيان إشبيلية فأسس حكمه بواسطتها (1) . وكان تأسيس دولة إشبيلية الطائفية في حد ذاته تعبيراً سياسياً لمجموعة بشرية متكاملة و منسجمة حاولت تنظيم نفسها والدفاع عن كيانها بعد أن انهارت سلطة قرطبة المركزية انهياراً نهائياً . واستمرت الخاصية الجماعية للدولة الطائفية عند ما حاول ملوك الطوائف فرض حكمهم. معتمدين على مساندتهم لمجموعات اجتماعية كأعيان بعض المدن ، أو عند ما ناصروا أطرافاً سياسية متنازعة متصادمة . ويمكننا أخيراً أن نقول ان عنصر المصلحة في النظام كان في جوهره سطحياً وبمكس نفسية الانخداع لمنظورهم السياسي .

(1) «الذخيرة» . القسم 8 ج 1 ص 18 .

أخذ وجود دول الطوائف هبة أشكال . فكانت إشبيلية أقواها ، إذ تميزت عن باقي الممالك الطائفية الضعيفة مثل فرمونة والجزيرة الخضراء اللتين بسطت سيطرتها عليهما فيما بعد . وشكلت أجهزة الحكم بإشبيلية نظاما متميزا يلبي الحاجيات العدلية والإدارية والسياسية لسكان إشبيلية الذين مارسوا حياة اجتماعية منظمة في المدن والقرى بينما نجد أن الدول الطائفية الأخرى كانت عبارة عن حصون صغيرة ومناطق مجاورة لها بسط قادة عسكريون أو عمال سابقون حكمهم عليها، ولجئنا أن النظام السياسي الإشبيلي، على نطاق الأندلس ، كان مزوفا يحاول باستمرار ضمان الاكتفاء الذاتي . فقد كانت علاقاته بالدول الطائفية الأخرى تعسفي ، عادة ، حملة العدا . وكان إشبيلية بحجمها ونشاطها وقوتها قبلة المهووبين في أطراف الأندلس، الأمر الذي يفسر نجاحها والتعاضد الظاهري . ولكن الدولة الطائفية كانت في مضمونها ، على العموم ، ظاهرة غير قابلة للاستمرار في الوجود نظرا لمزتها وانطوائها على نفسها .

وكانت العجومات المتبادلة بين دول الطوائف على العموم متوالية . فكل دولة شاعرة بالقوة كانت تعتمد الهجوم على الدول المجاورة لها . وهذا هو ما فعلت إشبيلية أثناء عهد بني عباد . وبما أن دول الطوائف لم تكن قوية إلى درجة تمسكها من فرض سيطرتها على غيرها بطريقة حاسمة توالت الصراعات بينها حتى أنه يوسف بن تاشفين على وجودها المعتصر . ونلاحظ بسبب ذلك التلاحق انعداماً تاماً للتعاون بين معظم الدول الطائفية على المستوى السياسي - ومع ذلك فإن هذه الحالة لم تؤد إلى تعطيل الاتصالات - فقد كان المتمردون على دولة طائفية معينة يتسعون بالحماية في دولة طائفية أخرى ويتخذونها منطلقاً لهجومهم عليها . نذكر

على سبيل المثال ابن كباب الذي قاد هجومات جيش الامير محمد الله على
المعتمد في أرجونة (Arlona) وأنتقيرة (Antoquera) (2) .

وصكان تأثير هذه الاحوال في الجهاز الاداري عظيما لان قدرته على
تلبية الحاجيات التي انشئ من أجلها أخذت تتضائل تدريجيا . كما أن
الضغوط المستمرة على الحاكم جعلت قبايته الرئيسية ، والوحيدة أحيانا ،
هي ضمان وجوده ، حتى وصلت الحالة الى درجة جعلت من المستحيل على
شكل من الحاكم والنظام أن يستمرا على ذلك الوضع . وهذا ما يفسر
مقولتنا بأن الدولة الطائفية كانت ظاهرة هابرة .

فمن المسلم به أن أسس الدولة الطائفية كانت دائما مهددة بالزوال
وأن تاريخها عبارة عن فترة مليئة بالاصلاحات الظرفية المحدودة وبالكفاح
من أجل البقاء . لذلك وجب وضع النظام السياسي باشبيلية في هذا الاطار
حتى يتسنى لنا تقييمه فلقد تجمعت عدة عوامل لتقرر تطور ومصير النظام
السياسي لدولة إشبيلية الطائفية منها نشأة إشبيلية المفاجئة في سنة 1014 هـ /
1023 م . وقبلورها خلال فترة قصيرة تقارب سبعين سنة وبرز طابعها المحلي
رغم خصائص الدولة التي تميزها . ثم نموها ، رغم تعرضها المستمر لانعدام الاستقرار
الداخلي وقدرتها على مواجهة ضغوط ألفونسو السادس ويوسف بن تاشفين .

(2) كتاب البيان ، صفحتا 96 - 96 .

(ب) مكافئة الدولة الطائفية في التاريخ الأندلسي

لقد نشأ باشبيلية في عهد بني عباد نظام سياسي جديد يلبي الى حد ما حاجيات الدولة الحديثة النشوء ، كما يعكس الانجاز السياسي لدور إشبيلية بصفتها دولة طائفية رئيسية . ورغم تأثير إشبيلية العظيم في مجموع دول الطوائف فلا يمكن مقارنة حجم إدارتها الصغيرة بإدارة دولة بني أمية . ومع ذلك انهدت هذه الأخيرة نموذجا ومثالا يحتذي ، الأمر الذي أدى الى تغيير بنية نظام بني عباد السياسي على عدة مستويات ، مع أنه كان يستهدف في الأصل تأدية وظائف كانت تقع ضمن مسؤوليات قرطبة ، فقد تطور تطوراً موازياً للحاجيات المادية والاهداف السياسية لدولة بني عباد .

ويمكن تفسير تكوين نظام إشبيلية السياسي وجهازها الإداري نتيجة ظروف تاريخية خاصة تجسد في انحلال الأندلس باعتباره على نموذج نظام دولة بني أمية القاضي بفرض نظام الخلافة المزدهر على دولة صغيرة . ونظراً لتناقض النظام الإشبيلي ظهرت عدة تناقضات في حيز التطبيق للنموذج الأموي فتجلى التناقض الأول كما سلف ذكره ، فبينما تطور النظام السياسي في دولة فرضت سيادتها على معظم الأندلس كانت حدود إشبيلية بسكانها القلائل تتطلب نظاماً أبسط وأبهر . وعملاً لم تكن إشبيلية في عهد الخلافة الأموية الا إقليماً من أقاليم دولة الأمويين .

أما التناقض الثاني فيعزى الى اختلاف حاجياتها . إذ كانت المشكلات المعقدة الناتجة عن اتساع رقعة الأراضي وكثرة السكان في الدولة الأموية تتناقض مع حاجيات السكان الإشبيليين التي كانت أقل أهمية منها . وبالرغم من ذلك فان لائحة الموظفين الواردة في الجزء الثاني من كتاب

«الذخيرة في معادن أهل الجزيرة» لابن بسام الشنتروني ثبت أن عدد الوزراء الذين عملوا بإشبيلية في ظل حكم بني عباد بلغ سبعة وعشرين وزيراً على الأقل (8). ولا شك أن عددهم كان أكثر من ذلك لأن الأمانة وضمت بهدف دراسة تلك الشخصيات من الزاوية الأدبية. فمن جملة الوزراء الذين أفلتت القائمة ابن زيدون السني عمل في قصر بني عباد، وذلك لأن ابن بسام خصص قسماً آخر من كتابه لدراسة (4). ويشير عدد الوزراء الإشبيليين التي أن عدد الموظفين بها كانت ضخماً. ولا ريب في أن جهازاً إدارياً كبيراً كهذا كان عبئاً ثقيلاً على سكان إشبيلية الذين نصلو تكاليفه، فأصبحت حاجيات إشبيلية بصفتها إقليمياً سابقاً في دولة بني أمية تقع تحت مسؤولية إدارة بيروقراطية مستقلة، ولكن تنظيمها استمر في اعتماده على المقاميس التي ميزت إدارة الأمويين.

كان اعتماد النظام السياسي الإشبيلي على وجود دولة بني عباد ذا أهمية قصوى، إذ لم يستطع هذا النظام أن يستمر بعد غيابهم، إذ لم تكن الفترة الوجيزة التي عاش خلالها كافية لتمكينه من متابعة التطورات وتكييفها الكلي مع حاجيات إشبيلية، وقد كانت قدرته أضعف لمواجهة الضغوط الخارجية. وإلى هذا العامل يمكن الرجوع قصر حياة النظام السياسي بإشبيلية.

(8) انظر القسم الثاني من كتاب «الذخيرة» حيث هناك أوصاف وألقاب مختلفة للوزراء منها: «الكاتب» و«الوزير» و«الوزارتين».

(4) «الذخيرة» القسم الأول، ج. 1، صفحات 238 - 237، ويقع التمهيز بطبعة الخال على عمر ابن زيدون كما أن هناك إشارة لبعض المناومات الطريفة حول هذا الشاعر.

ولا يمكن القول بأن تنظيم الدولة كان وحدة تقرر أدور إشبيلية
بفتحها دولة طائفية قوية . فمثل ما يمكن استخلاصه هو أن ذلك التنظيم
ساهم في نموها ، بينما يصعب القول بأن حكام بني عباد كانوا
مؤيدين تماما بذلك التنظيم . بل ربما كان المعنى هو الأصح .
فبدلا من أن يكون عنصرا منسجما كان يشكل في الواقع إطارا
مخططا . أما الأحداث فكانت تقرر سيرها عوامل أخرى . ويجب أن لا
نبالغ في أهمية النظام السياسي نظرا لهشاشته وانعدام مرونته بحكم كبر
وسعة الإدارة وبسطة التنظيم البيروقراطي وطابع غرابته تجاه المجتمع الأشبيلي .
فلا عن تناقضاته مع قدرات إشبيلية وحاجياتها .

(3) السلطة داخل النظام السياسي :

الحاكم والمحكومون في إطار النظام

كان الهدف الأساسي للنظام حماية الحاكم والمحافظة على وجوده
وتقوية نفوذه ما وجد إلى ذلك سبيلا . وكان مركز الحاكم الأشبيلي ،
شأن جل الحكماء في التاريخ الإسلامي ، يأخذ طابعه الشرعي من البيعة (6) .
ورغم أن قبول الرعية لتنصيب الحاكم كان ، نظريا ، أمرا يعني الطرفين ،
حيث أن رضا الرعية يكون اختياريا من جهة ، ويتعرض من جهة أخرى

(6) لتحديد مفهوم البيعة ومناقشته انظر المقدمة ، ج 2 ، صفحات 548 - 550 .

احتراف الحاكم بواجباته نحو رعيته (6) . غير أننا نرى في الواصل أن حكام بني عباد قد اختلفوا في تطبيق نظرية البيعة ، ذلك أن القاضي ابن عباد اعتمد القوة لإبراز شرعيته ، بينما ارتكزت خلافة المعتضد ثم المعتد من بعده على مبدأ الوراثة . وقد جمع مركز الحاكم بين أدوار متعددة منها القيادة العسكرية العليا وتقرير السياسة الخارجية وتعيين الوزراء وموظفي الدولة عاقبة . وبلغ نفوذ الحاكم من الناحية التطبيقية درجة لم يمد معها غامبا للشرعية الإسلامية كما هو المفروض . فقد مكنته انفرادة المطلق بالحكم من قتل أي خصم سياسي أو غيره بدون أية محاكمة سابقة ، وهو ما لا يدخل بطبيعة الحال في سلطات الحاكم الشرعية .

ونجد على المستوى النظري أن الدولة الإسلامية تتميز بانعدام مبدأ توزيع السلطات بحيث أن الدين والسياسة متداخلان . ويمكن القول بأن درجة التعبير عن القوة السياسية والتحكم فيها قد تفاوتت باختلاف الحكام . أما في مجال التطبيق فنجد أن النظام السياسي الأشبلي لم يكتف

(6) يحالج الطرطوشي مسألة العلاقة بين الحاكم والمحكوم عندما يناقش عدة جوانب من -هام الحاكم (دراسات الملوك - صفحات 81 - 88 و 88 - 101 و 104 - 106 و 207 - 209) . ونظراً لكون القضية مطروحة على المستوى النظري يتعرض الطرطوشي للعلاقة المباشرة بين الحاكم والمحكوم فوسنتج بأنها مبنية على احتياج متبادل بينهما . أما قضية احتمال وقوع نزاع بينهما فهذا أمر لا يعالجه الطرطوشي ومع ذلك ، في لحظة معينة ، يتصور الطرطوشي حالة حاكم غالم دون أن يؤيد حق الرعية في الدجور إلى التمرد (نفس المصدر ، صفحات 104 - 106) وانظر في هذا الموضوع «تذكيرة ابن حمدون» ص 89 .

له امتياز بالقُدرة على مرابطة قرارات الحاكم وأعماله . وفرض توازنهما . ويمكن الى حد ما شرح دور الحاكم كسلطة عليا اذ كان النظام يتميز بافعدام الفصل بين السلطات، بل ان قرارات الحاكم كانت تُرعىها أحيانا هيئة تشريعية تضفي الطابع الشرعي على الامر المقتضى . الا أن تطبيق القرار كان مطابقا للتشريع في بعض الاحيان . من ذلك طلب المعتمد بن عباد مساندة العلماء قبل محاولته القضاء على ثورة ابن رشيق في مرسية باستعداد قنوي ضده (7) . وقد كانت درجة سلطة الحاكم في نهاية الامر هي التي تقرر حسن استعماله أو سوء استغلاله للنظام ، بحسب قدرته على التعامل في نطاقه أو الافراط في توسيع صلاحياته .

أما عجز الاشبيليين المادي وفشلهم في تحدي السلطات التي تميز بها حكام بني عباد فقد استمر طيلة عهد ملوك الطوائف . فقد تمكن القاضي ابن عباد باعتماده على الجيش من القضاء على الزعماء الاشبيليين الذين هددوا حكمه (8) . واسفر مخطط المعتمد بن عباد لتصفية خصومه بالقتل من انعدام القيادة داخل المعارضة الاشبيلية . فعندما خلف المعتمد المعتضد في حكم اشبيلية وجد الاشبيليون أنفسهم في حالة لا تمكنهم من تحدي أحد ملوك الطوائف الاقوياء في الأندلس ، معززا بإدارة منظمة . ثم إن المعتمد بن عباد قد نجح من جهة أخرى اثاره سحق الاشبيليين رغم أن

(7) « كتاب التيهان » ص . 118 .

(8) « الذخيرة » القسم الثاني ج 1 . صحتا 18 - 19 .

رؤيته السياسية هانت محدودة . وقد زاد في بسط سيطرة إشبيلية على ما حولها فاحتسب التأيد الشعبي لهبله .

وفي ظروف القوضى التي تميزت بها الاصطدامات بين دول الطوائف أمسك الأشبيليون من التمرد والعصيان خوفا من العواقب السيئة وحدوث أخطار خارجية مهالتي هددت إشبيلية خلال عهد القاضي بن عباد من جراء هجومات يحيى بن حمود عليها (9) . فكل تمرد على القاضي بن عباد أثناء هجومات ابن حمود كان من شأنه أن يؤدي إلى سيطرة هذا الأخير على إشبيلية . وفي هذه الظروف أصبح اهتمام الإشبيليين مركزا على الاخطار الخارجية . وعند ما شرع جيش القاضي بن عباد في تنظيم حملاته العسكرية على دول الطوائف المجاورة وتكاثرت هذه الحملات خلال عهدي المعتضد والمعتمد انصرف اهتمام سكان إشبيلية بصورة متزايدة إلى تتبع تلك الاحداث التي استوعبته تماما .

ثم إن حملات إشبيلية الهجومية مكثت السكان من سلام نسبي واستقرار داخلي . وتبرز أهمية هذه الحالة إذا ما نظرنا إلى الخراب والتمردات والمذابح التي أصابت السكان في جميع الانحاء الأخرى من الأندلس . بما

[9] نفس المصدر . ص . 19

[10] حول موضوع تمرد المهدي وسليمان وعلي بن حمود ، انظر مثلا : « المعجب » ، صفحات 40 - 41 و 43 و 49 - 50 و « كيسان المغرب » ، ج . 3 ، صفحات 50 - 52 و 59 - 60 و « الذخيرة » ، القسم الأول ، ج 1 ، صفحات 98 - 102

فيها المدن الهامة عقرطبة وبلنسية وطلرطة . ولم يشق أهل إشبيلية على عهد بني عباد بالمذابح التي أصابت القرطبيين خلال تمردات المهدي وسليمان وعلي بن حمود (10) . ولم تتمكن الجيوش التي أغارت على إشبيلية من اختراق أسوارها مثلما حدث عند ما دخل المعتمد بنفسه مدينة مائة . كما أن الإدارة الإشبيلية لم تصل درجة الضعف التي وصلتها إدارة غرناطة التي كانت معرضة باستمرار لهجمات المعتمد بن عباد وألفونسو السادس ، وكذلك تمردات داخلية ، فضلاً عن وجوب أدائها الجزية السنوية لألفونسو ، ورغم أن إشبيلية كانت بدورها تؤدي الجزية لقشتالة وتسام ألفونسو بتنظيم حملات عسكرية على أراضيها فإن إشبيلية قد ظلت إحدى دول الطوائف الأكثر أمناً .

وقد اضطر الإشبيليون في آخر المطاف إلى قبول حكامهم لانعدام بديل أفضل ، فيما أنه لم تكن هناك مجموعة منظمة ترقب في الاستيلاء على الحكم لتطبق برنامجاً سياسياً. فإن أي استبدال للقاضي بن عباد أو للمعتضد أو المعتمد كان من شأنه أن يؤدي إلى تعويضهم بحاكم مطلق آخر لن تكون بامكانه المحافظة على سلطته إلا عن طريق إبادة جميع منافسيه السياسيين . ولم يرد على الصعود الإشبيلي احتمال ظهور مناضل من حقوق الشعب لأن العلاقة بين الحكام والمحكومين كان يستبد بها طابع سيطرة السيد على المسود . ولهذا لم تكن الاطاحة بحكام بني عباد ممكنة إلا لمنافس يتمتع بنوع من السلطة المساندة الكافية ، أو عن طريق مقدرته السياسية لاستمالة عناصر يعتمد عليها حكام بني عباد كالأوزراء وقادة الجيش . ولم يجد الإشبيليون مثل هذا الرائد ولو خارج المملكة ، بل انهم امتنعوا من مساندة قائد آخر نتيجة تجربتهم مع القاسم بن حمود الذي

حكم إشبيلية ثم تولى عنها لبيسط حكمه علي قرطبة مرتين قبل توطيد
القاضي بن عماد باشبيلية (11)

8 ، الحاجب وذو الوزارتين

كان التدرج الإداري باشباهة من النوع الذي يطلق عليه بعض علماء
الاجتماع مصطلح النظام التسلسلي ، حيث أننا نجد الحاكم في القمة ، ثم
تنحدر تدريجياً نحو الطبقات الإدارية السفلى . وإذا ما استثنينا الحاكم الفعلي
فإن أسمى منصب في السلم الإداري لدولة بني عماد كان ذا الوزارتين ،
يتلوهم الوزراء . وكان الحاجب في الأصل واسطة بين الخليفة وباقى الوزراء
في دولة بني أمية (12) ، غير أن لقب الحاجب أصبح له اعتبار خاص في
عهد بني عماد ، حتى أن المعتضد والمعتد وأبناهما اتخذوه لانفسهم
أيضاً (13) . وخلال فترة بني أبي عامر أصبحت السلطة التي انفرد بها

(11) « الذخيرة » - القسم الأول ، ج 1 ، صفحات 101 و 481 - 488 و « البيان المغرب » ،
ج 3 ، صحتا 122 و 124 و « المحجب » ، ص 80 .
(12) لقد ضم الحاكم هذا المنصب إليه إما رسمياً أو فعلياً ، فعلى سبيل المثال ، اتخذ
المعتد لقب ويفهم من ذلك أنه استولى على هذا المنصب ، ففي رسالة لابن حيان يخاطبه
فيها بهذا اللقب (« الذخيرة » ، القسم الأول ، ج 2 ، ص 880) ، ويبدو أن هناك ملوك
طوائف آخرين اتخذوا لقب الحاجب (« المقدمة » ، ج 3 ، ص 609) .
(13) « جنوة الاتهام » ، ص 60 .

الحاجب تعادل سلطة الحاكم المطلق. الامر الذي يفسر المدلول الجديد لهذا اللقب بعد ما اتخذته ملوك الطوائف. ولما تطور لقب الحاجب الى لقب شرقي أصبحت مهمته كموظف تسمى بذى الوزارتين لقيامه بـمدور الوسيط بين الحاكم والوزراء (14)

لقد اختلف لقب الحاجب في دلالته واختلفت وظيفته في عهد ملوك الطوائف مما كان عليه في عهد بني أمية . وفترة بني أبي عامر أساسية لتفسير هذا التغيير . فقد انتهى وجود منصب الحاجب بوصفه وسيلة وصل بين الخليفة ووزرائه في عهد دول الطوائف لان منصب الخليفة الذي كان معروفاً به في جميع أطراف الأندلس لم يعد موجوداً . فقد صار كل ملك طائفي يعتبر نفسه خليفة داخل حدود مملكته . ويمكن حدود وضميتهم كحكام طاغيين لم تعينهم من قبلية شروط الخلافة . خصوصاً وأن سلطانهم وقوتهم ونفوذهم أصبحت محدودة المدى . ونتيجة لذلك لم يعترف بالخلافة لأي حاكم إشبيلي . كما أن أحداً منهم لم يعط نفسه هذه الصفة على نطاق الأندلس . وهذه حقيقة تبينها اتخاذهم لقب الحاجب . غير أن ملوك الطوائف لم يسندوا لأنفسهم لقب الحاجب فقط . كما يظهر ذلك في استعمالهم ألقاباً تشبه التي اتخذها الخلفاء الأمويون بقرطبة .

(14) سكان ابن زيدون وابن هشام من بين الوزراء الذين عينوا في منصب ذي الوزارتين بإشبيلية . ويؤكد البرقي أن الوزير الذي كان يمثل الحاكم في عهد ملوك الطوائف كان يعرف بذى الوزارتين (فتح الطيب ، ج ١٠ ، ص ٢٥١) .

فهل تجب ، إذن ، مقارنة ملوك الطوائف بالمنصور بن أبي عامر الذي اتخذ لقب المنصور الخليلي مع احتفاظه بلقب الحاجب حيث كانت الحجابة منصبه الرسمي ؟ هناك فرق مهم وهو أنه باستثناء المنصور لم يكن على قيد الحياة خليفة إبان عهد ملوك الطوائف . كما أن سلطة بعض الخلفاء الذين اعترف بهم بعض ملوك الطوائف ، مؤقتاً ، كعشام الثاني والمرتضى ، كانتوا من صنعهم .

فهل اتخذ بعض ملوك الطوائف ، يا ترى ، لقب الحاجب بعد انفرادهم بالسلطة داخل دولهم الطائفية ؟ إننا إذا أخذنا بعين الاعتبار أبطال المعتضد لاعترافه بعشام الثاني كخليفة شرعي واتخاذه لقب الحاجب فهل احتفظ بهذا اللقب بعد أن تخلى عن اعترافه بسلطة هشام الثاني ؟ من المحتمل أن يكون قد فعل ذلك لأن اعتراف الأشبيليين بعشام الثاني استمر إلى أواخر حكم المعتضد . ثم إن التناقض الناتج من ضم لقب الحاجب إلى ألقاب خليفة أخرى ، في نفس الوقت ، يفسر ظهور منصب ذي الوزارتين بدلاً للحجابة . وإذا ما قبلنا ما سلف فهناك عدة أسئلة يمكن طرحها وتعلق بطبيعة وظائف ومسؤوليات ذي الوزارتين . فليس المدلول الحقيقي لهذا المنصب واضحاً ككل الموضوع ، وقد تمكنا الاعتبارات التالية من توضيحه على النحو المرجو .

3 - ربما كان لذي الوزارتين منصبان ، ومن المحتمل أن يكون ذلك قد حدث بالطرق التالية :

أ) وجود مهنتين أو قسمين لهذه الوظيفة في آن واحد . فهل سمي أكثر من موظف واحد بلني الوزارتين في نفس الوقت يا ترى ؟ نتساءل مثلاً عما إذا كان سمي بلني الوزارتين كل من ابن عمار وابن زبدون

اللذين عملا مع المعتمد ابن عباد ، أم أن ابن عمار لقب بهذا اللقب بعد وفاة ابن زيدون ؟ وبتمبير أعم هل أطلق لقب ذي الوزارتين على عدة وزراء في آن واحد . من المؤكد أن غضب المعتمد بن عباد على ابن زيدون كان نتيجة مناورات ابن عمار الذي لم يكن بمستطاعه القيام بذلك لو كان أقل مركزاً من ابن زيدون .

ب) لقد كان الموظف يكلف بمنصبين مختلفين خلال فترات مختلفة وفي ظل حكام مختلفين . فقد يكون الموظف قد شغل منصباً وأبعد عنه ثم عين في منصب آخر . ويؤكد الاحتمالين أن يكون نفس الموظف قد شغل منصبين . فقد أعفي ابن زيدون من منصبه الوزاري بقرطبة بعد إطلاق سراحه ، ثم التحق من جديد بهذا المنصب . وكان بإمكان الموظف من جهة أخرى أن يكلف بمهنتين مختلفتين أو أكثر ، مثل ابن عمار الذي شغل بصفته وزيراً وظائف إدارية . ولتحته كلف في نفس الوقت ، في مناسبات عدة برئاسة المفاوضات مع ألفونسو السادس ، وشارك في حملات عسكرية أيضاً . أما ابن زيدون فقد عمل وزيراً لدى عدد من ملوك الطوائف ، وتقلد مناسبا مسؤوليات إدارية . كما أنه قاد المفاوضات .

ج) كان الموظف يكلف بمنصبين مختلفين خلال فترتين متفاوتتين في ظل حاكمين مختلفين . كما كان شأن ابن زيدون الذي عمل وزيراً في ظل بني جهور ، ثم في بلاط المعتضد والمعتمد بن عباد .

2 - ربما كان ذو الوزارتين يكلف بمنصب واحد ، ودوره الوساطة بين الحكام والوزراء الآخرين . ويمكن في هذا الصدد ذكر ابن عمار ومركزه المطلق عند المعتمد . وقد كان اختيارنا للشخصيتين المذكورتين

مقصوداً لإبراز صعوبة تحديد وظائف ذي الوزارتين في القرن العجبري الخامس . فأي تحديد لمهام ومسؤوليات ذي الوزارتين في عهد دول الطوائف أمر صعب نظراً للمتناقضات التي تواجهها . وكذلك ما يمكن استخلاصه هو أن هذا المنصب يجب تصوره داخل نطاق المناقضات التي انصفت بها هذه الفترة على العموم . ولهذا يظل فهمنا لمدلول ذي الوزارتين غامضاً . وينطبق نفس القول على منصب الحاجب أيضاً .

4 الوزير

لقد كان الهدف من تعدد الوزراء في نظام بني عباد السياسي إعطائه حلة السلطة الذي كان يطبع نظام بني أمية فيما سبق ، ولم يكن يستهدف التجاوب مع الحاجيات الضرورية للسكان . غير أنه لا يجب تفسير هذه الوضعية كظاهرة عامة . فنحن نجد ، مثلاً ، أن الأمير عبد الله ألقى وظيفة الوزير في غرناطة (16) ، كما أن ظاهرة تحديد المهام داخل نظام بني عباد تتجلى في المناصب السامية المتعددة الموجودة آنذاك ، منها الجلّاسة والمشاورة والترسيل وحسبة المال الخ .

ولكي نتجنب الوقوع في الخلط بين المفهوم العجبري ومصطلح الوزير كما كان في عهد بني عباد يجب تصوره في نطاقه الجغرافي والسياسي

(16) كتاب التبران ، ص 85

المخاص فيبدو أن المصطلح الذي استعمل لتسمية الوزير في دول الطوائف هو لفظ الكتائب . ومن الجائز أن يكون هذا اللفظ قد زال ليحل محله لفظ الوزير . غير أننا نجد أن اللفظين قد استعملا في آن واحد في عدة حالات . ففي الجزء الثاني من كتاب « الذخيرة » الذي يقدم لنا سير ومؤلفات أهم الشخصيات البارزة في المغرب الأندلسي وصف هؤلاء الأدباء بالكتائب مختلفة منها الكتائب والوزير والاديب وذو الوزارتين . وقد وصف بعضهم بأكثر من لقب واحد في نفس الوقت . ويعني استعمال لقب الوزير الكتائب ما أحد أمرين : فإما أن الشخص الموصوف باللقبين شغل منصبين ، وإما أن المصطلحين أطلقا على نفس المنصب . ومن الأشخاص الذين ذكروهم ابن يسام مستعملا المصطلحين :

- 1 (الوزير الكتائب أبو عمر يوسف بن الباجي (16) .
- 2 (الوزير الكتائب أبو محمد بن عبد الغفور ، ذو الوزارتين (17) .
- 3 (الوزير الكتائب أبو الوليد حسان المصيبي (18) .
- 4 (الوزير الكتائب أبو عبد الله محمد ابن الأيمن (19) .
- 5 (الوزير الكتائب أبو بكر بن عبد العزيز بن سعيد البطلهوسي (20) .

-
- 16 (« الذخيرة » ، القسم الثاني ج . ، صفحات 185 - 200 .
 - 17 نفس المصدر صفحات 325 - 368 .
 - 18 نفس المصدر ، صفحات 538 - 267 .
 - 19 « الذخيرة » ، القسم 2 ج . ، 2 صفحات 652 - 656 .
 - 20 نفس المصدر ، صفحات 753 - 773 .

- 6 (الوزير الكاتب أبو القاسم محمد بن الجند (21) .
- 7 (الوزير الكاتب أبو محمد عبد المجيد بن عبدون (22) .
- 8 (الوزير الكاتب أبو بكر بن سعيد المعروف بابن القبطورنو (28)
- 9 (الوزير الكاتب أبو بكر بن قزمان (24) .
- 10 (الوزير الكاتب أبو بكر محمد بن سوار الاشبوني (25) .

ويمكن نتيجة لذلك تحديد مفهوم وظائف الوزير وواجباته في عهد بني عباد . فقد كان التسيير الإداري لقسم معين من مهام حكومة إشبيلية وكذلك تنفيذ أوامر الحكام على الصعيد الداخلي والخارجي .

والم يمكن الوزير في الواقع من القيام بمهامه الوظيفية بفعالية ، إذ يرجع ضعف الوزير داخل الحكومة الاشبيلية . أساساً ، إلى القيود التي كانت تربطه بها . وقد أصبح التناقض حاداً بين المطالب الاجتماعية والتعليمات الصادرة . ولتذكر الوزير المكلف بحساب المال على سبيل المثال ، فرض قلة المصادر والمعلومات المباشرة المتوفرة لدينا فإن اعتبارنا لبعض الجوانب من الحالة العامة إشبيلية سببت تدهور وضعية « وزير المالية » . فانعدام

(21) «الذخيرة» القسم الثاني ، ج . 1 . صفحات 285 - 282 .

(22) نفس المصدر ، صفحات 668 - 727 .

(23) «الذخيرة» ، القسم 2 في كتاب « تاريخ بني عباد » لراونهارت دوزي ، R. P. A. Dazy, *Historia Abbadidarum*, Vol. 8, p. 50

(24) «الذخيرة» ، القسم 3 ، ج . 2 . صفحات 774 - 788 .

(25) نفس المصدر ، صفحات 811 - 888 .

الاستقرار الداخلي الناتج عن الحروب مع دول الطوائف الأخرى ، وتعهد جيش كبير لاهداف دفاعية وهجومية ، وأداء الجزية التي فرضها الملوك النصارى على ملوك الطوائف والمصاريف الداهية لهؤلاء ، كلها عوامل أدت الى وضعية لم يستطع الوزير معها أن يسيطر سياسياً عليها ، رغم عواقبها الضخمة على مالية الدولة . وأدت هذه الضغوط على بيت المال بالوزير الى اتخاذ سكان إشبيلية مصدراً للمال بواسطة الضرائب . وهكذا أصبح ضمان بقاء النظام الإشبيلي الشغل الشاغل لقسم حساب المال . ومخاتنت النتيجة أن هذا القسم وجد نفسه عاجزاً عن ترضية الحاجيات الاجتماعية بإشبيلية ، الأمر الذي أدى الى عجزه عن اتخاذ خطوات إيجابية لاصلاح الحالة المالية .

وكان قسم المال والجبايات من أهم أقسام الحكومة ، إذ كانت مهمته تشمل جباية الضرائب والمحافظة على التوازن بين المداخيل والمصاريف والإشراف على ميزانية الجيش (26) . وهذا القسم الذي نفع أحياناً الى عدة فروع كان يسيره وينسق أعماله موظف يعرف بالناظر (27) . وقد كان ضابط التخصص ميزة منصب الناظر الذي امتاز في عهد ملوك الطوائف بسلطة سياسية عظيمة حيث أن منصبه كان مستقلاً عن الحاكم (28) . ولم تكن لسلطته مع ذلك عواقب سياسية مباشرة رغم أنه ديوان المال والجبايات

(26) المقدمة ، ج ١ ، ص ٢ ، صفحات 613 - 617 .

(27) نفس المصدر ، صفحات 613 - 614 .

(28) نفس المصدر ، ص 616 .

كان يساند النظام من الناحية المالية فكان عاملاً مهماً في تعزيز سلطة الحاكم السياسية. وكان هذا القسم فسي إشبيلية قد كلف بجباية الضرائب التي كانت مع الفئات أهم مصادر الدخل الحكومي .

أما تقييم دور الوزير كـمستشار شخصي للحاكم فيؤدي بنا إلى نفس الاستنتاج الذي وصلنا إليه بشأن حدود سلطة الوزير عامة. ويمكننا الوصول إلى نفس الاستنتاج عند التطرق لتعليق التكوين البنوي لنظام الحكم الإشبيلية. فلقد أصبحت المجالسة إجراء رسمياً حيث أن الحاكم الإشبيلية كان يشكل حجر الزاوية وكانت العناية كلها مصروفة إليه . وكان يحضر هذه الجلسات وزراء كانت مهنتهم محصورة في تقديم النصائح للحاكم . وكانت هذه الجلسات ، من حين لآخر ، تشمل عروضاً ومسابقات شعرية نظراً لنبول حكام بني عباد الأدبية (29). وحاول الوزراء الذين كان بعضهم يقرض الشعر رفح درجاتهم عند الحاكم بمهارتهم الشعرية وبالمدح على الخصوص . وتم يكن الحاكم يقبل نصائحهم السياسية إلا إذا أذن لهم بأدائها . خصوصاً في المواقف الخطيرة . ولذلك كانت وظيفة المستشار إشبيلية في غالب الأحيان عبارة عن تقليد لما كان عليه الحال في عهد خلافة بني أمية . بل إن التسيير الإداري لشؤون دولة إشبيلية الطائفية لم يكن محتاجاً لآراء المتخصصين كما كان عليه الأمر في دولة بني أمية

(29) لقد ترك جميع شعرا" إشبيلية مدحا" في حاكم من حكام بني مراد أو أكثر ومنهم ابن عمار وابن اللبابة وابن زيدون .

الأكبر حجماً والأكثر تعقيداً. ونتج عن ذلك أن حاجة خصصام بنى مواد للمجالسة والمشاورة لم تكن راجعة الى أسباب إدارية وتقنية، بل الى إجراءات رسمية ساهمت في انتشار سعة الحكام وتقديرهم.

5 - الكاتب

كان الوزير المكلف بدهوان الرسائل يعرف بالكاتب، كما عرف الوزير المكلف بالكتابة بكاتب الزمام. وكان يصعب أحياناً التفريق بين اختصاصات المنصبين، كما لم يكن بالإمكان أطواراً أخرى التمييز بين هذين المنصبين والمناصب الأخرى. فلم يكن منصب الكاتب، أولاً، ضرورياً لتصرف شؤون الحكومة. الأمر الذي يفسر الاستثناء منه في بعض الحالات. وهو ما نجده في الدولة البدائية التي تكلم عنها ابن خلدون (80). وكانت تسمية الكاتب التامة للحاكم عبارة عن تقليص لهامه حيث لم يكن يتمتع بأية سلطة شخصية تتيح له اتخاذ المبادرات السياسية. فقد كان دوره محصوراً في الإدارة وتنفيذ أوامر الحاكم. وكان ولائ الكاتب وخضوعه لمشينة الحاكم ليسا من الصفات المعترف بها فقط، بل من الأمور الموصى بها (81) ومع ذلك فقد كانت قوة الكاتب مستمدة، أساساً، من مساندة الحاكم. فلقد أشار ابن خلدون الى كتاب «رسالة الكاتب»

(80) «المقدمة» ج 2، ص 818.

(81) نفس المصدر، ص 820.

لعبد الحميد حيث يبيح على صدم استغناء الحاكِم عن الكاتِب الموصوف
 بسمه وبصره ولسانه ويده (82) . وما ثبت وجود هذا المنصب لدى حكام
 بني عباد أن جل الوزراء الذين عملوا في ظل دولتهم والذين درسهم ابن
 بسام في الجزء الثاني من كتاب « الذخيرة » اتخذوا لقب الكاتِب (83) .
 وتبرز ثقافة الكاتِب الاشبيلي الممتازة في المستوى الادبي الرفيع الذي
 اختصت به رسائل المعتضد والمعتمد بن عباد (84) فلقد تفوق بصورة خاصة
 ابن البرزاني الذي عينه المعتمد بن عباد سنة 448 هـ / 1051 م . (85) . أما
 بخصوص السلطة السياسية للكاتِب فلم يحسن له إلا تأثير غير مباشر في
 قرارات الحاكِم . وكان لهذا المنصب اعتبار قوي لم يفتقه في بعض الأحيان
 إلا مقام الحاكِم نفسه (86) . وسكان الكاتِب يتعرض للنقد الشديد عند
 انكشاف ضعفه أو انحرافه، فلم تكن صلته بالحاكِم نقيده في ذلك شيئاً (87)

(82) نفس المصدر .

(83) وصل عدد الوزراء الذين أطلق عليهم لقب الكاتِب - على الاقل - أحد عشر
 وزيراً (في القسم الثاني من كتاب « الذخيرة ») .

(84) فملى سهل السائل أنظر رسالة المعتضد الى بعض ملوك الطوائف يشرح فيها الدواعي
 التي أدت به الى قتل ابنه « الذخيرة »، القسم الثالث « مذكور في كتاب « تاريخ بني عباد »
 للمستشرق راينهارت «وزي» : *Historia Abbassidarum*, vol. 1, pp. 254-286 و « الذخيرة »
 القسم 8 ج 1 ، صفحات 186 - 148 . وانظر جواب المعتضد على الفرسو السادس بعد
 الانذار الذي لعمري له هذا الأخير (« المجال الموشية » ، صفحات 26 - 28)

(85) « الذخيرة » ، القسم 1 ج 2 ، صفحات 824 - 848 .

(86) « المقدمة » ج 2 ، صفحات 890 - 891 و « نفع الطب » ج 1 ، ص 908 .

(87) « نفع الطب » ج 1 ، ص 902 .

أما كتاب الزمام فكان يعد من الموظفين السامين مع العلم بأن رتبته كانت أدنى من درجة الكاتب . ثم ان مركز كتاب الزمام لدى الحاكم لم يكن مستقراً . أما الموظف المكلف بالاقواف فكانت وظيفته ممتازة بمرورته أكثر في تأدية مهامه اذا ما قورن بزملائه ، وكان من أهداف إدارة الاوقاف العمل على تلبية حاجيات ومطالب سكان إشبيلية الروحية والاجتماعية ورفع مستواها . وكانت تتميز بطابع غير سياسي إذ لا تربطه بسياسة الحاكم . وساهمت سياسة الانعاش الاجتماعي ، ومن جهة أخرى ، وبطريقة غير مباشرة ، في إشاعة سمعة الحاكم . ورغم تقلص نفوذ وزير الاوقاف ، سياسياً ، في إشبيلية فقد امتاز بأن كان له اعتبار كبير في الاندلس لان وظيفته ساهمت على النطاق الاجتماعي في التخفيف من مصاعب الكادحين والعموزين . أما على المستوى الديني فقد امتازت سياسته بمساندته للعلماء والقضاة والمتدينين عامة . ونظراً للتأييد العام الذي حظيت به الاوقاف فقد كان من مصلحة الحاكم السياسية أن يشجعها تشجيعاً تاماً . ورغم قلة المعلومات الموثوق بها عن طبيعة الاوقاف وكيفية إدارتها بإشبيلية فقد برز الدور السياسي للمسجد الإشبيلي الذي كانت الاوقاف تتولى تسييره . ومن المعروف أن مؤسسة الاوقاف كانت منتشرة في جميع أنحاء الاندلس فقد أشار الامير عبد الله بن بلقين الى ابن سلجون الذي كان يتولى الاحباس في غرناطة (88) . كما أشار ابن حبان الى موظف مرتش استغل أملاك الاوقاف . وربما كان هذا الموظف المقول اسمه مقيماً بقرطبة (89) .

(88) «كتاب البيان» ص . 117 .

(89) «الفخيرة» • القسم 1 . ج . 2 . ص . 501 .

ومما زاد في تقليص سلطة الوزير تدخل غيره بصفة مباشرة في أعماله ، فأدى انعدام الحصانة والاستقرار بصاحب هذا المنصب الى اتخاذ المكيدة واعتبارها وسيلة ضرورية للاحتفاظ به . فقد فرض الخاسم إرادته بقوة على وزرائه في (شبهلية فتكاثرت دسائس الوزراء لبعضهم بعضاً . من ذلك أن الوزيرين ابن عمار وابن مرتين دجرا خطة للقضاء على وزير من زملائهما ، فنجعا في إقناع المعتمد بن عباد بالتخلي عن منصبه لابن زيدون وابنه الرقيب (40) . وقد كانت دسائس أبي الوليد بن زيدون من أسباب اعدام المعتضد بن عباد لابي الحسن علي بن حفص (41) . ومث دسائس أهل البلاط وكيدهم للوزراء سعابتهم انشوبه سمعة ابن عمار لدى المعتمد باتخاذ زوجته مطية إليه .

ثم إن الوزير الأشبهلي لم يكن في خانة الامر مزوداً بالارشادات الحافية ولا عارفاً بالخطوط العريضة للسياسة التي كان سلوكها واجباً عليه ، كما أنه لم يكن في معظم الاحيان حراً في القيام بواجبه . وقد كان الوزير مضطراً ، بالإضافة الى ما سلف ، للخضوع لسلطة الخاسم والموافقة على قراراته حتى يتمكن من الاستمرار في منصبه . ولذلك كان الشغل الشاغل للوزير هو تنفيذ مطالب الخاسم الى درجة أنها شلت قدرته وصرفته عن القيام بواجباته العمومية . وبرزت هذه الحالة ، بصورة أجنى . في عهد المعتضد بن عباد ، إذ عمل الوزراء تحت ضغوط قاهرة وشهدوا اغتيال عدد

(40) « المخبرة » ، القسم 1 ، ج 1 صفحتا 418 - 419 .

(41) « المغرب في حلى المغرب » ، ص 181 .

من زملائهم ، نعمت حالة الرعب نفوسهم . ويمعكس هذه الوضعية بوضوح ارتياح ابن زيدون اوفاة المعتضد (48) . إلا أننا نجد أن الوزير في عهد المعتضد بن عباد قد أحس باطمئنان وأمن في علاقته بالخاصكم ، ولو أن بعض الوزراء كانوا من مكائد زملاء لهم نمكنوا من الحصول على سلطات واسعة كما كان شأن ابن عمار .

ورغم العراقيل والصعوبات فقد حظي وزراء بني عباد باعتبار مرموق ، فقد كانت وظائفهم تحده طبيعة علاقاتهم بجمهور إشبيلية . وكان الوزير صلة أساسية بين الخاصكم والمحكومين . ورغم أنه لم يكن للسكان أي دور في تعيين الوزراء فإن انتماء هؤلاء لفئات اجتماعية فقيرة ربما مادي بالفائدة على طبقة صغار التجار . ثم إن القسط الضئيل الذي حصلت عليه الفئة الغنية التقليدية بإشبيلية من المناصب الحكومية ، يشير إلى الاستلاب السياسي الذي شتبت به في عهد بني عباد . فقد كان سبب اعتماد حكامهم على الطبقة الخاصكم يرجع إلى أن جل أفرادها لم يكونوا من أصل إشبيلي . وبصبح هذا على الخصوص بالنسبة للوزراء ومن الأمثلة على ذلك أن القاضي ابن عباد عين بمجرد ما تولي حكمهم إشبيلية ، إشبيلياً فمير معروف رئيساً للحكومة (48) ثم إن مراجعة أسماء الوزراء على عهد بني عباد تظهرنا على أن عدداً منهم قدم من أطراف مختلفة من الأندلس . وقد أضاف عدداً من الشخصيات الأندلسية البارزة ، والوزراء ، أسماء أماكن ولادتهم إلى أسمائهم ، نذكر منهم :

(42) « العلة السيرة » ج 2 ، ص 48 .

(43) « الذخيرة » • القسم الثاني • ج 1 ، ص 19 .

- 1 - أوزير الكذاب أبا عمر بن الباجي / نسبة الى باجة / (44) .
- 2 - الأديب أبا محمد عبد الجليل المرسي / نسبة الى مرسية / (45) .
- 3 - الكاتب أبا الحسن صالح بن هارون الشنتريني / نسبة الى شانتيرية / (48) .
- 4 - الشيخ الأديب أبا عمر بن فتح البظليوسي / من بطليوس / (47) .
- 5 - الأديب أبا عمر يوسف بن كوثر الشنتريني / من شنتروم في البرتغال / (48) .
- 6 - الوزير الكذاب أبا بكر محمد بن سوار الاشبوني / نسبة الى لشبونة / (49) .

ويعرف مؤلف الكتاب الذي أورد أسماء وألقاب الشخصيات المذكورة أعلاه بعلي بن يسام الشنتريني ، نسبة الى مدينة شنتروم . وكان الغرض من إثبات النسبة تمييز صاحبه عن أهل المكان الذي استقر فيه . ويشير ذلك إلى وجود حركة تنقل كبيرة في الأندلس خلال القرن العجري الخامس . ولهذا امتاز معظم وزراء بني عباد برصيد ثقافي راقٍ . ومع ذلك فقد ظل خضوعهم السياسي للحاكم خضوعاً تاماً ، يرجع أساساً ، الى انعدام الاتصالات السياسية بينهم وبين أهل إشبيلية ، الطائفتين عليها . وكان أمنهم في آخر

(44) نفس المصدر ، صفحات 186 - 200 .

(45) نفس المصدر ، صفحات 473 - 518 .

(46) * الفخيرة * القسم 2 ، ج 2 ، صفحات 887 - 898 .

(47) * الفخيرة * القسم 2 ، ج 3 ، صفحات 806 - 807 .

(48) * الفخيرة * القسم 2 ، ج 5 ، صفحات 800 - 801 .

(49) * الفخيرة * القسم 2 ، ج 2 ، صفحات 811 - 833 .

الامر متوقفاً على الحاكم . وهكذا نرى أن الوزراء ، كما كان شأن الجيش ، ألفوا منصرفاً أساسياً لمساندة الحاكم الذي وصلت لوته إلى درجة أنه كان يتعامل معهم كأفراد ، فحال ذلك دون تكوين الكتلة والدلاع الثورات عليه، واستفاد ككل من الحاكم ووزرائه من مساندة المتبادلة. وقد كان تصورهم لصلاتهم بالاشبيليين محصوراً في إطار واجبات هؤلاء نحوهم ، ولم يكن العكس وارداً فيه .

ولجد على مستوى التحليل النظري أن الهدف من التناقض بين السيف والقلم داخل الهرم الحكومي هو التمييز بين الوظائف التي كانت واجبات صلبة والوظائف الأخرى ذات الطابع الثقافي والإداري الصرف (50) . وكانت هناك وظائف أخرى منها وظيفة الوزير التي يصعب تصنيفها بين وظائف القلم والسيف لاشتمالها على مهام مختلفة . وزاد ابن خلدون هذا الأمر تعقيداً عند ما اعتبر الوزير من فئة أهل السيف (51) . وإذا نحن حاولنا تطبيق نظرية التمييز بين القلم والسيف في دولة بني عباد فنجد من الصعب استيعاب بين حدود سيطرة ككل من أهل السيف وأهل القلم على الساحة السياسية الأشبيلية التي كان فيها لجميع نشاط فعال مستمر . ومن المؤكد أن حكام بني عباد تمكنوا من فرض أنفسهم على الفتيين معاً ، الأمر الذي يؤكد تصور ابن خلدون لهما حيث قال : «أعلم أن السيف والقلم كلاهما آلة لصاحب الدولة يستعين بها على أمره» (52) .

(50) * المقدمة * ج 2 ، صفحتنا 633 - 634 .

(51) نفس المصدر ، ص 634 .

(52) نفس المصدر .

6 - صاحب الشرطة والوالي والعامل

كان المسؤول من الامن الذي عرف بالحاكم في المغرب وبالوالي عند الاتراك يطلق عليه رسميا في الاندلس لقب صاحب الشرطة و عامة صاحب المدينة أو صاحب الليل (53) . وفي عهد الدولة الاموية بالاندلس كان يقوم بهذه الوظيفة شخصان هما صاحب الشرطة الكبرى وصاحب الشرطة الصغرى . وقد كان أولهما ينظر في شؤون الخاصة ويرعاها ، ويقضي ثانيهما في شؤون العامة (54) . ورغم خمول ذكر صاحب الشرطة فإن سلطاته بلغت درجة اصدار الاوامر ، في حالات إستثنائية، بتنفيذ الاعدام الذي كان من اختصاص القاضي (55) . وأصبح منصب صاحب الشرطة، بقوته واتساع نفوذه، مشابها لمنصب الوزير ، إذ شمل المحافظة على الامن الداخلي والقيام مقام الحاكم عند غيابه عن المدينة . وكانت مسؤوليات صاحب الشرطة منحصرة داخل المدن لأن هذا المنصب كان مقصورا على الحواضر . والحواضر الكبيرة بصورة أخص . أما العمال فكانوا مكلفين بتسيير الحصون والاشراف على أمنها . ونجد رغم قلة التفاصيل عن هذا المنصب في المصادر الاسلامية أن الامير بن بلقين حاكم غرناطة عين المسمى دليبيب، في منصب صاحب المدينة (56) . وبما أن إشبيلية فاقت غرناطة أهمية فإن الحاجة الى المحافظة

(53) نفس المصدر، ص. 625 و « فتح الطيب » ج. ١، ص. 208 .

(54) « المقدمة » ج. 2، صفحات 628 - 626 .

(55) نفس المصدر و « فتح الطيب » ج. ١، ص. 208 .

(56) « كتاب التيجان »، ص. 186 .

على الامن فكانت من غير شك أكثر اشغالا وألح احتياجا. وهناك نص يؤكد وجود هذا المنصب باشبيلية عند ذكر واقعة بأفمات لما كان المعتمد بن عباد سجينا بها ، إذ قصت ابنته منزل شخص كان يتولى هذا المنصب على عهد أبيها (57) . أما سلطات صاحب المدينة باشبيلية فكانت مشلولة الى درجة حالت دون أداء واجباته بتوفيق في بعض الاحيان. فقد حدث أن سجن صاحب المدينة ، وهو عبد الله بن سالم ، رجلا إشبيليا تسبب في إثارة الفوضى بالسوق في سنة 462هـ / 1069 م . (58) . فأدى ذلك الى انفجار شعبي جعل صاحب المدينة يستنجد بالحاكم الاشبيلي الذي كان آنذاك بقرطبة ، فبعث ولده الحاجب سراج الدولة مصحوبا بوفد من العلماء والوزراء لمعالجة الامر (59) . وقد أجازت هذه الحادثة الصدام شعبية صاحب المدينة عند الاشبيليين من جهة ، وتبعيته للحاكم من جهة أخرى.

وكان الموالي أو العامل الذي يتراأس الحصون يتقلد مناصبا بالغ الأهمية لدى الحكومة الاسبيلية لان الاراضي الشاسعة الموجودة تحت سيطرتها فكانت تحتوي على حصون عديدة كانت بمثابة شبكة متكيفة لضمان السيطرة العسكرية على جميع أنحاء الدولة الطائفية . وارتفع صدد عمال إشبيلية بتكاثر حصونها لما اتسعت رقعة أراضيها ، فاقضى ذلك تعيين عمال لتسيير شؤون الثغور باسم حاكم الدولة الطائفية . وكان العامل

(57) « وفيات الامهان » ج. 5 ص. 85 .
 (58) « الذخيرة » القسم 1 ج 1 ص 418 .
 (59) نفس المصدر .

بشغل خطراً على الحاكم زعم أن مركزه ونفوذه كانا في غالب الاحيان دون مركز الوزير ونفوذه. فلقد كان العامل خلافا للموظفين السامين العاملين باستمرار داخل قصر الحاكم. بعيدا عنه بمسافات كبيرة، الامر الذي حال دون مراقبته. وباتساع رقعة الدولة الاشبيلية الطائفية بانضمام الجزيرة الخضراء وقرطبة إليها اتخذت مراقبة العامل، سياسيا وإداريا، بصورة فعالة، بعدا جديدا، إذ أصبح خطر استبدال ولاء انسحان المحليين في الحصون لصالح العمال يهدد سلطة الحاكم بالتفكك نظرا لعلاقات الاهالي اليومية بالعامل الذي كانت شعبيته في بعض الاحيان تؤدي به الى منع تدخل الحاكم في شؤونه الداخلية. ومن ذلك أيضا نجد عددا من العمال في غرناطة، منهم مؤمل الذي كلف بخصن ليوسنة وكتاب بن تميم، الذي أسند إليه أمر أرجونة وألتقيرة، ثم يتغاضبا عن سلطة الامير عبد الله بن بلقين فحسب، بل حرضا الرعية على التمرد أيضا (60). ثم إن دولة إشبيلية انقوية لم تنج بدورها من ثورتين بمرسية (61). وكبعضها كان الحال فقد كانت إشبيلية في مأمن أكبر من تمرد حصونها التي كانت شديدة الارتباط بالسلطة السياسية المركزية بفضل الصلات العائلية، التي تسجها حكام بني عباد، فضلا عن قوة إشبيلية وغناها. ومن الامثلة على ذلك أن محمد بن عباد (المعتمد فيما بعد) انضم الى خدمة أبيه بقيادة الجيش الاشبيلي خلال حصاره لمالقة (62). ومع

(60) «كتاب البيان» ص 96 - 100 و 186 - 188 .

(61) نفس المصدر، صفحات 100 - 102 .

(62) «الذخيرة» القسم 2، ج. 1، صفحتا 49 - 50، و«البيان المغرب» ج. 9، ص 274.

ذلك فلم تنتشر السياسة «العائلية» انتشارا واسعا إلا في عهد المعتمد بن عباد حيث اتسعت رقعة الدولة الاشبيلية فبلغت مداها . ومن ذلك أن أهم عامل دفع المعتمد الى خلع ابن رشيق ، عامله على مرسية ، هو تمويهه بابنه الراضي ثقتنه التامة به (63) . وقد كلف المعتمد بن عباد أبناءه بمهام ذات مسؤوليات سامية في مدن هامة كالجزيرة الخضراء وإشبيلية وقرطبة ، كما عهد إليهم أيضا بمسؤوليات في مدن أخرى دونها أهمية ومسكاة . ويتجلى الولاء الكبير لعمال حكام بني عباد في المساهمة الايجابية التي بذلها عامل المعتمد علي حصن شدونة ، وكان إسمه علي حشاد ، وذلك عند ما أقنع ابنه . إسماعيل ، بالتخلي عن فراره من إشبيلية وبالعودة إليها (64) . ورغم ذلك فقد ظل احتمال نمرد العامل باشبيلية خطرا دائما ، شأنها في ذلك شأن جميع دول الطوائف بالاندلس . فانهدام الثقة ونفسي النزعة الانفصالية وهشاشة الروابط بين العامل والسلطة المركزية في الدولة الطائفية خصائص ككشفتها بقوة جيوش يوسف بن تاشفين عند ما ذهبت بدول الطوائف الواحدة تلو الاخرى . فان الحصون في الاندلس كلها لم تبتد إلا مقاومة ضئيلة ، بل إن بعضها انضم الى الجيش المرابطي بعد انقلابه على الحكام الطائفيين (65) .

(63) «كتاب التبيان» ص . 112 .

(64) «المخبر» ، القسم 3 ، ج . 1 ، صفحات 136 - 148 . وحدثت هذه الرسالة الفريدة من انشاء الوزير الكاتب أبي محمد عبد الله بن عبد البر التبري .

(65) قملى سويل البثال ، انضم القائد نيمان الذي سبق له أن هبل حقاتد مع عبد الله بن بلقين الى صفوف يوسف بن تاشفين . واحتمل عدة حصون من بينها قرطبة («كتاب التبيان» ، صفحات 138 - 139 و 144 و 148) .

(7) طبيعة الدعاية الرسمية ودورها

كان الهدف البعيد من الدعاية الرسمية والتجسس خلال عهد بني عباد حماية الحاكم واهفاء صبغة القدسية على شخصيته . فقد اتخذ الدين وسيلة دعائية ليث الصورة الشرعية للحاكم بين أفراد الشعب الذين صاروا على مقربة من تقديسها ، فكانت الانقلاب التي اتخذها الحاكم مثل القاضي بن عباد والمعتضد بالله والموثق بالله على الله تضمن إحساسا دينيا . وقد تمكن حكام بني عباد من تركيبة صيغهم لدى العامة باستغلال خطبة صلاة الجمعة لتلك الغاية . إذ اتخذ المثير منة الدعاية الرسمية إبان حكم القاضي بن عباد ، واستمر الأمر على ذلك النحو على عهد المعتضد الذي أصدر الأمر سنة 464 هـ / 1069 م . بإلقاء خطبة الجمعة بدلا من إسم هشام الثاني (66) .

أما دور الشعر في الدعاية السياسية باسبيلية فأمر متفق عليه ولكن درجة تأثيره في الرجل العادي لم تكن أمر مؤكدا وقد ساهم مدح الحاكم على الصعيد السياسي ، وفي ترقية الشاعر ضمن وظيفته وفي تحسين حالته المادية التي ساعدته على أداء مهامه السياسية . وكان المستوى الادبي للشعر في عهد بني عباد راقيا ومتطورا ولا يكاد يكون مفعوما لدى غالبية الاشبيليين ورغم ذلك فقد كان الانتاج الشعري في قصر إشبيلية ضخما ، وخاصة في عهد المعتضد الذي كثر عنده عدد الشعراء . وقد كان الشعر في بعض الاحيان

(66) « الفخيرة » - القسم 12 ج - 1 ص 87 .

صنعا مهما إذ ساهم بطريقة غير مباشرة في شهرة الشعراء والوزراء باشبيلية .
واستمر الانتاخ الشعري في تجميد المعتمد حتى بعد وفاته ، كما ثبت ذلك
أبيات الرثاء لعبد الصمد وشعراء آخرين .

وربما كان الدور السياسي للشعر الاشبيلي أكثر فعالية في تزكية
صورة الحاكم لدى غيره من ملوك الطوائف . فتشجيع الشعر في أقوى
دول الطوائف كطلمبلة وبطليوس أدى الى إحداث منابر للتعبير الأدبي .
وقد كانت هذه المنابر في نفس الوقت أهداف سياسية أيضا ، وذلك بسمي
بعض دول الطوائف الى احتساب الصيت المعيد في ميدان الانتاج الأدبي .
بغية التفوق على غيرها ، وقد أدى الى منافسات أدبية بين الدول الطائفية ،
فقد عم صيت بلي الأفضس جميع أنحاء الأندلس بفضل ديوان ابن مبدون
في تجميعهم . وإذا اعتبرنا أن إشبيلية كانت بالدرجة الأولى كعبة
الشعراء ، وأن المعتضد والمعتمد كانا من فحول الشعراء الأندلسيين ، فلا
شك في أن مكانة إشبيلية في الشعر الأندلسي خلال القرن الهجري الخامس
قد أشرت في أذهان الأدباء عبر الأندلس ككافة ، وساهمت في استحسان
صورة إشبيلية بوصفها دولة طائفية رئيسية .

(8) - الخاتمة

لقد أدى تعقيد النظام الحكومي في عهد بني هباد باشبيلية الى
تحمل أعباء مرهقة ، بسبب احتوائه على جهاز إداري ضخم تعددت فروعه
تعددا جعل نسييره أمرا صعبا ، ففقد بالحكومة عن النهوض بدورها الصحيح
في تدبير شؤون إشبيلية على مختلف مستوياتها .

ويبقى علينا أن نطرح مشكل صلاحية نظام الحكومة الاشبيلية لا من حيث حجمه وشكله فقط ، بل أيضا في مضمونه وجوهره . فهل كان النظام غير صالح في حد ذاته أم أن تطبيقه كان سيئا ؟ إن أي جواب عن هذا السؤال سيشتبل بالضرورة على درجة معينة من الاحكام التقييمية ، لان الحكم على قيمة أي نظام سياسي يفترض مقارنته بنظام آخر . وعلينا لمجانبة المقارنة أن نأخذ بعين الاعتبار فقط الجوانب التي تميز بها النظام السياسي الاشبيلي ، وتلك التي كان من الممكن أن تبرز . ومن الامثلة على الخاصية الاولى ، كما شرحنا في هذا الفصل ، أن سيطرة الحاكم على النظام السياسي كانت سيطرة مفرطة . غير أنه يبدو أن هناك جوانب أخرى من النظام لم تحظ بالاعتناء الكافية . فلو كانت البيعة قائمة على الاستحقاق بدلا من الوراثة ، ولو لم تستغل خطبة الجمعة ومؤسسة الاوقاف لاغراض سياسية صرفا ، ولو كانت اتصالات الموظفين الساميين بالسكان الاشبيليين أوسع وأوثق . وأخذوا مصالح هؤلاء بعين الاعتبار كهدف للسياسة الحكومية بدلا من جعله شرطا أساسيا لاستمرار النظام وبقائه . لكان مصير دولة إشبيلية الطائفية غير المصير الذي انتهت إليه . ومع ذلك لا يمكن الجواب عن السؤال المنعلق بمدى صلاحية النظام الاشبيلي إلا بعد طرح سؤال آخر عما إذا كان بالإمكان تبرير وجود الدولة الطائفية .

كان نظام حكومة إشبيلية شبيها بنظام بني أمية والمرابطين في ميادين عدة ، إلا أنه افرز بخصائص معينة في عدة جوانب . فتوازي البنية السياسية والادارية في حكومة بني عباد وحكومة بني أمية يمكن توسيمه لشمول المضمون أيضا . فقد وزنت الحكومة الاشبيلية بعض الطاقات البشرية

بعض الطاقات البشرية والتقنية من عهد بني أمية . إذ لا شك أن إدارتها استكثرت عدداً كبيراً من الموظفين الذين عملوا سابقاً في إدارة الخلافة قرطبية . فاستمرار الفوضى والمجازر الشاملة بقرطبة عقب سقوط بني أمية عامر وبني جهور أدت إلى تهجير أعداد ضخمة من أصحاب المهارة . ومن المحتمل أن تكون إشبيلية التي تمتعت بسلام نسبي على عهد بني عباد قد استجلبت القسط الأكبر من أولئك المهاجرين . وبرزت ظاهرة الهجرة بعد استيعابها فشكّلت المبود الفقري للنظام السياسي العبادي . أما على المستوى الإداري السامي فقد هجرت بعض الشخصيات قرطبة ، ومنهم ابن زيدون . لالتحاق بقصور المعتمد بن عباد ، حيث أصبحت لديها ذخيرة ثمينة .

وإذا كانت بقايا إدارة بني أمية قد شكّلت العناصر الأساسية التي طبعت النظام السياسي والإداري خلال حكم القاضي والمعتمد فقد احتل هذا النظام باتخاذ شكل أكثر تعقيداً في عهد المعتمد حيث تأثر التطور الإداري بمراحل مسيرته السابقة إلى درجة العجز عن الموحّد عنها . ورضم النهاية المشؤومة فإن الإدارة في عهد المعتمد قد تطورت فتحمّلت عبء أكبر دولة في الأندلس وألواها . وربما كانت نهاية الإدارة الإشبيلية نهاية الإدارة الأندلسية الأصلية . إذ بعد انهيار دول الطوائف أصبح مضر الأندلس يقرقر في الضفة الجنوبية للبوغاز . فباتصار المرابطين اتخذ التنظيم الإداري بالأندلس انجاءها جديداً بالسير على نمط النظام المغربي كما يظهر ذلك في النص التالي :

« أما مملكة المسلمين في الأندلس فلا يخفى أنها في معنى بلاد المغرب . وفي كثير من الأوقات يملكونهم ملوك المغرب الأقصى ، فالضرورة إن ترتيبهم جاري على ترتيب بلاد المغرب (67) .

(67) . صبح الأمشي . ج ٥ . ص 271 .

2 - الجيش الاشبيلي

(1) تركيب الجيش الاشبيلي وعناصره السلالية

يبين التنوع السلالي في تركيب الجيش على عهد بني عباد الاهداف التي رسمت له ليسعى في تحقيقها . فاهم خصائصه وأبرز مميزاته ولاؤه المبكين ومساندته المطلقة للحاكم وانصرافه عن أي مصدر آخر للسلطة السياسية . فبينما كان المعتمد يحظى على العموم بقبول الرعية الاشبيلية كان المعتضد لا يأمن أحداً ، بل لا يطمئن الى ولده . أما القاضي بن عباد فقد اضطر الى الاعتماد التام على جيشه لمواجهة الزعماء الاشبيليين المعارضين . ولذلك نرى منذ نشأة الدولة العبادية اعتماد القاضي بن عباد على مساندة جيش نظامي لا يتعاطف مع العناصر المحلية المعارضة ، واشتمال الجيش على نسبة هامة من العناصر الاجنبية .

وإذا كان التركيب السلالي للجيش في الانحاء الاخرى من الاندلس قد أدى الى سيطرة مجموعات تشكل أغلبية عرقية على قيادة الجيش ، فإن قيادته وتوجيهه المذهبي طيلة عهد بني عباد كان مردها باستمرار الى الحاكم . ولو افترضنا وجود أي نوع من التضامن الجماعي ضد الحاكم في صفوف الجيش فإن ذلك المشهور ظل مكتوباً لان العكس المادي كان هو الدافع الاساسي لالتحام الجيش ووحدة . ثم إن معنويات الجيش ظلت مرفوعة نظراً لاستمرار الانتصارات العسكرية طيلة ذلك العهد ولذلك لم تكن هناك أمانة تدعو إلى التخوف والاحساس بانعدام الاستقرار إذا ما قارناه بالجو الذي عاش فيه الوزراء في البلاط الاشبيلي . كما أننا لم نقف على أي أثر للبدائس والمؤامرات من طرف الجيش الذي كان

تنظيمه تنظيمًا محكمًا . فولاء الجيش المطلق للحاكم الأشبلي لم يكن في وقت من الأوقات مهتدا بأي تكنل قبلي أو بولاء لزعماء أو مجموعات خارجية . وكانت القرارات السياسية الواقعية المجربة لحكام بني عباد مما ضمن طاعة السكان التامة لحاكم إشبيلية من جهة ، وكذلك ولاء الجيش الذي كانوا يعتمدون عليه كثيراً من جهة أخرى ، وخاصة بهدف انعاش سياستهم الخارجية ، فظل ذلك الجيش يتمتع بحبوبة مستمرة .

وقد ساهم التنوع السلالي في حصر التمرد الداخلي وضمان وحدة الجيش . وكان المنصور بن أبي عامر قد أعاد تنظيم الجيش الذي كان مؤلفاً على أسس قبلية ، وقسمه إلى مجموعات تعرف بالجنود (88) . وبهذه الطريقة تمسك المنصور من القضاء على ولائهم القوي لزملائهم القبليين ، وجند عدداً كبيراً من المرتزقة ، وخاصة من بربر المغرب ، حيث سبق للمنصور أن عمل قائداً على الجيش خلال حكم الخليفة الحكيم الثاني . وقد اختلفت

(88) يصف الأمير عبد الله بن بلقين الإصلاحات التي أدخلها المنصور بن أبي عامر على الجيش الأندلسي كما يلي :

1 - أدخل ... تنوعاً حقيقياً في تركيب الجيش بهدف القضاء على أي تمرد لمجموعة معينة من طرف المجموعات الأخرى الباقية .

2 - عزز المنصور جهته بالزويد من الجنود ، خصوصاً البرابرة المغاربة ويصرح عبد الله أن جده بادس كان يوجد من بين هؤلاء القواد حيث أنه انضم إلى صفوف المنصور بدافع عقيدته القوية ورغبته في معارضة الملك المسيحي (« كتاب البيان » ، صفحاتنا 16 - 71) . وفرض المنصور ضريبة خاصة على الأندلسيين الذين امتنعوا عن المشاركة في الحراك واستعمل مدخولها في تغطية تكاليف وصاريف الجيش (نفس المصدر ، صفحات 16 - 18) .

جيوش بني عباد عن جيوش بني أمية وجيوش المنصور في عدة نواحي . ولا نعلم في مصادرنا على أية علاقة تشير الى وجود ولاء قبلي من طرف الجنود لرؤسائهم . وإذا كانت هناك مجموعة معينة في الجيش الاشبيلي قد بسطت سيطرتها، فإله لا توجد أية إشارة للعوامل التي تنجم عن اختلال التوازن. هذا ولم تؤد الفوارق السلالية داخل الجيش الى تكوين مجموعات منسجمة، فالخليط العرقي لا ينعكس الى تجنيد العبيد والمرزقة الا الجانب فحسب ، بل وحتى على التركيب الاجتماعي الاشبيلي وأدى عامل التنوع السلالي الى منع كل محاولة تمردية بطريقة منسجمة، إذ جعل كل محاولة للثورة من طرف مجموعات منفردة داخل الجيش . أمراً خطيراً .

ويبدو أن البربر لم يكونوا موجودين داخل الجيش الاشبيلي أو لم يشكلوا فيه على الاقل عنصراً مهماً . واعتمد بنو عباد على تلك الظاهرة في سيطرتهم على الحكم والقضاء على هيمنة حكم بنو حمود الاجنبي . ولو ضم جيش القاضي محمد بن عباد جنوداً من البربر بعد انتصاره على جيش بني حمود لطرحت أماننا تساؤلات منها :

(أ) - هل كان من الممكن تحويل ولاء الجنود البربر العميق لحكام بني حمود الى ولائهم لبني عباد ؟ إن انتصارات بني حمود العسكرية في كل من إشبيلية وقرطبة تشير الى عكس ذلك .

(ب) - هل كان ممكناً كبح طموحات البربر داخل الجيش الاشبيلي بعد أن استغلهم القاضي بن عباد في معارضته لحكم محمد بن حمود باشبيلية؟

(ج) - هل كان ممكناً منع تطور روابطهم السلالية والسياسية مع قادة البربر في المغرب ، وفي أنحاء أخرى من الأندلس كإمالة حتى لا

تصبح خطراً على حكام بني صباد؟ بل هل كان سكان بامكان القاضي بن صباد أن يجند نفس الجنود الذين فشلوا في منعه من إقامة حصركم باشبيلية؟ من المتفق عليه أن الأشبيليين نجحوا في مقاومتهم لفصائل القاسم بن حمود بعد طرده من قرطبة (69). ثم إن الوحدات البربرية بقيادة ابنه محمد قد طردها الأشبيليون من مدينتهم (70). ومما يؤكد احتمال انصراف ولاء الفصائل البربرية نحو وجهة أخرى أن جيوش القاسم بن حمود انضمت إلى صفوف يحيى بن حمود، حاكم مالقة بعد انهيار القاسم بن حمود وابنه محمد باشبيلية.

د - هل كان بامكان سكان إشبيلية أن يقبلوا الجنود البرابرة ضمن جيش بني صباد بعد أن رفضوهم بوصفهم صودا فقربا لنظام بني حمود؟ لقد أدت مشاركة البربر في تخريب قرطبة إلى خلق جو من الخوف لدى الأشبيليين من أن تلقى مدينتهم نفس المصير (71).

لقد عزز حكام بني صباد سيطرتهم على الجيش بتعيين أبنائهم قادة عسكريين. ورغم ذلك لم يتمكن المعتضد من حل مشاكل قيادة الجيش

(69) «الذخيرة»، القسم 3، ج 1، ص 2485 و«البيان المغرب»، ج 1، ص 184-188 و«المعجب»، ج 1، ص 81 و«المغرب في حلى المغرب»، ج 2، ص 28.

(70) نفس المصدر.

(71) عثره سكان قرطبة حكام بني حمود الذين عاملوهم معاملة قاسية. وأدى استبداد علي بن حمود في النهاية إلى اعتياله («الذخيرة»، القسم 1، ج 1، صفحات 109-108). كما أطاح القرطبيون بحكم أخيه القاسم للمرة الثانية سنة 414 هـ / 1022 م. تخربت جيوشه المناطق التي تجاور قرطبة قبل أن توجه نحو إشبيلية («الذخيرة»، القسم 1، ج 1، ص 288).

الاشبيلي بالاعتماد على أبنائه في هذه المهام (72) . ولقد برز أبناء المعتمد في أداء هذه المهمة بفعالية أكبر ، إذ عين المعتمد بن عباد عدداً من أبنائه قادة عسكريين ونصّبهم عملاء له .

فما هي المجموعات التي تتكون منها جيش بني عباد با قرى ؟ .
 يستحيل تحديد الحقيقة للتركيب السلالي لجيش إشبيلية ، إلا أنه توجد قرائن على تعدد أجناسه . ويبدو أن جيش بني عباد استمد قوته من صنفين من الجنود لم تكن لهم انتماءات عاطفية ولا أيديولوجية ولا سياسية ، وهما المرزقة والعبيد (73) .

دفع استياء أهل إشبيلية من المرزقة والعبيد من جهة ، وشهورهما بالاعتماد الاستقرار في بلاد أجنبية من جهة أخرى ، إلى اعتمادهم على القوة

(72) فعلى سبيل المثال ، كان رفض ابن المعتضد ، إسماعيل ، قيادة الجيش الأشبيلي في الهجوم على أرطبة سبباً في اغتياله من قبل أبيه . ومن جهة أخرى ، بث المعتضد ابنه محمد ، الذي أصبح المعتضد فيما بعد ، على رأس جيش إشبيلي لحصار مالقة . وبعد فشله في هذه المهمة طلب المعتضد الفرار من أبيه ، في أبيات شعرية (« لائد العقبان » في كتاب « تاريخ بني عباد » لريندارت دوزي) .

Heinbart P. A. Dozy, *Historia Abbadidarum*, vol. 1, p. 88 .
 (73) يصف لنا ابن حبان كيف استعمل القاضي محمد بن عباد ثرواته الكبيرة في تقوية جيشه وشراء العبيد وجلب المرزقة (« الذخيرة » ، القسم الثاني ، ج 1 ، صفحات 15-16 .
 وفي البيان الشرب ، ج 5 ، ص 88 و « أعمال الأعمال » ، ص 178) ، هذه الإشارة هي أوضح دليل يمكننا معرفة أحوال الجنود الأشباليين المرزقة . كما شارك جنود الفونسو السادس المسيحيون في المراك إلى جانب الجنود الأشباليين ، إلا أن نسبة الجنود المسيحيين في الجيش الأشبيلي ليست واضحة .

ولم يكن الأمير عبد الله شخصية معاصرة فقط، بل شارك في عدد من الأحداث التاريخية التي يناقشها. لقد ألف عبد الله كتابه في المغرب بعد احتلال يوسف بن ناشفين لدول الطوائف. ولذلك كان عبد الله مقلا فيما قاله عن يوسف، ولكنه استطاع أن يناقش تاريخ غرناطة وعلاقتها بالدول الطائفية الأخرى مثل اشبيلية بقرية ثامة. ولا ننحصر قيمة كتاب «التبيان» في كونه مصدراً مهماً للمعلومات، فبعد الله بن بلقين يقدم لنا أفهاره والدوافع الحفية وراء قراراته، بل انه يذهب إلى تحليل سلوك وعقلية خصومه أمثال وزير المعتمد بن عباد، ابن عمار، أو ألفونسو السادس. وينقل أحياناً اقتباسات من الشخصيات التي يشير إليها مثل رسل ألفونسو السادس، سيسناندو، دافديث وألفا فانبيث وبيدرو أنسوريث. وأخيراً فرغم اهتمام عبد الله أساساً بتاريخ غرناطة فإنه يناقش أبرز الأحداث التاريخية في القرن الخامس الهجري مثل احتلال ألفونسو السادس لطليطلة في سنة 478 هـ - 1086 م. ومعركة الزلاقة في سنة 479 هـ - 1086 م التي شارك فيها

وللمعلومات الواردة في المصادر المسيحية إسهام كبير في تكميل أو مطابقة أو معارضة المعلومات الواردة في المصادر الإسلامية أو العربية ويمكن المؤرخ من خلال اختلاف نظرة كل منها اختبار المادة ومعالجة المشاكل المختلفة بموضوعية أكثر، ومع الأسف الشديد فإن الوقائع التاريخية المسيحية (كرونيكاس) التي اهتمت بالقرن الحادي عشر الميلادي (الخامس الهجري) قليلة ولا يمكن استعمالها إلا في نطاق محدود. ولم تهتم هذه الأخيرة بالمجتمع الأندلسي الإسلامي في حد ذاته بل انحصرت ذكرها لهذا المجتمع في إطار علاقاته مع الخصام والقادة المسيحيين أمثال ألفونسو السادس و«السيد القنباطور» رودريغو ديثا، ولكن هناك روايتان تاريخيتان

في حالات تمرد بعض كتائبه المقيمة بحضور ثابتة . وكانت هذه الوضعية تتناقض مع حالة جيش الامير عبد الله بن بلقين الذي كان سلوك بعض قادته مطبوعا بالاستقلال التام ، ولو أنهم حافظوا على ولائهم الرمزي للحاكم . وقد فشل كل من ابن عمار وابن رشيق في حاسب مساندة جيشين كان بإمكانهما التفوق على الجيش الاشبيلي . ذلك أن ألفونسو السادس رفض مساندة ابن عمار ضد المعتمد . إذ كانت له معه معاهدة لحمايته أو على الأقل لعدم الاضرار به مقابل دفعه الجزية (78) . ومن جهة أخرى يمكن فشل ابن رشيق في امتناع يوسف بن تاشفين عن مساعدته ، معتبرا تمرده غير شرعي وليس له ما يبرره (76) . وبالإضافة الى ذلك فإن من العوامل التي مكنت ابن رشيق من المحافظة على سيطرته بمرسية في تلك الظروف تهدده للمعتمد بالانضمام الى صفوف ألفونسو في وقت وصلت فيه التفرقة بين الطوائف درجة استمرت حتى خلال حصارهم لحصن لبيط (Alode) الذي كان تحت سيطرة المسيحيين . ولقد استطاع يوسف بن تاشفين خلال فترة معينة بسبب موقفه من ابن رشيق أن يوحى لملوك الطوائف بأنه لا ينوي التدخل في شؤونهم الداخلية ، فضلا عن التفكير في احتلال ممالكهم . وإذا اعتبرنا هذه الحالة في إطار المجهومات السلالية وجدنا أن يوسف بن تاشفين، وهو البربري الاصل، قد رفض مساندة متهم على المعتمد ابن عباد ، كما رفض ألفونسو السادس، المسيحي، مساندة متهم آخر على

(75) نفس المصدر ص . 70 .

(76) نفس المصدر ، صفحتنا 111 - 112 .

حليفه المسلم . ويؤكد هذان المثالان التكنللات التي استوعبت مللا وأجناسا مختلفة بالاندلس . إلا أن ألفونسو السادس، ثم يوسف، اتخذوا مواقف معادية للمعتمد فيما بعد لأسباب أخرى .

ثم إن ولاء الجيش الأشبيلي للمعتمد ، وحتى عند نهاية حكمه ، يبين موقفه الصارم من هجمات الجيش المرابطي بقيادة المسمى أمير سمر (77) . فلقد واجه المعتمد جيش يوسف إلى النهاية . خلافا لبعض ملوك الطوائف كعبد الله بن بلقين الذي فضل مفاوضة المرابطين لاستسلامه (78) . ولم يجد المعتمد نفسه في مثل موقف عبد الله المتدهور ، لأنه كان قد شرع في انتهاج سياسة تشجيع واستخدام أبنائه قادة عسكريين (79) . فقد جاء ذكر المعتمد بن عباد ، مثلا ، في كتاب « الحلال الموشية » وهو يناش إينه الرشيد أبا الحسن عبد الله في السياسة الواجب ملوكها ضد ألفونسو السادس ، وكذلك في مسألة استغاثة ملوك الطوائف بيوسف بن تاشفين عند ما قرر ألفونسو السادس اتخاذ سياسة تصفية ضدهم بعد احتلاله لظليطة في سنة 478 هـ / 1086 م . (80) . وهناك مثال أوضح يبين مقاومة الجيش الأشبيلي الشديدة للمرابطين . فبعد هزيمة المعتمد سجنه يوسف بن تاشفين بأغيات ، حيث جاءه خبر مصرع ولده عبد الجبار نتيجة إصابته بسهم لما

(77) نفس المصدر ، ص . 170 .

(78) نفس المصدر ، صفحات 151 - 159 .

(79) فلولي سبيل المثال ، أرسل ابنه الراضي ليقوم مقام ابن رشيق كقائد على

مورسية إلا أنه نشل في الغرام بهذه المهمة (« هتتاب الثبيان » ، ص . 112) .

(80) « الحلال الموشية » ، صفحاتنا 51 - 52 .

المادي والعنف المرؤسي (10) ونجد انه مكاسا بالغا لهذا العنف في المصادر التاريخية، وبالرغم من البعد المثالي السائد في الملحمة فإنها لا تعارض الواقع التاريخي لتلك الفترة لان الاندفاع القوي للكسب المادي التي تعكسه الملحمة كان عنصراً محركاً أساسياً وراء ديناميكية السيد وأتباعه (11) !

ومع ذلك فبدلاً من أن تمكس الملحمة هذا العنف وهذا الشره بكيفية فجأة فإنها اعتبرتها داخل إطار الشرعية والمقداسة نظراً لمساندة الملك ألفونسو ربه في حربه ضد المرزبانين، فالملحمة من وجهة نظرنا ليست قصة فتوح أو

لغزقة وإنما قصة تمرد على سلطة ربه.

(10) فملى سبيل المثال، تتميز القوة من جملة خصائص السيد الباهرة كما يشير استعمال القوة ضد المرزبانين وأجباً خلقياً - أما العنف فهان جازراً في وصف احتلال السيد لحصون مختلفة مثل كاستيجون (Castellan)، والكوتور (Alcocer) وأتيها (Ataca) وتيرير (Terror) (ملحة السيد، Poema de Mio Cid, pp. 17 - 26) وهان يتمد على العنف اللفظي في التبرير عن الثمور الفيض للشاركون في معاهدة أميري هاريون (نفس المصدر، صفحات 94 - 103) بل وحتى السهوف التي يحملها أصحاب السيد وصفت « بالسيف المذبة » (Espadas dulces • Tajadores) (نفس المصدر، ص 94).

(11) فملى سبيل المثال، يقسم السيد عادة الفنائم المحصل عليها من المسلمين على رجاله في مناسبات ككالندفاع من بلنسية ضد ملك إشبيلية (ملحة السيد Poema de Mio Cid, pp. 40 - 41) ولقد حصل السيد على مساندة الملك القشتالي له من جديد بعد أن كان غاضباً عليه وذلك بمناسبة تقديم السيد هدايا للملك المذكور منها مائة خيل بعضها له بعد دقاه من بلنسية (نفس المصدر، صفحتي 41 - 42) وعند معاهدة أميري هاريون طلب السيد منهما إعادة السجن اللذين كان قد وهبهما إياهما والذان يعملان - اسم « هولادا » (Colada) و« تيون » (Tizon) - حضا طلب منهما مبلغاً مالياً قدره ثلاثمائة مارك كان قد منحها لهما أيضاً، وأخيراً طلب المدالة لابنتيه اللتين أضر بهما الامهران (نفس المصدر، صفحات 94 - 97 - 98).

المسيحيين . وكان الحصار على المدن يضرب طبق النمط المعهود ، فيتعين على المهاجم أن يجتاز الحواجز الدفاعية .

وكانت الحروب في الأندلس خلال القرن العجبري الخامس تتميز ببطئها نظراً لأن مدتها كانت محدودة ، ثم لقلة عدد المشاركين فيها نسبياً ، إذ كانوا يعدون بالمآت . ولذلك كانت مدة الحصار تتراوح بين الشهور والأعوام . وقد اتخذت إجراءات مختلفة لحماية المدن والحصون . ويزودنا الأمير عبد الله بن بلقين بمعلومات قيمة عن الطريقة التي مكنت الحصون من الحفاظ على الاكتفاء الذاتي ومن القدرة على مقاومة المهاجمين خلال أشهر وأعوام عديدة ، وذلك ببناء الأسوار الضخمة وحفر مستودعات للمياه للاعانة في الدفاع عن المدن والحصون (84) . كما بنيت المطاحن والمخازن لإدخار الأعكولات الواردة من القرى المجاورة . وبهذه الطريقة تمكنت الحصون من الاستمرار في المقاومة لفترة ناهزت السنة في بعض الأحيان (85) واستعملت في الدفاع عن الحصون أسلحة مختلفة منها السيوف والدرؤع والرماح والرعدات (86) .

وكان دور الجيوش بالأندلس يتنوع حسب الظروف ، فرغم أن المعارك كانت تنظم حسب النمط التقليدي بالتقاء الجمعين في ساحة القتال ، فإن الحروب الأندلسية كانت تتخذ في غالب الأحيان شكلاً غير منظم ولا متنوع .

(84) « كتاب التهان » ص 190 .

(85) نفس المصدر .

(86) نفس المصدر .

فلم تكن هناك قوانين يحدى بها ، إذ أصبح الخداع والمفاجأة بشكلاهما انقاصدة ، لا الإستثناء . واعتمدت الفئمة المعاصرة للحصن على الاشخاص الذين كانت لهم دراية ومعرفة بالعصن والمدينة بداخلهما . فقد أخبر ابن أضحى جيشي المعتمد بن عباد وأفونسو السادس عند محاصرتهما المشتركة لقرنطة بنقط الضعف والجهات السهلة الاقحام ، وذلك بعد ما توصل وزير المعتمد ، ابن عمار ، إلى الإتفاق مع أفونسو على إخضاع المدينة المذكورة (87) . كما اعتمد نجاح أفونسو في استيلائه على طليطنة على معرفته بتخطيط المدينة التي حصل عليه لما كان ضيقاً على ابن ذي النون . وكانت الحروب بالاندلس خلال القرن الهجري الخامس مليئة بالأمثلة على استخدام الخداع والغش والحيلة والعجمات المفاجئة ، سواء كان ذلك في المعارك أو في العلاقات اليومية بين الأعداء . بل وحتى بين الحلفاء أنفسهم . وأبرز مثال سبق لنا ذكره في اغتيال المعتضد بن عباد لمالكين طائفيين عند ما كانا في حمام قصره . وهجوم أفونسو السادس ، فجأة وغدراً ، على قوات المسلمين في معركة الزلاقة مثال آخر لاقتداء الخداع وسيلة في محاربة العدو (88) .

(87) نفس المصدر ، ص . 89 .

(88) كان أفونسو السادس قد اتفق مع يوسف بن تاشفين على عدم الشروع في المعركة قبل يوم الاثنين ، ومع ذلك لم يثق يوسف بالملك الأشبالي فأمر بالنسب الاحكام من جيشه بأن يستعد للحرب يوم الجمعة . ونسلاً شرع الفونسو في تقديمه نحو الاندلسيين يوم الجمعة في وقت الصلاة منتقداً أن الجيش الاندلسي والمغربي كان منهكاً في الصلاة . ولكن جنود يوسف قاموا بعد ذلك بهجوم مضاد من ناحية الورا" فكانت معركة الزلاقة . (« الموجب » ، ص . 134 و « الروض المطار » ، صفتنا 90 - 91) .

ويتعين علينا لكي نعرف دور وسلوك الجيش الإشبيلي معرفة أفضل أن تنصوره داخل نطاق الحالة العسكرية العامة في الأندلس ، فلم يكن المجتمع الإشبيلي موجهاً توجيهاً عسكرياً ، خلافاً لما كانت عليه المجتمعات في الشمال المسيحي التي كانت منظمة تنظيمياً عسكرياً من جهة . وكذلك في المغرب من جهة أخرى ، فنحن نجد ، مثلاً ، خلال حملات المنصور بن أبي عامر على المسيحيين أن الفلاحين رفضوا المعاربة في صفوف جيشه ، ففرض عليهم بدل ذلك تقديم جزء من محصول زراعتهم مقابل حمايته لهم (89).

ونوضحاً لذلك نقول إن المجتمعات المسيحية في شمال إسبانيا خلال القرن الهجري الخامس كانت في نأهب مستمر للحرب . وهناك من يعتقد أن لفظ قشتالة (Castilla) التي كانت أقوى الممالك المسيحية مشتق من عدد القشل التي كانت تؤسس لحماية سكان الحصون من الهجمات . وكانت المجتمعات المسيحية شبه إقطاعية فبلغت درجة التعسف العسكري قمتها خلال النصف الثاني من القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) ، وذلك أن النبلاء والفرسان في مملكتي ليون وقشتالة أهدوا وساندوا تعسف ألفونسو العسكري المتزايد ضد دول الطوائف . وكان بعض القادة العسكريين وأبرزهم وأدهرهم « رودريغو دياث » المعروف بلقب السيد (El Cid) يقومون بحملات عسكرية على دول الطوائف . ومن جهة أخرى كان هناك المرابطون الذين مكنتهم طبيعتهم الصلبة كحماة

(89) يشير الأمير عبد الله إلى أن الفلاحين الأندلسيين اعتنقوا لعدم مشاركتهم في معارك المنصور بسبب قيامهم بخدمة أراضيهم . ولكن حسب عبد الله ، لم يكن الأندلسيون يميلون إلى الحرب . فقد وافق الأندلسيون بدل ذلك على أداء ضريبة منتظمة أو إعطاء نسبة من محصولهم الزراعي مساندة للجيش (« كتاب البيان » ص 17) .

من التحويل من الصحراء ليصبحوا سادة المغرب والأندلس على السواء . وهذا لا يعني أن الجيش لم تكن له أية مكانة أو دور في المجتمع الأندلسي . فرغم أن الأندلسيين لم تكن لهم نفس الميول الحربية التي كان يعرف بها المسيحيون والمغاربة ، فقد ألزمهم انشقاق الأندلس خلال القرن العجزي الخامس بتكوين الجيوش والاعتماد عليها سواء لدرء عدوان الملوك والفرسان المسيحيين أو لصد هجمات ملوك الطوائف الآخرين . أما فيما يخص دول الطوائف بذاتها داخل الأندلس فإن أوقاها قد استعملت الجيش للاستيلاء على الأراضي والحصون ، بالإضافة إلى الغنائم ، بالهجوم على دول الطوائف في النطاق الدفاعي من أنظمتها السياسية والاجتماعية . وعند ما تصاعد خطر مملكة قشتالة لم تجد دول الطوائف نفسها في موقف القدرة على الإنفراد بالدفاع ، بينما استحال توحيدها ولو تحت إشراف يوسف بن تاشفين (90) . وكانت مكانة الجيش محدودة في المجتمع الأندلسي نظراً لما كان للفلاحة والتجارة من دور في الحياة الاقتصادية . ولم تكن الحرب ضرورية لاستمرار وجود دول الطوائف رغم أن الحروب كانت تستغل من طرف السياسيين والقادة العسكريين لخدمة مصالحهم الشخصية . واستنتاجنا الأخير هو أن الجيش قد فشل في القيام بوظيفته في حماية إقتصاد دول الطوائف من التخريب الذي كانت تبشره القوات الخارجية . ومع استمرار النهب وانخفاض الإنتاج ازدادت مطالب الجيش فتتج عن ذلك أن المجتمع في دول الطوائف لم يعد قادراً على تحمل عبء الضرائب المهرقة .

(90) يصف الأمير عبد الله بن بلقين ، وهو أحد المشاركين في حصار ليط (Alledo) كيف استحال على يوسف أمر التوفيق بين الخلافات المتعددة فيما بين ملوك الطوائف (منها خلاف المشد بن عباد والمستصم حاكم المرية وخلاف عبد الله بن بلقين وأخيه تميم) (« كتاب البيان » ، ص . 118) .

3 - المؤسسات الدينية والقانونية

(1) - المذهب المالكي بالاندلس

(أ) - الأسس الاجتماعية والسياسية للمذهب المالكي بالاندلس

كان أول من أدخل مذهب مالك بن أنس الفقهي إلى الاندلس نلامته كزياد بن عبد الرحمن وقرؤوس بن العباس والغازي بن قيس ، ثم جاء بعدهم آخرون (91) . فالمذهب المالكي الذي جعله الخليفة هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن مالك بن مروان المذهب الرسمي بالاندلس سنة 170 هـ / 786 م . قد ازداد رسوخاً خلال القرن الهجري الخامس (92) رغم وجود منافسة ضعيفة من طرف المذاهب الأخرى كالمذهب الحنفي والحنبلي والداودي (93) . وقد جرى تطبيق المذهب المالكي

(91) « ترتيب المدارك » ج 1 ، ص 26 .

(92) نفس المصدر ، ص 27 . انتشر المذهب المالكي بين القرن الثالث والخامس الهجري في الاندلس كما انتشر مؤثراً أو نكاحاً في ظل من الحجاز والبصرة ومصر وإفريقيا والمغرب الأقصى والاندلس وصقلية والسودان (إفريقيا الغربية) وفرنس واليمن وسوريا وبعض أقطار خراسان مثل قزوين وأهم ونيسابور (نفس المصدر ، ص 26) .

(93) نفس المصدر ، ص 27 . وصل مذهب أبي حنيفة المغرب والاندلس بدرجة محدودة خلال المراحل الأولى من انتشاره (نفس المصدر ، ص 26) ، وطبق المذهب الشافعي إلى حد ما في الاندلس خلال القرن الهجري الثالث (نفس المصدر ، ص 26) . ومن بين المذاهب الأخرى الأقل أهمية والتي ناست المذهب المالكي في الاندلس المذهب الاوزامي الذي تلاشى مبكراً في القرن الثالث الهجري (نفس المصدر) . أما مذهب داوود أو المذهب الظاهري فهان أيضاً من المدارس التي ظهرت في الاندلس . ومع ذلك فرغم إجماع الفقه على بن حزم للمذهب الظاهري إلا أنه ظل في مرحلته التكوينية خلال القرن الخامس الهجري ، ويمكننا أن نستنتج من كل هذا أن المذهب المالكي احتكر مجال القانون في الاندلس خلال عهد دول الطوائف ليصبح أكثر نشاطاً وفعالية تحت ظل المرابطين .

بإشبهلة في القرن الخامس الهجري كما كان الشأن في صوم الأندلس .
وتفسر الأسس الاجتماعية والسياسية للمذهب المالكي مدى انتشاره . وفضل
مساندة الدولة المطلقة أصبح المذهب المالكي المذهب المفضل وذا الإمتياز
الكبير ابتداء من سنة 170 هـ / 785 م فظل على هذه الخطوة طيلة عهد
دول الطوائف التي درجة أدت إلى احتجاج المنتهين لمذاهب أخرى ومنهم
ابن حزم . وإذا كان لا يمكن إنكار دور الدولة في نشر المذهب
المالكي بالأندلس فإن هذا الدور لم يكن إلا أحد العوامل المتعددة التي
أدت إلى نجاحه . فظهور العلماء كطيفة قوية دافعت عن المذهب المالكي
وضمنت تطبيقه العام كان حدثاً هاماً . ذلك أن الدرجة العليا من النفوذ
السياسي الذي حصلت عليه هذه الطبقة عن طريق احتكارها للسلطة
القضائية لم تكن ممكنة إلا بفضل صيتها الحسن عند الجمهور . وكان
القضاء يجلب موظفيه من جميع القآت الاجتماعية نظراً لانتشار التعليم
المجاني بالأندلس . وكان نشاط الدعاة وحيويتهم مما حقق المساندة الشعبية
للمذهب المالكي خلال عهد دول الطوائف . وهكذا نرى أن مساندة الدولة
للمذهب المالكي لم تكن الدافع الوحيد لانتشاره ومساندة الجمهور له .

يقدم القاضي عياض (476 هـ / 1084 . - 544 هـ / 1149 م) اللائحة
التالية للمؤلفين الأندلسيين وغيرهم من الذين ألفوا كتباً تتعلق بـ فضائل
مالك ومناقبه وأخباره . (94) :

(94) ترتيب المدارك ، ج 1 . ص 8 .

- 1 (القاضي أبو عبد الله الشستري المالكي .
- 2 (أبو الحسن بن نهر المصري .
- 3 (أبو محمد الحسن بن إسماعيل الضراب .
- 4 (القاضي أبو جعفر بن محمد الفريابي .
- 5 (أبو بشر الدولابي .
- 6 (أبو العرب التميمي .
- 7 (القاضي أبو الحسن المنتاب .
- 8 (أبو علافة محمد بن أبي غسان .
- 9 (أبو إسحاق ابن شعبان .
- 10 (الزبير بن بكار القاضي الزهري .
- 11 (أبو بكر أحمد بن محمد اليقطيني .
- 12 (أبو نصر بن الحباب الحافظ .
- 13 (أبو بكر ابن رازويه .
- 14 (القاضي أبو عبد الله البركاني .
- 15 (أبو محمد الجارود .
- 16 (الحسن بن عبد الله الزبيدي .
- 17 (أحمد بن مروان المالكي .
- 18 (القاضي أبو الفضل القشيري .
- 19 (أبو عمر المعامي .
- 20 (أحمد بن رشد بن .
- 21 (أبو محمد بن صالح الأبهري .
- 22 (أبو يعقوب ابن اللباد .

- (23) أبو محمد عبد الله بن أبي زيد .
- (24) أبو عمر بن عبد البر الحافظ .
- (25) القاضي أبو محمد بن نصر .
- (26) أبو عبد الله الحاكم النيسابوري .
- (27) أبو فر الهروي .
- (28) أبو عمر الطنمكي .
- (29) أبو عمر بن حزم الصدفي .
- (30) ابن الإمام التنطلي .
- (31) ابن حارث القروي .
- (32) القاضي أبو الوليد الباجي .
- (33) ابن الحبيب .
- (34) أبو مروان بن الأصبح القرشي النقيب (95) .

إن المستوى الرفيع والعدد الكبير لدعاة المذهب المالكي اقترنا بطول سيطرته على ميدان القضاء بالأندلس خلال القرون الثالث والرابع والخامس . وتجد كمثل على استمرار سيطرة هذا المذهب أن من بين الفقهاء والمؤلفين البارزين المذكورين أعلاه من عاش في قرون مختلفة فهناك الزبير بن بكار القاضي الزبيرى (98) الذي توفي سنة 269 هـ / 889 م.

(95) توجد اللائحة الكاملة للمؤلفين في المذهب المالكي في كتاب « ترتيب المدارك » ج 1 ، صفحات 9 - 12 .

(96) نفس المصدر ، ص 10 و « الدواج » ص 116 .

وإبن الإمام التطيلي (97) الذي توفي سنة 288هـ / 892م ثم القاضي أيبا الوليد الباجي الذي توفي بعدهما بقرنين ، أي في سنة 474هـ . - 1081 م .

ثم إن وفرة الأدب المالكي خلال القرنين الثالث والرابع تشير إلى أن الفقهاء الأندلسيين في القرن الهجري الخامس ، بما فيهم فقهاء إشبيلية ، قد توفرت لديهم أعداد كثيرة من المصادر التي عززتها مصادر أخرى من الشرق كالمدينة واليمن ومصر وإفريقيا (98) . فالمؤلفات المالكية التي أخرجها الفقهاء الأندلسيون والمغاربة استمرت في الوجود طيلة القرن الهجري الخامس ، حتى فوجت في القرن السابع بكتاب القاضي عياض الجامع «ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك» . فهذا الكتاب بزودنا بتراجم ومؤلفات العلماء والفقهاء المالكيين إلى حدود القرن السابع الهجري عند ما شرع الموحدون في جمع المذهب المالكي واضطهاد فقهاء في المغرب والأندلس . ولما كان القاضي عياض قد درس أهم المؤلفات المالكية في القرن السابع عند ما ألف كتابه «ترتيب المدارك» ، فإن هذا المؤلف يعكس ضمنا تأثير عدد كبير من المصادر التي اعتمدها الأندلسيون في القرن الهجري الخامس ، وقد توخى القاضي عياض في الجزء الأول من كتابه الدفاع عن

(97) «ترتيب المدارك» ، ج 1 ، ص 10 ، والدباغ ، صفحات 154 - 168 .

(98) وصف القاضي عياض في كتابه «ترتيب المدارك» العلماء المالكيين الذين تطرق للحدِيث عنهم في شكل «طبقات» ، ويبدو أن هذا التصنيف يعني على قدرتهم العلمية ومركزهم القضائي . وقد وضع القاضي عياض الشخصيات المذكورة في «طبقة» معينة بحسب أحوالهم تحت السنين التالية : أهل المدينة وأهل اليمن وأهل المغرب وأهل مصر وأهل إفريقيا وأهل الأندلس .

مالك ومذهبه . ويعطي مالك أهل المدينة مقاماً خاصاً كما يتضح من رسالته إلى الليث بن سعد (99) . ويخصص القاضي عياض عدة أقسام من كتابه للدفاع عن الأولوية التي يجب إعطاؤها لأهل المدينة . حيث أن هذا المبدأ عنصر انفرد به المذهب المالكي .

أما ثقافة المفكرين المالكيين فكانت خصبة . ثبت ذلك وفرة الأدب المالكي الذي انتشر بالاندلس خلال القرن الخامس الهجري . فقد كان كتاب موطأ مالك بن أنس والدروس التي أخذها تلامذته عنه والمعروفة بالمدونات (كمدونة ابن القاسم) مراجع أساسية للفقهاء المالكيين بالاندلس والمغرب . ثم إن هناك أمثلة لاشبيليين ألفوا دراسات حول مواضيع عديدة تتعلق بمذهب مالك وبالفقهاء المالكيين البارزين وبموطأ مالك . وقد قدم ابن بشكوال المؤلفين الاشبيليين الذين درسوا هذه المواضيع وهم :

- (1) أبو عمر أحمد القاضي الأموي المتوفى سنة 420 هـ . / 1029 م . (100).
- (2) أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن حارث (377 هـ . / 987 م . - 421 هـ . / 1030 م .) (101) .

(99) يوجد النص الكامل لهذه الرسالة في كتاب «ترتيب المدارك» ج 1 . ص 68 . وربما حاول القاضي عياض أن يؤكد صحة ما ادعاه الإمام مالك بشأن أهل المدينة فنقل جواب الليث بن سعد («ترتيب المدارك» ج 1 . ص 44) .

(100) الأموي هو مؤلف كتاب «التحقيق في سنين» و «المحتوى» (في 5 أجزاء) و «كتاب الصلاة» ج 1 . ص 44 .

(101) انطرت هو مؤلف كتاب «الانتفا» في أربعة أسفار (نفس المصدر . ص 104) .

- (3) أبو عثمان سعيد بن يحيى التنوخي (ولد سنة 426 هـ / 1034 م - وتوفي وسنه حوالي 70 سنة) . (102) .
- (4) أبو محمد عبد الله بن أحمد (ولد سنة 497 هـ / 1108 م) . (103) .
- (5) أبو محمد عبد الله (444 هـ / 1052 م - 522 هـ / 1128 م) . (104) .
- (6) أبو الحكم العاصمي بن خلف المقرئ (المتوفى سنة 470 هـ / 1070 م) . (105) .
- (7) محمد بن أحمد اللخمي البياحي (356 هـ / 966 م - 431 هـ / 1039 م) . (106) .
- ورغم ذلك فمن المحتمل أن يكون الفقهاء المالكيون الإشبيليون قد اعتمدوا أكثر على مؤلفات أندلسيين من أنحاء أخرى والتي كانت تفوق ما صدر بإشبيلية . ولا شك أن القرطبيين كانوا أخصب وأدق المؤلفين الأندلسيين ، فكان لمؤلفاتهم أثر عميق في الأندلس وخارجها (107) .

(102) للتنوخي مؤلفات في الفرائض ومواضع أخرى (نفس المصدر ، ص 314) .

(103) نفس المصدر ، ص 279 .

(104) لهذه الشخصية عدد كبير من المؤلفات منها : « الإقليم في بيان الأسانيد » و « كتاب الحلية وسراج الهدى في معرفة أسانيد الموطأ » و « كتاب أسانيد البيان صانعي الكتاب أبي نصر الكلبلاهي من الأفعال والنقصان » و « كتاب المناهج في رجال مسلم بن الحجاج » (نفس المصدر ، صفحتنا 283 - 288) .

(105) المقرئ هو مؤلف « كتاب التذكرة في الفرائض السبع » و « كتاب التعذيب » (« كتاب الصلاة » ج 2 ، ص 427) .

(106) نفس المصدر ، ص 466 .

(107) للبيبلوغرافيا ولذا ذكر كتب أبرز القضاة الأندلسيين أنظر « كتاب الصلاة » ج 1 ، صفحات 298 - 300 و 309 - 311 ، ج 2 ، صفحات 445 و 495 و 481 - 482 و 640 - 642 .

(ب) - المذهب المالكي : فواعده الأساسية وخصائصه العامة

يعتمد مذهب مالك أساساً، شأن المذاهب السنية الأخرى ، على القرآن والحديث . غير أنه ينفرد بأخذه لقواعد أخرى . وإذا اتخذ مبادئ المذهب ثم طبقها ثلاثه وأتباعه فيما بعد . والمصادر الأساسية والمبادئ حسب أولويتها هي التالية :

- (1) - القرآن .
- (2) - الحديث والسنة .
- (3) - عمل أهل المدينة .
- (4) - المصالح السهلة .

ويعتبر المذهب المالكي أكثر المذاهب السنية محافظة وتقليداً ، فهو مذهب طبيعة الصرامة ويوجب الالتزام الكامل بالقرآن والسنة وربما كان اعتماده عمل أهل المدينة قد جعله أوثق ارتباطاً من غيره بالكتاب وسنة الرسول . إن اتخاذ المذهب أعمال وتعاليم وسيرة أهل المدينة باعتبارهم أقرب من الناحية الزمنية والروحية إلى عهد الرسول (ص) ، نموذجاً ، أصبح في المذهب المالكي مبدأ تقارن أهميته بدور الاجتهاد عند المذهب الحنفي ، وبالاجماع عند المذهب الحنبلي . وهذا لا يعني أن المذهب المالكي يرفض الإجماع والاجتهاد ، وإنما يعني أن تطبيقه لهما مكان محدوداً . ويقدم لنا الإمام مالك عدة مبررات جدلية لإبراز أهمية أعمال أهل المدينة ، منها أن عشرة آلاف من الصحابة عاشوا وتوفوا بالمدينة (108) . ثم إن المالكيين

(108) مترتيب المدارك ، ج 1 ، ص 48 .

يفضلون في بعض الحالات عمل أهل المدينة على الحديث (109) . وتبرير الافتراض المتعلق بالاهتمام الخاص الذي يجب إعطاؤه لعمل أهل المدينة يبرز من خلال ذكر الفقهاء المالكيين لعدة أحاديث جمعتها شخصيات بارزة في هذا العلم ، كمالك بن أنس وأبو هريرة ، والبخاري الذي كان جمعه للأحاديث يخضع لمقاييس دقيقة للغاية (110) . ونورد فيما يلي حديثنا رواه مالك بن أنس ، وهو من الأحاديث التي تبرز أهمية المدينة ، والتي سبقت الإشارة إليها :

«اللهم بارك لنا في ثمارنا ، وبارك لنا في مدينتنا ، وبارك لنا في صاعنا ومدنا . اللهم إن إبراهيم عبدك وخليلك ونبيك ، وإني عبدك ونبيك ، وإنه دعائك لمكة ، وإني أدعوك للمدينة كما دعاك لمكة» (111) .

إن الأحاديث العديدة التي يذكرها القاضي عياض (112) تؤكد مركز أهل المدينة المفضل ، وهي موجودة في «موطأ» مالك ومصادر شرقية ومغربية وأندلسية أخرى اعتمدها الفقهاء المالكيون باشييلية على عهد بني عباد .

ويختلف تصور الإجماع عند الفقهاء المالكيين عن تصوره لدى المذاهب الفقهية الأخرى . فهم يعطون هذا المفهوم درجة أكبر في التصرف . وربما كان من غير حقنا مقارنة تحديد نسبة قرابة المذهبيين من المصدرين

(109) نفس المصدر ، صحتنا 46 - 48 .

(110) فملى سبيل المثال ، ذكر القاضي عياض عدة اقتباسات تؤيد أولوية الرجوع إلى أعمال أهل المدينة (نفس المصدر) .

(111) نفس المصدر ، ص . 82 .

(112) نفس المصدر ، صفحات 31 - 38 .

الأساسيين القرآن والحديث ، بسبب اعتماد كل مذهب على براهين خاصة ، في إثبات نواقفه مع روح المصادر الأساسية ، و خلاصة القول أن الفرق الاساسي بين المذهب المالكي والمذاهب السنية الأخرى هو أن الأول يربط تصويره للإجماع بمبدأ «أهل المدينة» معتمدا على نقل الحديث بينما يطبق الآخرون الاجتهاد حسب مفهومه اللفظي . ويحدد القاضي عياض معنى الاجماع فيما يلي : «إضافة النقل والعمل الى الجميع من حيث لم ينقل أحد منهم ولا عمل بما يخالفه » (113) .

وإلى جانب إجماع أهل المدينة الذي يعود أصله مباشرة الى عهد الرسول ص ، يوجد إجماع أهل المدينة المعتمد على الاجتهاد أو الاستدلال . والصف الأول مقبول عند جميع الفقهاء المالكيين ، بل وحتى عند المنتمين لمذاهب أخرى (114) . وهناك اختلاف كبير فيما يخص الصف الثاني . فاجماع أهل المدينة الذي يمكن ارجاعه مباشرة الى الرسول (ص) عن طريق نقل الجماعة عن الجماعة يمكن أن يصف بدوره الى نوعين : (أ) النقل المباشر عن الرسول (ص) . (ب) النقل للأعمال التي شهدها الرسول (ص) . فلم يعارضها ولم يباركها (115) .

إن الاعتماد على إجماع أهل المدينة المبني على الاجتهاد عند ما نقارنه

(113) «ترتيب المدارك» ج 1 ، ص 57 .

(114) نفس المصدر ، صفحات 47 - 59 .

(115) أمثال خاص بكل نوع انظر نفس المصدر ، ص 48 .

بالاعتماد على الخبر الأحاد يدقنا بطرح الاحتمالات الثلاثة الآتية : (116) .

11 عند ما يطابق إجماع أهل المدينة الخبر الأحاد ، يصبح الإجماع قويا لانعدام التناقض بينهما (117) .

12 عند ما يطابق إجماع أهل المدينة خبرا أحدا ، ويعارض خبرا أحدا آخر ، تعطى الأولوية للخبر المطابق للإجماع (118) .

13 عند ما يعارض إجماع أهل المدينة الخبر الأحاد ، ويكون هذا الخبر هو الوحيد الموجود في مسألة معينة ، تعطى الأولوية للسابق شرطه أن يكون مبنيا على حديث شريف . وإذا كان إجماع أهل المدينة مبنيا من جهة أخرى على مجرد الاجتهاد ، فإن الخبر الأحاد يفضل عليه . أما إذا تناقض خبران أحادان فيفضل الخبر الوارد من أهل المدينة على غيره (119) .

يدعي البعض أن مقياس نقل الجماعة عن الجماعة يعتبر عنصرا مقورا لأصالة قضايا معينة ، وأن موقف الأغلبية يجب تفضيله . فالإعتماد الكبير على نقل الجماعة عن الجماعة يثبت من الاعتبار المعطى لنقل الجماعة لأعمال ونعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم كوسيلة لتقرير أصالة هذا

(116) إن الخبر الأحاد هو أصنف نوع من الأحاديث أما النوع الثاني فهو الخبر المشهور (هو عبارة عن حديث له راو واحد أو أكثر ولكنه مشكوك في صحته نظراً لقطع في نقله) . والنوع الثالث من الأحاديث يسمى بالخبر المتواتر (وهو الحديث الذي نقلته جماعة إلى جماعة أخرى دون قطع) .

(117) نفس المصدر ، ص . 51 .

(118) نفس المصدر ، ص . 52 .

(119) نفس المصدر .

النقل ، حيث لا يحتمل أن نخطيء الجماعة أو تزور كما هو شأن الأفراد . ولقد وقف الشافعيون المعارضون للمذهب المالكي ضد مقياس صحة نقل الجماعة عن الجماعة ، وعارضوا بصفة خاصة اقتضاره عند الفقهاء المالكيين على أعمال أهل المدينة ، قائلين إن سكان المناطق الأخرى كالكوفة والبصرة حيث عاش بعض الصحابة ليسوا أقل ثقة (120) . وتركز رد المدافعين عن المذهب المالكي على أن المدينة وحدها توفرت على العدد الكافي من الصحابة ليضمنوا نقل الجماعة عن الجماعة (121) .

وكانت سيطرة مذهب مالك في الأندلس راجعة ، إلى حد بعيد ، لقدرته على التكيف مع الأحوال المتغيرة بالأندلس ، وتوفرته في مواجهة المشكلات الطارئة والتي لم تكن لها سوابق في المجتمع الأندلسي . لقد أحدثت مناهج جديدة داخل نطاق القرآن فبصكت من معالجة المشاكل الخاصة الناتجة من الظروف الاجتماعية الجديدة . ومن هنا كان دور مبدأ المصالح المرسل (إعطاء الأسبقية للمصالح العامة عند سكوت المصادر الأساسية) الذي جاء تكملة للمصادر الأساسية الأخرى ، فمكّن المذهب المالكي من معالجة المشاكل على نطاق أوسع . ونتج عن هذا أن المذهب المالكي أصبح يتصف بواقعية أكثر ومرونة أوسع ساعدت في بقائه كقوة حيوية (122) .

(120) نفس المصدر ، ص . 49 .

(121) نفس المصدر ، صفتا 49 - 50 .

(122) يطبق الإمام مالك مبدأ المصالح المرسل على نفسه لحل مشكلة تبادل التبر غير الناضج والتبر الناضج (أنظر كتاب المدونة الكبرى لمالك بن أنس والذي دونه سخون بن سعيد التتوخي ، ج . 10 ، القاهرة ، 1323 هـ ، ص . 10) .

ومع أن مبدأ المصالح المرسله لم يطبق إلا بعد اعتبار المصادر الأساسية فإن الفقهاء المالكيين ضاعفوا التجاهم إلى هذا المبدأ في معالجة القضايا الجديدة التي لم تكن لها سوابق وينقسم مبدأ المصالح المرسله إلى عدة فروع مثل الضرورة أو الحاجة والتحسينية وسد الفراغ .

وبعض النظر عن الاعتبار الديني فإن صدى هذا المبدأ كان كبيراً فيما له صلة بالشؤون المادية ، وبما كان متعلقاً منها على الخصوص بالحياة اليومية . وقد شمل مبدأ المصالح المرسله نطاقاً واسعاً ، ابتداءً من الشؤون المصلحية الإجتماعية كالأسرة (الزواج والنكاح والطلاق) إلى الشؤون المالية في التجارة والصناعة فالمشاكل الإدارية المتعلقة بالموظفين المدنيين والعسكريين داخل النظام السياسي .

(2) العدل في إشبيلية على عهد بني عباد

(أ) الأصل الإجتماعي لفقهاء إشبيلية وقضاة

لا يمكن مقارنة القضاء في إشبيلية بالقضاء في قرطبة ، سواء تعلق الأمر بمكانة ومستوى القضاء ، أو بقيمة مؤلفاتهم الفقهية . فالأعمال الفقهية الهامة لقضاة قرطبة خلال القرن الرابع الهجري ضمنت استمرار سيطرة قرطبة ، في الميدان العلمي ، على الأندلس إبان القرن الخامس . وتجلت هذه الظاهرة في سير الفقهاء والعلماء ، المنقولة في «كتاب المرقبة العليا» للنبهي ، المنشور بعنوان «تاريخ قضاة الأندلس» ، وفي «كتاب الصلة» لابن بشكوال حيث نجد أن الفقهاء القرطبيين يفوقون فقهاء جميع أطراف الأندلس عدداً وجوداً في الإنتاج . ويسر قرب المسافة بين إشبيلية وقرطبة

إنصافهما . فقد عمل قرطبيون قضاة فـي إشبيلية كما تتلمذ عدة من الأشبيليين على يد القضاة القرطبيين المشهورين (128) . وكان القضاة بإشبيلية في القرن الخامس الهجري أسى مركزا ومقاما من قضاة المدن الأندلسية الأخرى . ويشير كتاب السير للفقهاء الأندلسيين وقضاةهم إلى عدد مهم من الشخصيات الإشبيلية ، بالمقارنة مع العدد المتواضع لفقهاء المدن الأخرى كمالقة وغرناطة مثلا .

والم تختلف كيفية ومدى تطبيق المذهب المالكي بإشبيلية عن أنحاء الأندلس الأخرى في عهد بني عباد ، كما لم يتغير اتجاه القضاة بتبدل القضاة . فعندما تقلد القاضي محمد بن إسماعيل بن عباد وظيفة الحاكم ، كان من المحتمل أن يمين قاضيا آخر في منصبه القضائي السابق لأنه كان من العسير توافق مهامه السياسية مع المحافظة على التزاماته القضائية .

ويمكننا أن نقول ان كل قاض أندلسي كان فقها باعتبار تكوينه الديني المتين ، خصوصا في الدراسات الفقهية التي كانت شرطا أساسيا لتولي خطة القضاء . وكان تأثير الفقهاء في العدل بإشبيلية تأثيرا كبيرا بسبب دورهم في المحافظة على الإنجاد المالكي . ونذكر فيما يلي جملة

(128) ضاى سبيل النبال شغل القرطبي أبو الطرف عبد الرحمن أحمد بن الكيرش منصب قاض إشبيلية (مكتاب الصلاة ، ج . 1 ، ص . 304) . إن الأمانة على الأشبيليين الذين حوسوا بقرطبة هجرة ومنها مثال أمين القاسم إسماعيل بن أحمد العارث (377 هـ / 987 م . - 421 هـ / 1030 م) . وأبي عمر أحمد بن محمد المخيم المتوفى سنة 498 هـ / 1086 م . (نفس المصدر ، ص 48) . ومع ذلك لم ينحصر بحث الإشبيليين من العلم في قرطبة . فعلى سبيل المثال ، درس عبد الله إسماعيل بن العارث (407 هـ / 4016 م . - 478 هـ / 1086 م) على 265 أساتذا في الأندلس (نفس المصدر ، ص 278) .

من أسماء الفقهاء الذين عاصروا عهد بني عباد والذين وصفوا بعدة صفات
منها من أهل إشبيلية، أو إشبيلي، أو أصله من إشبيلية :

- (1) أبو العباس أحمد بن محمد بن الحاج بن يحيى (المتوفى سنة
415 هـ / 1024 م -) (124) .
- (2) أبو عمر أحمد بن عبد القادر الأموي (المتوفى سنة 420 هـ /
1029 م) (125) .
- (3) أبو القاسم بن أحمد بن سعيد الأموي المكتوب (352 هـ / 963 م -
428 هـ / 1036 م) (126) .
- (4) أبو عمر أحمد بن محمد اللخمي (المتوفى سنة 428 هـ / 1036 م) (127) .
- (5) أبو بكر أحمد بن محمد القيسي السبتي (المتوفى سنة 429 هـ / 1037 م) (128) .
- (6) أبو القاسم أحمد بن محمد الفزاري (370 هـ / 980 م - 435 هـ /
1043 م -) (129) .
- (7) أبو عمر أحمد بن مهلب البحراني (381 هـ / 991 م - 449 هـ /
1057 م) (130) .

(124) «كتاب الصلاة» ج 1 . صفحتنا 39 - 40 .

(126) نفس المصدر ، ص . 44 .

(126) نفس المصدر ، ص . 47 .

(127) نفس المصدر ، ص . 48 .

(128) نفس المصدر ، ص . 60 .

(129) نفس المصدر ، ص . 64 .

(130) نفس المصدر ، ص . 67 .

- (8) أبو عبد الله أحمد بن محمد الخولاني (418 هـ / 1027 م - .
508 هـ / 1114 م .) (131) .
- (9) أبو القاسم أحمد بن محمد القيسي (436 هـ / 1044 م - . 520 هـ /
1126 م .) (132) .
- (10) أبو جعفر أحمد بن محمد اللخمي (المتوفى سنة 633 هـ / 1138 م.) (133).
- (11) أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن أبي قباوس (951 هـ /
962 م - . 413 هـ / 1022 م .) (134) .
- (12) أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله الغافقي اللخمي (المتوفى سنة
425 هـ / 1033 م .) (135) .
- (13) أبو إسحاق إبراهيم بن أيمن (المتوفى سنة 460 هـ / 1067 م.) (136).
- (14) إسماعيل بن محمد بن عباد (المتوفى سنة 410 هـ / 1019 م.) (137).
- (15) أبو القاسم إسماعيل بن محمد الحرثي (377 هـ / 987 م - 421 هـ /
1030 م .) (138) .

(131) نفس المصدر ، ص . 76 .

(132) نفس المصدر ، صفحاتنا 60 - 61 .

(133) نفس المصدر ، صفحاتنا 82 - 83 .

(134) نفس المصدر ، صفحاتنا 92 - 93 .

(135) نفس المصدر ، صفحاتنا 93 - 94 .

(136) نفس المصدر ، ص 98 .

(137) نفس المصدر ، ص . 103 .

(138) نفس المصدر ، ص . 104 .

- (16) أبو القاسم إسماعيل بن محمد الحضرمي (المتوفى سنة 429 هـ . / 1037 م .) (129) .
- (17) أبو القاسم أصبغ بن عيسى اليحصي العبدي 393 هـ . / 944 م 418 هـ . / 1027 م .) (140) .
- (18) أبو القاسم أصبغ بن الرشيد اللخمي (المتوفى سنة 440 هـ / 1048 م.) (141).
- (19) أبو الحسن أصبغ بن سيد (المتوفى سنة 450 هـ . / 1058 م.) (142)
- (20) أبو القاسم ثابت بن محمد الأموي (388 هـ . / 949 م . - 426 هـ . / 1034 م .) (143) .
- (21) أبو مروان جعفر بن أحمد اللخوي بن الفاسلة 357 هـ . / 967 م . 438 هـ . / 1046 م .) (144) .
- (22) أبو العاسي حكيم بن أحمد البحراني الطائفي 365 هـ . / 905 م . - 426 هـ . / 1034 م.) (145) .
- (23) أبو محمد حجاج بن يوسف اللخمي بن الزاهد (المتوفى سنة 429 هـ . / 1037 م .) (146) .

(139) نفس المصدر .

(140) نفس المصدر ، ص . 109 .

(141) نفس المصدر ، صفحات 109 - 110 .

(142) نفس المصدر ، ص . 110 .

(143) نفس المصدر ، ص . 124 .

(144) نفس المصدر ، ص . 127 .

(145) نفس المصدر ، ص . 147 .

(146) نفس المصدر ، ص . 149 .

- 24) أبو الوليد خالد بن محمد الأديب . (المتوفى سنة 438 هـ . /
1044 م .) (147) .
- 25) أبو عثمان بن يحيى التنوخي (المتوفى سنة 426 هـ . / 1034 م) (148) .
- 126) أبو عمرو سعيد بن عياش القاضي المالكي (عاش في سنة
453 هـ . / 1061 م .) (149) .
- 27) أبو عثمان سعيد بن عبيدة العبسي (365 هـ . / 975 م - 459 هـ . /
1066 م .) (150) .
- 28) أبو عمر سيد بن أجان الخولاني (المتوفى سنة 440 هـ . / 1048 م .) (151) .
- 29) أبو الفتح سعدون بن محمد الزهري (المتوفى سنة 440 هـ . /
1048 م .) (152) .
- 30) أبو الحسن شريح بن محمد الرعيني المقرئ (451 هـ . /
1059 م . - 559 هـ . / 1168 م .) (153) .
- 31) أبو الحسن طاهر بن عبد الله القيسي (المتوفى سنة 450 هـ . /
1058 م .) (154) .

-
- 147) نفس المصدر ، صحتنا 176 - 177 .
- 148) نفس المصدر ، ص . 214 .
- 149) نفس المصدر ، صحتنا 217 - 218 .
- 150) نفس المصدر ، ص . 218 .
- 151) نفس المصدر ، ص . 223 .
- 152) نفس المصدر . صحتنا 224 - 225 .
- 153) نفس المصدر ، صحتنا 229 - 230 .
- 154) نفس المصدر ، ص . 285 .

- 32) أبو محمد عبد الله بن محمد اللخمي (المتوفى سنة 442 هـ . / 1050 م .) (155) .
- 33) عبد الله بن إسماعيل بن الحارث (407 هـ / 1016 م - 478 هـ . / 1083 م .) (156) .
- 34) أبو محمد عبد الله بن علي الباجي اللخمي (المتوفى سنة 478 هـ . / 1085 م .) (157) .
- 35) أبو محمد عبد الله بن محمد المعافري (المتوفى سنة 493 هـ . / 1099 م .) (158) .
- 36) أبو محمد عبد الله بن إسماعيل (المتوفى سنة 497 هـ . / 1103 م .) (159) .
- 37) أبو محمد عبد الله بن أحمد بن سليمان (444 هـ . / 1052 م . - 522 هـ . / 1128 م .) (160) .
- 38) عبد الرحمان بن عبد الله الحضري الأديب بن شبراق (المتوفى سنة 418 هـ . / 1027 م .) (161) .
- 39) أبو المطرف عبد الرحمان بن عبد الواحد الجذامي (المتوفى سنة 418 هـ . / 1027 م .) (162) .

(155) نفس المصدر، ص . 265 .

(156) نفس المصدر، ص 276 .

(157) نفس المصدر.

(158) نفس المصدر، صحتنا 278 - 279 .

(159) نفس المصدر، ص. 279 .

(160) نفس المصدر، صحتنا 282 . 283 .

(161) نفس المصدر، صحتنا 311 - 312 .

(162) نفس المصدر، صحتنا 312 - 313 .

- (40) أبو القاسم عبد الرحمان بن إبراهيم الغافقي (المتوفى سنة 434 هـ / 1042 م.) (163) .
- (41) أبو الوليد عبد الملك بن سليمان الأموي (356 هـ / 966 م. - 429 هـ / 1037 م.) (164) .
- (42) أبو مروان عبد الملك بن عبد العزيز اللخمي بن الباجي (447 هـ / 1055 م. - 532 هـ / 1137 م.) (165) .
- (43) أبو الأصبع عبد العزيز بن علي اللخمي الباجي (المتوفى سنة 478 هـ / 1080 م.) (166) .
- (44) أبو حفص عمر بن حزم الحضرمي القنبي (860 هـ / 970 م. - 447 هـ / 1055 م.) (167) .
- (45) أبو الحسن علي بن محمد الأنصاري (895 هـ / 1004 م. - 456 هـ / 1068 م.) (168) .
- (46) أبو الحسن علي بن عبد الرحمان التنوخي بن الأخضر (المتوفى سنة 514 هـ / 1120 م.) (169) .

(163) نفس المصدر، ص. 315 .

(164) نفس المصدر، ص. 342 .

(165) نفس المصدر، صحتنا 347 - 348 .

(166) نفس المصدر، ص. 363 .

(167) نفس المصدر، ص. 377 .

(168) كتاب الصلاة، ج 2، صحتنا 394 - 395 .

(169) نفس المصدر، ص. 404 .

- (47) أبو الاصمغ عيسى بن أحمد السبلي (عاش حوالي سنة 419 هـ . / 1028 م .) (170) .
- (48) أبو القاسم عباس بن يحيى اللخمي (350 هـ . / 961 م . - 426 هـ . / 1034 م .) (171) .
- (49) أبو الحكم العاسي بن خلف المقرئ (توفي سنة 470 هـ . / 1077 م .) (172) .
- (50) أبو عبد الله محمد بن خزيج اللخمي (توفي سنة 419 هـ . / 1028 م .) (173) .
- (51) أبو عبد الله محمد بن سليمان القطاني (عاش حوالي سنة 419 هـ . / 1028 م . وله ستين سنة) (174) .
- (52) أبو بكر محمد بن مروان الأبادي (توفي سنة 489 هـ . / 1095 م . وله 86 سنة) (175) .
- (53) أبو القاسم محمد بن عبيد الله البناني المعمر (390 هـ . / 941 م . - 424 هـ . / 1032 م .) (176) .

(170) نفس المصدر، ص . 412 .

(171) نفس المصدر، ص . 420 .

(172) نفس المصدر، ص . 427 .

(173) نفس المصدر، صفتاً 484 - 485 .

(174) نفس المصدر، صفتاً 484 - 485 .

(175) نفس المصدر، صفتاً 186 - 186 .

(176) نفس المصدر، ص . 490 .

- (54) أبو بكر محمد بن إبراهيم الأشعري بن أبي المقرئ (توفي سنة 426 هـ / 1034 م.) (177).
- (55) أبو عبد الله محمد بن أحمد اللخمي البجلي (856 هـ / 966 م. - 431 هـ / 1039 م.) (178).
- (56) أبو القاسم محمد بن إسماعيل بن عباد اللخمي (توفي سنة 433 هـ / 1041 م.) (179).
- (57) محمد بن ثابت الأموي. (توفي سنة 435 هـ / 1043 م.) (180).
- (58) أبو عبيد الله محمد بن عبد الله اللخمي بن الأحمد (857 هـ / 967 م. - 473 هـ / 1080 م.) (181).
- (59) محمد بن علي الأموي (توفي سنة 432 هـ / 1030 م.) (182).
- (60) أبو عبيد محمد بن عمر الفارسي بن أبي حفص (875 هـ / 985 م. - 469 هـ / 1066 م.) (183).
- (61) أبو بكر محمد بن أحمد القيسي (توفي سنة 464 هـ / 1071 م.) (184).
- (62) أبو عبد الله محمد بن أحمد القيسي (توفي سنة 469 هـ / 1076 م.) (185).

-
- (177) نفس المصدر .
(178) نفس المصدر، ص . 495 .
(179) نفس المصدر، صفحاتنا 496 - 498 .
(180) نفس المصدر، ص . 498 .
(181) نفس المصدر، ص . 500 .
(182) نفس المصدر، ص . 503 .
(183) نفس المصدر، ص . 513 .
(184) نفس المصدر، ص . 518 .
(185) نفس المصدر، صفحاتنا 518 - 519 .

- (63) أبو زيد محمد بن محمد الحميري (ماش في سنة 484 هـ / 1091 م - (186).
- (64) أبو بكر محمد بن عمر الزبيدي (توفي سنة 501 هـ / 1107 م) (187).
- (65) أبو عبد الله محمد بن أبي العافية النحوي المقرئ (توفي سنة 509 هـ / 1115 م) (188).
- (66) أبو محمد موسى بن محمد اللخمي الملاح (171 هـ / 981 م إلى حوالي سنة 443 هـ / 1051 م) (189).
- (67) أبو عبد الله مروان بن سليمان العافقي (946 هـ / 957 م - 418 هـ / 1027 م) (190).
- (68) أبو عبد الملك مروان بن الحظم القرشي (886 هـ / 996 م - 462 هـ / 1069 م) (191).
- (69) أبو عمرو معاذ بن عبد الله البلوي (342 هـ / 953 م - 418 هـ / 1027 م) (192).
- (70) أبو الفضل مهاجر بن محمد الأديب (توفي سنة 464 هـ / 1062 م، وله 68 سنة) (193).

-
- (186) نفس المصدر، ص: 527.
- (187) نفس المصدر، صفحات 588 - 537.
- (188) نفس المصدر، ص: 540.
- (189) نفس المصدر، ص: 575.
- (190) نفس المصدر، ص: 581.
- (191) نفس المصدر، صفحات 582 - 583.
- (192) نفس المصدر، ص: 601.
- (193) نفس المصدر، ص: 594.

- (71) أبو تمام موفق بن سعيد السلامي الشقاق (توفي سنة 426 هـ . / 1084 م . وهو في الخمسينات) (194) .
- (72) أبو الحسن مبارك مولاي محمد بن عمرو البكري (توفي سنة 419 هـ . / 1028 م . وهو في الخمسينات) (195) .
- (73) أبو عمر نزار بن محمد القيسي الزيات (توفي 426 هـ / 1084 م) (196) .
- (74) أبو العباس وليد بن سعيد الحضرمي الجباب (توفي سنة 419 هـ / 1028 م . وله 66 سنة) (197) .

ومن المحتمل أن يكون قد استقر بإشبيلية على عهد بني عباد فقهاء آخرون وفدوا عليها من مناطق أندلسية أخرى للعمل بها . فقد كفلت إشبيلية فرصا للعمل لم تكن متوفرة في غيرها من المدن ، فجلبت الشخصيات المرموقة والمشهورة في الميادين الثقافية والقضائية والسياسية . وصاحب قدوم هذا العدد الكبير إلى إشبيلية انتقال الأشبيليين إلى مناطق أخرى من الأندلس والشرق . ويقدم لنا ابن بشكوال اللائحة التالية للفقهاء والقضاة الذين سكنوا إشبيلية خلال حكم بني عباد أو خلال فترات قريبة منها :

(1) أبو القاسم أحمد بن محمد الأديب الفرضي بن الطنيزي (توفي سنة 416 هـ . / 1025 م . أو 417 هـ . / 1026 م) (198) .

-
- (194) نفس المصدر، صفحات 599 - 600 .
- (195) نفس المصدر، ص . 400 .
- (196) نفس المصدر، ص . 606 .
- (197) نفس المصدر، ص . 608 .
- (198) مصنف الصلاة ، ج . 1 ، ص . 98 .

- (2) أبو بكر أحمد بن أدهم (ولد سنة 857 هـ / 967 م . وعاش سنة 425 هـ / 1033 م) (199)
- (3) أبو عمر أحمد بن خلف اللغوي النحوي الضرير (381 هـ / 991 م - 449 هـ / 1057 م .) (200)
- (4) أبو عمر أحمد بن عبد الله الأموي المكتوب بن النحاس (توفي سنة 460 هـ / 1068 م . وله 80 سنة) (201)
- (5) أبو القاسم خلف بن سعيد الأزدي بن المنفوخ (عاش في سنة 408 هـ / 1012 م) (203)
- (6) أبو القاسم خلف بن محمد القيسي القرطبي الوراق (توفي سنة 437 هـ / 1046 م . وله 70 سنة) (203)
- (7) أبو عثمان سعيد بن عبد الله الأزدي القرشي النحوي (توفي سنة 129 هـ / 1037 م) (204)
- (8) أبو القاسم سلامة بن أمية التجيبي الإمام (366 هـ / 976 م - 442 هـ / 1050 م .) (205)

-
- (199) نفس المصدر، ص 45 .
(200) نفس المصدر، ص 57 .
(201) نفس المصدر، ص 61 .
(202) نفس المصدر، ص 162 .
(203) نفس المصدر، ص 168 .
(204) نفس المصدر، ص 218 .
(205) نفس المصدر، ص 220 .

- 9) أبو سعيد سماك بن أحمد الجذامي الواعز (870 هـ / 980 م - -
443 هـ / 1051 م.) (206).
- 10) أبو محمد عبد الله بن محمد الجذامي بن البزلياني (891 هـ /
1000 م - - 445 هـ / 1053 م.) (207).
- 11) عبد الله بن سعيد الرعييني بن الساموني (عاش في حوالي سنة
454 هـ / 1062 م.) (208).
- 12) أبو المطرف عبد الرحمان بن مسلمة القرشي المالقي (859 هـ /
979 م - - 446 هـ / 1054 م.) (209).
- 13) أبو القاسم عباس بن غيث الحمداني (835 هـ / 946 م - 428 هـ
/ 1034 م.) (210).
- 14) أبو بكر هيثم بن خلف المقرئ (توفي سنة 510 هـ /
1116 م.) (211).
- 15) أبو تمام غالب بن محمد العواري الاشبوني (876 هـ / 886 م -
440 هـ / 1048 م.) (212).

- (206) نفس المصدر، ص 226 .
(207) نفس المصدر، ص 267 .
(208) نفس المصدر، صفتا 268 - 269 .
(209) نفس المصدر، صفتا 320 - 321 .
(210) كتاب الصلة، ج 2، صفتا 419 - 420 .
(211) نفس المصدر، ص 428 .
(212) نفس المصدر، صفتا 431 - 432 .

- (16) أبو الحسن كامل بن أحمد القادسي بن الاطس (توفي سنة 490 هـ / 1098 م .) (213) .
- (17) أبو عبد الله محمد بن الخطاب الايادي (عاش سنة 419 هـ . / 1028 م) (214) .
- (18) أبو بكر محمد بن مغيرة القرشي (349 هـ / 960 م . - 425 هـ . / 1038 م .) (215) .
- (19) أبو الوايد محمد عبد العزيز الخشني بن المعلم (354 هـ . / 965 م . - 431 هـ . / 1039 م .) (216) .
- (20) أبو عبد الله محمد بن مسعود الاموي (354 هـ . / 965 م . - 431 هـ . / 1039 م) (217) .
- (21) أبو عبد الله محمد بن عيسى الاموي المكتوب المعمر (349 هـ . / 960 م . / - 445 هـ . / 1053 م .) (218) .
- (22) أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخولاني (توفي سنة 448 هـ . / 1058 م . وله 76 سنة) . (219) .

(213) نفس المصدر، ص . 450 .

(214) نفس المصدر، ص . 455 .

(215) نفس المصدر، ص . 489 .

(216) نفس المصدر، ص . 494 .

(217) نفس المصدر،

(218) نفس المصدر، صفحتا 504 - 505 .

(219) نفس المصدر، ص . 507 .

- 23) أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن شبرين (توفي سنة 508 هـ / 1109 م .) . (220) .
- 24) أبو بكر يحيى بن عبد الله القهري (توفي سنة 607 هـ / 1113 م .) . (221) .

ب) - تسيير القضاء : القاضي ومساعدوه

يشير تعدد القضاة بإشبيلية إلى أن مهامهم كانت تختلف بين قاض وآخر. فربما كان قاضي الجماعة أكثر نفوذا من غيره من القضاة . ولكننا نرى من المهم أن نناقش المحتويات العامة لسلطة القاضي الشرعية وحدودها ومدى تطبيقها بإشبيلية .

لقد كان مدى النفوذ الشرعي للقاضي بإشبيلية خلال القرن الهجري الخامس مقصورا على الحدود التي وضعها المذهب المالكي . وكانت هذه الحدود متشابهة بين جميع أنحاء الأندلس ، وإذا كان الحاكم هو الذي يعين القاضي مباشرة فليس من السهل تحديد درجة خضوع القاضي لمشئته الحاكم . فقد اختلف النفوذ الفعلي في نفس المكان باختلاف الفترات ، حيث كان نفوذ القضاة يمتد ، أساسا ، على شخصية كل من الحاكم والقاضي . ولا فائدة لنا نتيجة لهذه الظاهرة من محاولة تحديد وضبط السلطة الفعلية التي كانت للقضاة في إشبيلية ، أو محاولة مقارنتها مع

(220) نفس المصدر، ص 588 .

(221) نفس المصدر، ص 636 .

سلطة القضاة المتممين لمناطق وفترات أخرى . فقد كانت سلطة القاضي ، نظرياً ، هي المصدر الأساسي للسلطة التشريعية . أما من الناحية العملية فيمكننا أن نتساءل عما إذا كان مركز القاضي التشريعي أسمى من مركز حكام بني عباد ، وخاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار سيطرتهم السياسية . ونشك في أن القاضي الاشبيلي كان في موقف يمكنه من تحدي سلطة الحاكم . وحتى لو كان الأمر كذلك فليس من المحتمل أن يكون قد تمتع بهذا الحق (222) . ومن تحدي السلطة التشريعية للقاضي وتجاوز حدودها ونطاقها نرى أن قوة السلطة القضائية وضعفها كانا ينبثقان عن الوضعية الواقعية لهذا الجهاز كجزء من النظام السياسي العام .

كان الهدف الصريح للقاضي الاشبيلي ضمان العدل في نطاق نفوذه الشرعي ، بالدفاع عن المظلومين والضعفاء الذين يلجأون إليه (223) . وكان عدم تحيز القاضي مبدأً مطبقاً في غالب الأحيان ، غير أنه كانت هناك عوامل إنسانية واجتماعية تحد من استقلاله ، كتهرضه ، مثلاً ، لضغوط أعوانه ، فضلاً عن ضغوط الحاكم وبعض الفئات الاجتماعية كالفقهاء . وكثيراً ما جاءت كتب الفقهاء والعلماء في هذا المجال تنصح القاضي بابتعاد نفسه عن ضغوط مساعديه حتى يتمكن من النهوض بمهامه والحفاظ على حياده وعدم تحيزه . وثبتت هذه الإشارة حقيقة وجود تلك

(222) يرى بعض الفقهاء المالكيون أن القاضي يجب أن يعمل بحذر عندما يتعلق الأمر بالحاكم ، مؤسدين منافع الاتفاق والوفاء بينهما (أنظر مثلاً رسالة في القضاء والحسبة لابن هبسون ، صحتاً 4 - 5) .
(223) نفس المصدر ، ص 7 .

الضغوط (224). وكان لكل قاضٍ إشبيلية عشرة أهوان، إلا أنه كان يعتمد على عدد من الفقهاء، أقلهم أربعة، إثنان من مجلس القضاء، وآخران من المجلس الجامع. كما كان القاضي يعتمد في بعض الأحيان على آراء الوزراء (225). وكان له مساعدون في مرافق أخرى منهم صاحب المدينة والحاكم اللذين كانا يخصصان للقاضي بطقربة غير مباشرة.

أما عدم تمييز القاضي لسكان إشبيلية فكان مرتبطا بضعف خصائصه الإنسانية خصوصا إذا صلحنا بانعدام ثقة القضاة في العامة نتيجة اتصافهم الطبيعي. وكان بعض القضاة، اجتماعيا وماليا، محظوظين. وقد اقترح الفقهاء الأندلسيون في مؤلفاتهم الغنى شرطا لنجاح القاضي (226). إلا أن هذا الجدل قائم على احتمال خاطيء، إذ يزعم أن الاغنياء أقل طمعا وارتشاشا من ذوي الحاجة.

هل كانت مواقف القاضي محمد بن عباد تتأثر في شأن العدل بإشبيلية بمصالحه السياسية بعد ما تولى الحكم؟ بل هل كان يتدخل في سلطة القاضي ومسؤوليته بعبارة أفصح؟ إن حصيلة عمله قاضيا سابقا بإشبيلية تثبت معيه في إرضاء حكام بني حمود إن لم نقل الإشبيليين عامة. ورغم تجربته الإيجابية في هذا الميدان فإن أحوال القضاء بإشبيلية بعد أن تولى القاضي بن عباد حكمها، ليست واضحة فقد كانت

(224). نفس المصدر، ص. 8.

(225) نفس المصدر، ص. 9.

(226) نفس المصدر.

تصفيته التصفية لمنافسيه السياسيين لا تنصف بالعدالة إطلاقاً . إلا أن روحه الواقعية كانت تحفزها على ضمان العدالة الاجتماعية لتلافي الاضطرابات الداخلية التي من شأنها أن تهدد مركزه . وإذا نحن اعتبرنا مصير العدالة بإشبيلية في علاقتها بالحاكم نجد وضعيتها متشابهة طيلة عهود حكام بني عباد الثلاثة : القاضي بن عباد والمعتضد والمعتمد .

وسبق اعدد من الموظفين ، فضلاً عن القاضي محمد بن عباد ، أن يشاروا القضاء بإشبيلية في عهد بني حمود (227) . ولكن عند ما تولى بنو عباد مقاليد الحكم انفراداً بتعيين القضاة . ووصف ابن بشكوال في «كتاب الصلة» تعيين إشبيليين قضاة بأوصاف مختلفة منها «استقضى بإشبيلية» واستقضى ببلده» و «تولى القضاء بإشبيلية» . وفيما يلي بعض من تولوا القضاء بإشبيلية :

- (1) أبو القاسم أحمد بن محمد القيسي (486 هـ . / 1044 م . - 520 هـ . / 1126 م .) (228) .
- (2) إسماعيل بن محمد بن عباد اللخمي (توفي سنة 410 هـ . / 1019 م .) (229) .

(227) عن القرطبي أبو المعرف عبد الرحمان بن أحمد بن كعيب المقرئ سنة 409 هـ / 1018 م . قاضياً بإشبيلية خلال الفترة («كتاب الصلة» ص . 104) . وربما عمل ابن كعيب قاضياً في نفس الوقت الذي عمل إسماعيل بن عباد في هذا المنصب إلى سنة 410 هـ / 1018 م . (228) نفس المصدر .

(229) «كتاب الصلة» ج . 1 . صفحة 103 .

- 3) أبو الحسن شريح بن محمد الرهيني المقرئ (451 هـ . / 1059 م . - 559 هـ . / 1163 م .) (280) .
- 4) أبو القاسم محمد بن إسماعيل بن عباد اللخمي (توفي سنة 433 هـ . / 1041 م .) (281) .
- 5) أبو القاسم بن أحمد بن منذر (توفي سنة 520 هـ . / 1128 م .) (282) .
- 6) أبو عبد الله بن شبرين (418 هـ . / 1027 م . - 505 هـ . / 1111 م .) (283) .
- 7) أبو بكر محمد بن العربي (468 هـ . / 1075 م . - 543 هـ . / 1148 م .) (284) .

ربما كان تولي الأشيليين منصب القضاء بمدبنتهم يرجع بالدرجة الأولى إلى تعدد القضاة بها . ويبرز هذه الوفرة التفريق بين قاضي الجماعة وقاضي القضاة ، كما كان الشأن بعموم الأندلس (285) . ولقد عين عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن شبرين (المتوفى سنة 508 هـ . / 1109 م .)

(280) نفس المصدر ، صفحتنا 239 - 270 .

(281) « كتاب الصلاة » ج 2 ، صفحتنا 495 - 496 .

(282) « منية الملتبس » ص 866 .

(283) نفس المصدر ، ص 857 .

(284) « غريدة النصر » ج 2 ، ص 220 .

(285) فلهي سيرال المثال ، يوصف أبو الحسن شريح بن محمد الرهيني ، « قاضي الجماعة

بإشبيلية » (غريدة القصر ، في كتاب « تاريخ بني همدان » لراينهارت «وزي :

(Reinhart P. A. Dozy. *Historia Abbadidarum*, vol. 1, p. 383).

قاضي إشبيلية ، وكان أصله من مجرق بالدولة الطائفية الإشبيلية (236).
وتقلد إشبيليون منصب القاضي في نواحي أخرى من الأندلس والمغرب .
من ذلك أن أبا محمد عبد الله بن إسماعيل (المتوفى سنة 497هـ / 1103م) عمل قاضيا بأغمات في المغرب (287) ، وأن أبا مروان عبد الملك بن عبد العزيز اللخمي بن الباجي (447هـ / 1056م - 532هـ / 1137م) عمل قاضيا في مرتين بغرب الأندلس (288) ، بينما عين المعتمد أبا بكر محمد بن أحمد القيسي قاضيا بقرطبة (289) .

وكانت علاقة القاضي بالفقهاء في إشبيلية متينة ، فقد أوصى بأن يستعين بالفقهاء في مراقبة بيت المال (240) . واعتمد على المشاور في الأحكام لينصح القاضي ويعينه . ونلي قائمة بأسماء بعض الفقهاء الذين شغلوا منصب المشاور بإشبيلية ، وهم :

(1) - أبو القاسم خلف بن سعيد الأزجي بن منفوخ (توفي سنة 403هـ / 1012م) (241) .

-
- (236) « كتاب الصلاة » ج 2 ، ص 588 .
 - (237) « كتاب الصلاة » ج 1 ، ص 279 .
 - (238) نفس المصدر ، صفحات 247 - 248 .
 - (239) « كتاب الصلاة » ج 2 ، ص 518 .
 - (240) « رسالة في القضاء » ص 10 .
 - (241) « كتاب الصلاة » ج 1 ، ص 162 .

- (2) - عبد الله بن إسماعيل بن حارث (407 هـ . / 1016 م - 476 هـ . / 1088 م) (242) .
 (3) - أبو زيد محمد بن محمد الحميري (عاش حوالي سنة 484 هـ . / 1091 م) (243) .
 (4) - أبو بكر يحيى بن عبد الله الفهري (توفي سنة 507 هـ . / 1118 م .) (244) .

وكان بإمكان الفقيه الواحد أن يشغل في نفس الوقت منصبا رسميا دينيا ومنصبا قضائيا فقد كلف أبو الحسن شريح بن محمد الرضيني المقرئ (451 هـ . / 1059 م - 559 هـ . / 1168 م .) بإلقاء خطبة الجمعة ، من جهة ، وشغل منصب القاضي في إشبيلية من جهة أخرى (245) وليس من الواضح ما إذا كان كلف بالمهتمين معا وهناك فقهاء آخرون بإشبيلية كلفوا بإلقاء خطبة الجمعة ، دون غيرها (246) .

(242) نفس المصدر ، ص . 275 .

(243) « كتاب الصلاة » ج 2 ، ص 597 .

(244) نفس المصدر ، ص 685 .

(245) « كتاب الصلاة » ج 1 ، صحتا 398 - 399 .

(246) يشير ابن بشكوال إلى أن الشخصيات التالية قد شغلت منصب صاحب الصلاة بإشبيلية : أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن أبي قابوس (351 هـ . / 962 م - 413 هـ . / 1022 م) (« كتاب الصلاة » ج 1 ، صحتا 98 - 94) وأبو عثمان سعيد بن سعيد العبسي المقرئ (366 هـ . / 975 م - 442 هـ . / 1050 م .) نفس المصدر ، ص . 318 . أما أبو عثمان سعيد بن يحيى التبوخي (385 هـ . / 975 م - 459 هـ . / 1066 م .) فقد صلح . . . بإمام المسجد بإشبيلية . . . (نفس المصدر ، ص . 214) .

ومن المناصب الرسمية العدلية الخالصة « كتاب الرد » . وقد شغل هذا المنصب في إشبيلية: أبو الأصبح عبد العزيز بن علي اللخمي الباجي (المتوفى سنة 479 هـ / 1080 م) (247). وقد انفردت الأندلس بهذا المنصب دون المغرب والمشرق ، ورغم ذلك فإن أهدافه ليست واضحة عندنا . وليس من الوارد أن تكون مكانة هذا المنصب أسمى من مكانة منصب القاضي ، ولكن يبدو أن الهدف الأساسي منه هو تمكين المتقاضين من الطعن في أحكام القضاة .

مكان النظام القضائي في إشبيلية خلال القرن العجري الخامس نظاماً
مرضياً على وجه العموم ، فقد أدى دوره الأساسي رغم توتر الظروف السياسية في ذلك العهد . ويجب إرجاع هذا الاستنتاج حول حالة العدالة بإشبيلية إلى مذهب مالك الذي شمل تطبيقه جميع أنحاء الأندلس . فإذا كان هذا المذهب قد عرف بصرامة أحكامه فقد كان متسامحاً مع النصارى واليهود الذين تمكنوا من تطبيق قوانينهم الدينية . واتقد ذهب بعضهم إلى اتهام المذهب المالكي بعدم تسامحه وردته عن عصره . إلا أننا نجد أن صدها من أبرز الفقهاء في مذاهب أخرى قد عاشوا وألفوا وهدلوا في ظل المذهب المالكي بصفته المذهب الرسمي في المغرب والأندلس . لقد ذكرت قضية إجران كتب ابن حزم في إشبيلية مثالا لتعسف المذهب المالكي (248) . إلا أن

(247) نفس المصدر ، ص . 358 .

(248) هناك إشارة إلى أن ابن عباد حرق كتب ابن حزم (« الذخيرة » ، القسم الأول ، ج . 1 ، ص . 169) . ويؤكد هذا الحدث ما ورد في أبيات ابن حزم الشهيرة حيث يسر لها عن غضبه (نفس المصدر ، ص . 171) . واعتباراً لكون ابن حزم توفى سنة 480 هـ / 1088 م . قبل حصول المتمد بن عباد على الحكم سنة 468 هـ / 1070 م فلا شك أن الحاكم المعنى بالأمر هو المتمد بن عباد .

السبب الحقيقي للضغوط التي سادت على النقيه ابن حزم الظاهري المذهب كان سبباً سياسياً ، يرجع بالأخص إلى عدائه الشديد للنظام دول الطوائف . ولم تكن قضية ابن حزم قضية استثنائية في ظروف كان فيها ملوك الطوائف يباشرون المطاردة السياسية على نطاق واسع ، بل إن ابن حزم ، رغم خلافه الجوهري مع المذهب المالكي ، كانت له صلات متينة بالمؤسسة الدينية . ومما ثبت هذه الحقيقة أنه درس على أساتذة مالكيين وتلمذ عليه طلاب مالكيون . ومن جهة أخرى كان الفيلسوف والفقيه ابن رشد الذي امتاز بحرية تفكيره في تعارض مع التعاليم المالكية خلال القرن الهجري السابع ، حيث كان المذهب المالكي ما يزال مسيطراً . ولا يجب التقليل بأي حال . في هذه الحائفة ، من أهمية دور المذهب كعنصر توحيد خلال القرن الخامس الهجري الذي انطلقت خلاله قوى التنصكك السياسي والاقتصادي والاجتماعي في الاندلس . وقد ظلت وحدة النظام القضائي بالاندلس ضمن القوى القليلة التي ساهمت في الاندماج الاجتماعي داخل دول الطوائف ، وأدت إلى الوحدة السياسية النهائية في الاندلس تحت لواء المرابطين .

الفصل الثالث

الحياة الاقتصادية والاجتماعية في إشبيلية

1 . الاقتصاد الاشبيلي

(1) إشبيلية وموارد الاندلس :

شجعت القوة الاقتصادية لبلاد الاندلس خلال القرن الخامس الهجري - إذا تصورناها كياناً متكاملاً - تناقضاً واضحاً بالمقارنة مع جميع الدويلات المسيحية في شمال إسبانيا وبلاد المغرب . لقد احتوت الاندلس على أخصب الاراضي وأكثرها إنتاجاً في شبه الجزيرة الايبيرية ، امتدت عبر الوادي الكبير غرباً وضمت مناطق من بلنسيا وسرقسطة شرقاً وكافحت الزراعة في معظم هذه الاراضي تعتمد على الري .

ومما يدل أيضاً على هذه القوة الاقتصادية التي كانت تتمتع بها بلاد الاندلس ما كانت تزخر به أرضها من وفرة في المواد الخام وتنوع في الثروات الطبيعية بإشبيلية . إن المجتمع الاندلسي كان فلاحياً بالاساس

والانتاج الفلاحي هو الذي يمد حاجيات هذا المجتمع من المواد الاساسية ، ومن هنا كانت أهمية المناطق القروية عظيمة بصفتها المنتج للموارد الفلاحية . وبالرغم من سيادة مظاهر التمدين في إشبيلية قامت الريفات المجاورة بدور رئيسي ، فلقد عزفت الضواحي الريفية للدولة الطائفية الإشبيلية استغلالاً فلاحياً واسعاً يؤكد ارتفاع عدد سكانها . ورغم عدم توفر الاحصاءات ، فإن عدد القرى المهم في إشبيلية يحمل دلالة كبرى في هذا الصدد . وحسب الرقم الذي أورده المقرئ فهي تقرب من اثنتي عشرة ألف وهو عدد مبالغ فيه بلا ريب (1) . وتبعاً للنمط السائد بالأندلس كان الريف الإشبيلي يعتمد أساساً على اقتصاد معاشي ، ولكن إذا اعتبرنا الأهمية التي اكتسبتها بعض المدن كإشبيلية من الناحية التجارية فإننا نصادف وجود علاقة حضرية بدوية جد متطورة .

لقد كانت المناطق الريفية تسعى لتحقيق الاكتفاء الذاتي فيما يتعلق بمنتجات القمح الذي يكوّن المصدر الأساسي للغذاء . أما صناعة الزيت فكانت نشيطة بسبب انتشار فرس أشجار الزيتون . وفي جانب آخر سهل توفر شبكة للمواصلات الاتصال مع أهم المدن مثل إشبيلية ، كما ساهم في تنشيط عملية المبادلات فيما بينها (2) . ولا تفتقر الأهمية الحقيقية للموارد الفلاحية الإشبيلية إلا بوصفها في إطار الحالة العامة التي كانت عليها الأندلس . فلقد اشتهرت أرض الأندلس بانتاج الزيتون واللوز والزيتون

(1) « نفع الطوب » ج . 1 ص . 210 .

(2) لم يكن التنقل داخل أنحاء دولة إشبيلية الطائفية إلا مسألة أهام معدودة (« صحیح

الاعشى » ج . 5 ص . 228)

والبرقوق والموز ، فضلا عن التين وخاصة ما كان يعرف في إشبيلية
بالتين القوطي والتين السفري (3) . وإلى جانب ذلك ازدهرت منتوجات
كثرت تستخرج مع النبات كالمطور وأخرى كالنوابل مثل الزعفران (4) .

واعتبرت المعادن من أهم الثروات الطبيعية التي جادت بها أرض
الأندلس ، وتنوعها تعددت مناطق استخراجها . وقد ذكر ابن سعيد وجود
أنواع سبعة من المعادن ، لكنه لم يحدد طبيعتها . فالصفر كان موجوداً
في مناطق مختلفة من البلاد بينما كان يتم تحويل الرمال في لبلبة إلى
زجاج (5) . وبالنسبة للرخام فكان يستخرج من عدة مناطق ، فمثلاً في
قرطبة وجد الرخام الأبيض والأحمر ، أما الرخام الأسود وهو أقل قيمة من
سابقه فتعددت نواحيه (6) . وفيما يخص الذهب فإنه كان يستورد من
الشرق ومن إفريقيا عن طريق المغرب ، ومع ذلك وجدت كمية منه في
بعض مناطق شبه جزيرة إيبيريا . ونظراً لتعدد المعادن عرف استغلال
المناجم في الأندلس - شأنه في ذلك شأن الفلاحة - تطوراً فاق بلاد المغرب .
وزيادة على ما ذكر اشتهرت مواد ومنتوجات أخرى كالخشب والصباغة
التي غلب عليها اللون الأحمر خاصة (7) .

(3) نصح الطيب ، ج 1 ، ص 186 .

(4) نفس المصدر ، ص 166 .

(5) نفس المصدر ، ص 188 - 187 .

(6) نفس المصدر ، ص 187 .

(7) نفس المصدر .

كما انتشرت الصناعات في مختلف أنحاء الأندلس حيث تخصصت كل ناحية في إنتاج صناعة معينة تكمل بها حاجيات النواحي الأخرى ، فعلى سبيل المثال تخصصت مورسيا في صناعة الطرز الذهبي وصناعة الزرابي والأساور المذهبة والمقصات والسكاكين وفي صنع الأسلحة ، أما الجيرية ومالقة فقد تخصصتا أيضاً في الطرز الذهبي وصناعة الخزف والأواني الزجاجية ، واشتهرت غرناطة بصناعة ثوب حريري ملون عرف باسم المبلد (8) . كما كان يصدر إلى الشرق زليج ملون ولامع عرف باسم الزليجي (9) . وفي إشبيلية عرفت المنتوجات المعدنية شهرة واسعة ضاهت الشمال المسيحي ومن جملتها صناعة الاقواس والرماح والسهام بالإضافة إلى صناعة السرج المزينة (10) .

وهذه الصورة العامة من الأحوال في بلاد الأندلس والمستخلصة من مصادر متأخرة تقتبس من ابن سعيد . تطابق أحوال القرن الخامس الهجري . وهناك ملاحظتان :

أولاً ، إن الحيوانات والنباتات التي وجدت في الأندلس خلال هذه الحقبة كانت معروفة في البلاد منذ أربعة قرون ، ذلك أن أحوال المناخ لم يطرأ عليها أي تغيير ، كما أن البلاد لم تشهد أية ظاهرة طبيعية عظيمة .

(8) نفس المصدر .

(9) نفس المصدر ، صحتها 187 - 188 .

(10) نفس المصدر ، ص . 188 .

وثانياً ، إن المعادن والمنتجات الصناعية الأخرى المذكورة في المصدر السابق كانت تستغل على نطاق واسع خلال فترة حكم ملوك الطوائف وقبلها أي خلال عهد بني أمية . بالإضافة إلى ذلك شهد القرن الخامس الهجري تشييد أفخم القصور الأندلسية وأجمل المنشآت المعمارية وفي مقدمتها المسجد الأعظم بقرطبة . ومثل هذه المنشآت كانت تتطلب استهلاك قسط وفير من الذهب والفضة والمواد الأخرى المستعملة في التزيين والزخرفة .

ويتحدث المقري في كتابه عن النشاط الذي كانت تعرفه إشبيلية وعن تطورها خلال القرن الهجري الخامس ، فيدفعنا إلى استخلاص نتيجة إيجابية وهي ان إشبيلية كانت من أبرز المدن الأندلسية وأشهرها ، فقوتها السياسية والاقتصادية بالمقارنة مع الدول الطائفية الأخرى ، ومستواها المعاشي والحضاري الرفيع المشتمل في قصور بني عباد وفي الدور الأساسي الذي لعبه الواسي الكبير في ميادين الزراعة والتجارة ، كل ذلك يؤكد صحة هذا الاستنتاج .

وبالرغم من القوة الاقتصادية التي كانت تتمتع بها بلاد الأندلس فإن عدم الاستقرار السياسي الذي تميز به عهد ملوك الطوائف كان له أثر وخيم على الأوضاع الاقتصادية ، وتجلى ذلك في مستويين :

الأول ، ان التقسيمات السياسية عرقلت التعاون الاقتصادي ، ذلك أن صق وحدة النزاع السياسي بين دول الطوائف التي اتخذ الطابع العسكري خلال مدة فالت السبعين عاماً ، قد ازداد تفاقماً .

والثاني ، إلى جانب عدم الاستقرار السياسي ، وجد تناقض خطير تمثل في توحيد مملكتي ليون وقشتالة تحت إمرة ألفونسو السادس ، وقد تمكن هذا الأخير بفضل الوضعية المضطربة التي كانت عليها دول الطوائف من أن يستأثر بشمار الاقتصاد الطائفي من طريق ممارسة الضغوط على هؤلاء الملوك . ولقد شكّل التطور الاقتصادي للأندلس عنصراً مادياً هاماً حرك شره ألفونسو السادس ويوسف بن ناشفين فيما بعد ، وإذا كانت مملكة ليون وقشتالة ومملكة ابن ناشفين قد عرفنا الاستقرار السياسي ، فتدهور أوضاع الطوائف جعلها ، على النقيض من ذلك ، فريسة سهلة .

ونتيجة لذلك يجب التذكير بالعوامل الاقتصادية كقوة محرّكة هامة خلال تحليلنا المدقق للعلاقات السياسية بين إشبيلية والوحدات السياسية الأخرى خلال القرن الخامس الهجري .

(2) الاقتصاد الحضري في إشبيلية

ساهمت الطبوغرافيا والتاريخ والثقافة المحلية الإشبيلية في خلق كيان فريد متميز بخصائصه ، ولئن كانت إشبيلية عناصر مشتركة على مستوى التنظيم الاجتماعي مع الحواضر الإسلامية الأخرى فإنها ظلت أهم المراكز الحضرية بالأندلس ، وقد شهدت المدن الأندلسية في القرن الخامس الهجري نمواً واتساعاً أصبحت معه إشبيلية من أهم حواضر البحر الأبيض المتوسط ، وقد نعتها بهذه الصفة أصحاب الرحلات خلال القرون الوسطى (11) .

(11) « فتح الطب » ج 1 ص 161 .

ولقد ساعدت الظروف الطبيعية على اتساع المدينة ونموها المطرد ، وامتدح الشعراء والكتاب هوائها الخفيف ونهرها الرائع ومنشأتها الجميلة (12) . وكما عرفت المدينة بتعدد قراها ، تميزت أيضاً بكثرة أسواقها ودورها البهية ، وحماماتها العمومية (13) . وقد اشغلت الضواحي المجاورة الحصة أحسن استفلال بفضل مياه الري (14) . واتسع نطاق المفروسات وفي مقدمتها أشجار الزيتون ، فكان المسافر يقطع مسافة خمس وعشرين ميلاً تحت ظلال الزيتون الوارفة . ونتيجة لسهولة الملاحة التجارية بواسطة الوادي الكبير وقيام أسواق منظمة تنظيمًا جيدًا ، استطاع التجار الإشبيليون أن يحصلوا على ثروات مهمة خاصة عن طريق المتاجرة في زيت الزيتون الذي كان ينتج محلياً (15) .

إن بروز إشبيلية كمركز حضري هام خلال عهد بني عباد قد تقدم باستمرار، ويتضح ذلك من مقارنة وضعيتها في هذا الصدد، قبل وبعد فترة حكم بني عباد . كانت قرطبة عاصمة للاندلس بدون منازع خلال القرن الرابع الهجري . أما إشبيلية فبالرغم من أنها مركز حضري هام لم تكن تداني قرطبة بأية كيفية . ومع ذلك ، ففي أواخر القرن الخامس الهجري كانت قرطبة قد تعرضت للتخريب مراراً ، وربما لم تعرف مدينة أخرى في

(12) نفس المصدر ، ص 149 .

(13) نفس المصدر ، ص 151 .

(14) نفس المصدر ، ص 150 .

15 نفس المصدر .

الاندلس ما عرفته قرطبة من أعمال السلب المتتالية على يد جيوش المهدي وسليمان وعلي بن حمود والقاسم بن حمود ، وابن ذي النون وابن هباد ، الذين كان لهم جميعاً نصيب وفير في تخريب هذه المدينة وفي انهيار مكانتها تدريجياً خلال القرن الخامس الهجري . وعلى العكس من ذلك أدى تزايد القوة السياسية والعسكرية لإشبيلية ومناعة حاجزها الطبيعي المتمثل في الوادي الكبير ، بالإضافة إلى سورها العائل إلى إفضال محاولة القاسم بن حمود في احتلال المدينة . ولأسباب عديدة لم نستطع باقي المراكز الحضرية الأندلسية المهمة الوصول إلى أهمية النمو الذي بلغته إشبيلية وسرعته . فعلى سبيل المثال ، عانت طليطلة وبلنسية من حالي الحصار ثم الاحتلال على يد ألفونسو السادس ثم السيد ، لكن خسائرها لم تكن في مستوى ما لحق قرطبة من أضرار . وهناك مدن أخرى كفرنطاة ومالقة وقرمونة والجزيرة الخضراء لم تكن قادرة على منافسة مكانة إشبيلية الحضرية العامة ، بل كانت هذه المدن تضعفها هجمات الجيوش الإشبيلية . واستطاعت سرقسطة أن تدافع عن استقلالها الذاتي أمام أطماع جيرانها المسيحيين ، كما استطاعت أن تواجه جيوش المرابطين . لكن معالمها الجغرافية والطبوغرافيا لم تكن تساعد على قيام الفلاحة وتنشيط التجارة خلافاً لما كانت عليه الحال في إشبيلية . ومما زاد في تفوق إشبيلية وبروزها كأعظم المراكز الحضرية بالاندلس اختبارها من طرف المرابطين لتكون عاصمة لهم في الأندلس بعد أفول حكم بني عباد . ثم استمر نمو إشبيلية ليبلغ أوجه في عهد الموحيدين .

كانت نقطة الضعف التي انسم بها الاقتصاد الإشبيلي على عهد بني عباد هي إعطائه بصيغة من الإستقرار المصطنع . لقد كانت إشبيلية مثلها

مثل جل الدول الطائفية الاخرى تشتري سلمها من ألفونسو بدفع جزية سنوية له ، وكان ضرر هذه الجزية مزدوجاً ، فمن جهة أولى ، كانت دائمة ، ومن جهة ثانية ، كان مال الجزية يؤمن عادة حسب شروط ألفونسو. (16) وكانت نتائج ثقل هذه الضريبة على الاقتصاد الاشبيلي عديدة . مما تسبب في إضعافه تدريجياً ، فأصبح بإمكان جيش ألفونسو إلحاق مزيد من الضرر بها، كما ارتفعت الضرائب الداخلية لمواجهة إلحاح الجزية ، فتعشرت قدرة الاقتصاد الاشبيلي إلى أقصى الحدود . وباختصار ، إنجه الاقتصاد الاشبيلي نحو الاضطراب والتبعية . لقد كان ممكناً استعمال أموال الجزية التي سلمت لآفونسو مقابل شراء السلم في تقوية الجيش الاشبيلي كي يصبح قادراً على القيام بواجباته الدفاعية . وعلاوة على ذلك فكلما طالعت مدد تسلم الجزية إلى ألفونسو كلما نعر الامتناع عن أدائها ، لأن جيش ألفونسو يزداد قوة لا بأموال الجزية التي قدمتها له إشبيلية فقط ، بل وحتى الدول الطائفية الاخرى مثل غرناطة وطلطلة وبلنسية وبمباراة أخرى ، إن إضعاف الاقتصاد الاشبيلي يعكس بالنسبة لآفونسو تقوية طاقته الاقتصادية التي تزداد سنوياً .

إنه يصعب علينا تحديد القيمة المالية في دول الطوائف نظراً للتناقضات التي تصادفتنا . فعلى سبيل المثال ، نجد الهدايا التي منحها المعتمد بن عباد للشعراء وصلت خمسمائة مثقال (17) . وجاوز هذا القدر أربعين مرة قدر

(16) ضلي سبيل المثال ، اشنكي الامير عبد الله بن بلالين من الورقة التي وقع فيها ملوك الطوائف لكون ألفونسو السادس فرض عليهم اداء أموال الجزية السنوية (« فتح الطيب » ج 1 ، ص 78) .

(17) « فلاند المقبان » ، صفحنا 10 - 11 .

عشرين ألف مثقال ، وهو المبلغ الذي طلبه ألفونسو في البداية من الامير عبد الله بن بلقين (18). ولم يتجاوزه قدر ثلاثين ألف مثقال الذي سلمه في النهاية عبد الله بن بلقين لألفونسو إلا بستين مرة (19) . إن مقارنة هذه المبالغ ندفعنا الى أحد استنتاجين إما أن مبلغ الجزية كان قليلا عند مقارنته بالهدايا التي تعطى لبعض الشعراء ، وإما أن هؤلاء كانوا يحصلون على مبالغ تفوق ما يستحقونه بكثير .

إن مقدار مال الجزية التي أدته إشبيلية لألفونسو لدليل على قوة إقتصادها وحجم إيراداتها الاجمالية . فبالرغم من نضاعد مقادير الجزية المفروضة على إشبيلية سنة بعد سنة أخرى ، فإن نفقات القصور ازدادت تديراً ، ولمواجهة ثقل الجزية وإلحاحها لجأ الحكام الى تصعيد الضرائب واستغلال الثنائيم التي ضمنت بسبب الهجوم على دول الطوائف الأخرى . فسلمت المقادير التي كان من الواجب صرفها في تكوين جيش قوي قادر على صد خطر قشتالة المتربص باستمرار لهذه الأخيرة في شكل جزية ، وبدلاً من إبعاد التهديد المباشر ، ساهمت الجزية في تقويته لأن جيش ألفونسو أصبح قوياً بسبب استغلاله لمال الجزية ، وأصبحت مطالبه أكثر إلحاحاً نتيجة لهذا التفوق .

ويمكننا أن نتساءل عن القدر المالي للجزية التي فرضها ألفونسو على إمارة إشبيلية ، هل كان أكثر من طاقتها ؟ تشير بعض المفاوضات التي دارت بين وزير المعتمد ، ابن عمار ، وألفونسو إلى عكس ذلك ، فقد

(18) « فتح الطيب » ج 1 ، ص 69 .

(19) نفس المصدر ، ص 75 .

وعد ابن عمار ألفونسو بتسليمه خمسين ألف مثقال مقابل مساعدته العسكرية ضد الامير عبد الله حاكم غرناطة (20). ولم يرفض ألفونسو هذا العرض السخي إلا لكونه فاضل الامير عبد الله بشأف جزية قدرها ثلاثون ألف مثقال (21). وكان عرض ابن عمار الوحيد على ما يترامى هو السيطرة على غرناطة بعد زعمه بانتازل عن جميع المكاسب المالية والغنائم لصالح ألفونسو (22). وبكفي الشرف الذي صاحب هذا الاحلال، خاصة وأن الامر كان يتعلق بالاستيلاء على مدينة مهمة كغرناطة. فليس محتملاً أن يكون موقف إشبيلية راجعاً الى حاجتها لمداخل جديدة. ولئن كان هذا صحيحاً في بداية الامر، فلقد تغيرت الوضعية في سنة 478 هـ / 1085 م. لأن الجزية السنوية أصبحت تشكل عبئاً ثقيلاً على الاقتصاد الاشبيلي الى الحد الذي جعل المعتمد يدفع مالا مغشوشاً لمبعوث ألفونسو المكلف بجمابة الجزية وهو اليهودي ابن شاييب الذي رفض أخذه متعجباً فقتله المعتمد، وكان ذلك مؤشراً على بداية المواجهة الحربية مع ألفونسو (23).

إن ظاهرة المقارنة بين قيمة النقود الاندلسية خلال القرن الخامس الهجري كانت شاذة، فظاهرة تخفيض القيمة النقدية على عهد الطوائف تغيرت لما انتعش الوضع المالي في الاندلس غداة دخول المرابطين. ففي

-
- (20) نفس المصدر، ص. 69.
(21) نفس المصدر، ص. 76.
(22) نفس المصدر، ص. 72.
(23) الحلال الموشية، ص. 29.

الفترة الأولى كان يكفي خمسمائة دينار لإرشاء شخص مجهول للقيام باغتياال العاصم ، أو لمنحه مكافأة على شعر ممتح (24) وكان حاكم مائة نعيم أخو عبد الله قد أرسل خمسين مثقالاً إلى القاضي ابن سهل يستميله بواسطة لسانه على تشويه سمعة عبد الله عند يوسف بن تاشفين، لكن القاضي بن سهل امتنع نسلم المبلغ لاعتبار مبدئي (25) .

وبالرغم من ذلك ، فإن شذوذ المقاييس النقدية تزيد دهشة في قضية مدينة وادي آش التي تأتي أهميتها بعد مدينة قرناطة ، والتي كان يسيرها القائد علي خلال حكم جد عبد الله بن بلقين والتي كان دخلها السنوي يبلغ خمسة عشر ألف دينار ، وعندما كلف اليهودي يوسف بن النغزالة بتسيير شؤونها تضاعف دخلها أكثر من خمس مرات حيث وصل السي مائة ألف دينار (26) .

(24) قدم مدير الشيخ الصنهاجي المسمى بفرقان مبلغ 500 دينار لإرشائه مقابل مشاركته في الضفة العادية لوضع نهاية لحكم باديس في قرناطة (دفع الطيب ، ج 1 ، ص 32) وقبل استسلام قرناطة يوسف بن تاشفين ، تعرض الأمير عبد الله بن بلقين لضغوط شديدة من طرف ضابط الجيش المرابطي الذي فرض عليه أداء مبالغ مالية تتراوح ما بين 500 و 1000 دينار (نفس المصدر ، ص 116) . ومن السخوية أن مهلفاً قدره 500 مثقالاً هو المبلغ المالي الذي أعطاه المنشد بن عواد بمكافأة لبعض الشعراء مقابل الأبيات الشعرية التي كانت إجابته (وقلائد المقران ، ص 8 - 10)

(25) دفع الطيب ، ج 1 ، ص 116 .

(26) نفس المصدر ، ص 88 - 89 .

ونظرا للنفوذ السياسي العام الذي منحه حكام إشبيلية لعمالهم فإنه كان من المحتمل أن تكون سيطرتهم على التسيير المالي للحصن مستقلة عن أية مراقبة ، وإنهم بفضل هذه الحالة حصلوا على أرباح طائلة . لقد فرض ألفونسو السادس على ابن خي التون مبلغ مائة وخمسين ألف منقال نضاف إليها خمسمائة أوقية من القمح تدفع لمساكره مقابل أن يعيده إلى حكم طليطلة (27) .

والذي يتناقض مع هذا القدر الضخم من المال هو كمية الذهب الذي قدرت قيمته بسنة عشر ألف منقال ، وهو كل ما زعم الأمير عبد الله أنه بقي بين يديه عند استسلامه لجهوش يوسف بن تاشفين (28) .

2) التركيب الاجتماعي

أ) التنضيد الاجتماعي والحركية

إن ملامح عالمة المواطنة لسكان إشبيلية الطائفية أفرزت عناصر متنوعة ، كانت مرتبطة أحيانا بوشائج منحلّة وأحيانا بأخرى متماسكة بالرغم من الفوارق الجغرافية أو الإثنية كالنسب أو العشيرة أو الدين . ومثل

(27) فتح الطيب ، ج 1 ، ص 77 .

(28) نفس المصدر ، ص 168 . ومع ذلك ، من المحتمل أن يكون عبد الله بن بلقين قد قلل من المبلغ الذي حافظ عليه خصوصا إذا أخذنا بعين الاعتبار الظروف التي كتب فيها مذكراته وهو سجين عند يوسف بن تاشفين .

شأن المدن الأندلسية الأخرى تميز سكان إشبيلية باختلاف أصولهم العرقية. فقد قبل عدد من السكان الذين تعود أصولهم إلى إسبانيا الفيزيقوطية أسلوب الحياة في ظل الحكم الإسلامي ، وكان لعدد منهم أجداد مدفونون في إشبيلية قبل دخول الإسلام .

كان للعنصر العربي في إشبيلية تأثير قوي على المستوى السياسي والثقافي ، أما العنصر البربري فلم تكن له أهمية ولا تأثير في إشبيلية عكس ما كان عليه الأمر في ممالك الطوائف الأخرى كقرطاجنة ومالقة وقرمونة والجزيرة الخضراء . وليس مسلما وجود مجموعات أخرى مثل الصقالبة الذين كان لهم وزن كبير في مناطق أندلسية أخرى كقرطبة في عهد بني أمية ودانية على عهد الطوائف . ومع ذلك لا تجب المبالغة في أهمية اختلاف الاجناس في إشبيلية لأنها كانت قد تمازجت فيما بينها على مر السنين . فعدد الصقالبة والبربر في إشبيلية كان ضئيلا لم يطرأ معه مشكل الصراع أو الاصطدام مع المجموعتين المتفوقتين العربية والاسبانية . علاوة على ذلك ، فقد شاع الزواج والاختلاط بين العناصر المختلفة مما حدا بكل علامة للصراع على أساس تباين الجنس . وكان التسامح ميزة عامة طبعت المجتمع الأندلسي ، فالأقليات اليهودية والمسيحية كانت تعامل وفق التعاليم الإسلامية . ومما زاد في نقص الفوارق العرقية اتخاذ اللغة العربية لغة رسمية ، ثم موقف عام يتسم بالانفتاح الذي مهد له الاتصال بالعالم الخارجي عن طريق المبادلات والتعليم .

لقد اعتمد الباحثون كثيرا على المنهج الجنسي في دراستهم للمجتمع

الاندلسي ، خصوصا خلال عهد بني أمية (20) . وهو أن ندخل في نقد هذا المنهج . يجدر التأكيد بأن صلاحيته في تحليل المجتمع الاندلسي خلال القرن الخامس الهجري مستحيلة لأنه لا وجود لبديهة تؤكد الصراع الجنسي كقوة إجتماعية متحركة . فلقد كان لعوامل إقتصادية وإيدولوجية تأثير أقوى على الهيكل الاجتماعي في إشبيلية ، وهذه العناصر تنعكس بوضوح داخل الهيكل نفسه . وقد تحكمت بعض المقاييس كالغنى والمهنة والشرف في تحديد نوعية المركز الاجتماعي للفئات المختلفة في إشبيلية ، لكن هذه الفئات لم تظل قائمة أو ساكنة كما تشير إلى ذلك درجة الحركة المرتفعة التي تميز بها المجتمع الإشبيلي في ظل بني عباد .

إن التركيبة الاجتماعية في إشبيلية كانت أفقية ، والغنى موزع بطريقة غير متساوية ، لكن مشكلة التقسيم الطبقي لمجتمع ما بدون فرض نظريات مسبقة هي مشكلة من نوع مختلف . إنه لمن الصعب تحديد طبيعة تضيد تسلسلي نظرا للتناقضات العديدة التي تواجهها من جهة ، ومن جهة أخرى لتمدد الاصطدامات الداخلية وعدم الاستقرار العام والاجتراف الاجتماعي المتدرج في إشبيلية . إن التعقيد يزداد عندما نقدم المشكل المتعلق بطبيعة الاصطدامات الطبقة داخل المجتمع الإشبيلي . وبعبارة أخرى

(29) فملى سبول المثال ، انظر كتاب ابني برونصال الصلاحي « تاريخ إسبانيا الإسلامية » ، E. Lévi-Provençal , *Histoire d'Espagne musulmane*, 2 vols., Paris - Leiden, 1591) .
أو كتاب «التراكيب الاجتماعية (الشرقية) و(الغربية) في إسبانيا الإسلامية» لبيير كيهشار : (Pierre Gulchard , *Structures sociales «orientales et occidentales» Dans l'Espagne musulmane*, Paris, 1977) .

يصعب الحديث عن صراع طبقي في ظروف لم يوجد فيها الوعي الطبقي على نطاق واسع .

إن تضيد المجتمع الاشبيلي خلال عهد الطوائف يعكس تطوره الاجتماعي والاقتصادي والسياسي العام ، فقبل صعود بني عباد إلى الحكم كان المجتمع الاشبيلي يشبه سائر المجتمعات الاندلسية الاخرى حيث اعتبر النسب عنصراً مهما في المحافظة على التأثير السياسي والاقتصادي للخاصة كطبقة حضرية متمكنة .

فالقاضي ابن عباد استطاع أن يفرض نفسه كحاكم على إشبيلية وبمساعدة أكثر الاشبيليين قوة وتأثيراً ، ومع ذلك كما أثبتنا في الفصل الاول من هذا البحث ، لم يتردد القاضي بن عباد في التخلص من أبرز مؤيديه بعد تغلبه على الخطر الذي كان يشكله جيش محمد بن حمود داخل إشبيلية ، وساکر القاسم ابن حمود الوارثة من قرطبة ، وكان الاثر الاجتماعي مضاعفاً من جراء القضاء على أبرز الشخصيات الاشبيلية ، نجلى أولاً في عدم قيام أية مجموعة قوية منافسة للبلاد: ففي حالة حكم بني عباد كان هذا يعني أيضاً أن شرعيتهم كحکام سوف لن يتحداها أو ينازعا أحد داخلها ، وثانياً ، قامت الطبقة الوسطى بدور بناء وأكثر فعالية، ويجب استعمال عبارة «الطبقة الوسطى» بحذر هنا حيث لا تتضمن مفاهيم عصرية، وإنما استعملت هذه العبارة لعدم وجود عبارة احسن . لم يتصور المؤرخون المعاصرون مفهوم الطبقة الوسطى ولهذا لم يعطوها اسماً ، ولكن هناك عدة عوامل تشير إلى وجود عناصر الطبقة الوسطى في إشبيلية . إن جو عدم الاستقرار خلال عهد بني عباد كانت تصاحبه حركية اجتماعية

صعوبة من النوع الذي لا يمكن وقوعه إلا في جو من إنفاذ طبقة .
وأخيراً ، باعتبار المقاييس السالفة : المهنة والدخل والثراء والنسب ، نجد
أن فئة اجتماعية واسعة لا تدخل في إطار النموذج الذي نملكه الخاصة ،
أو العامة التي كانت تضم العمال والفلاحين .

لقد تصور الأندلسيون طبقة العامة فأصبح استعمالها شائعا ، وأخيراً ،
إن قلة المصادر والمعلومات حول الطبقة الوسطى والطبقة العامة تجعل
الجواب المقتنع مستحيلا فيما يخص عدة أسئلة يقدمها علماء الاجتماع حالها .
إن درجة الحركية الاجتماعية العمودية المتصاعدة في إشبيلية كانت
فيما يبدو عظيمة رغم أن المؤسسات والامتيازات التقليدية الموروثة استمرت
سليمة إلى حد بعيد . فنهسين المركز الاجتماعي للأفراد كان الحصول
عليه يتم بواسطة وسائل متعددة . كان النظام التعليمي مجانيا ومعمما وذا
طابع ديني بالاساس ، يهيء ويصون الموظفين لمختلف فروع الإدارة .
وهكذا استحال تطور مجتمع خبي فئات إجتماعية منفصلة ذاتيا بمثل النسب
أهم مقاييس التقسيمها . وانهسين المركز الاجتماعي للشخص يأتي إما
بالعمل في ميدان القضاء أو في قرض الشهر في بلاط الحاكم ، أو بالحصول
على منصب وزاري . وهناك أشخاص من غير الإشبيليين حصلوا على مناصب
عالية في إشبيلية وقد سبق ذكرهم ، وإن شغلهم لمناصب الوزراء والقضاة
والفقهاء وعدم انتمائهم لإشبيلية ينفي إمكانية نهسينهم لوضعهم الاجتماعية
عن طريق الوراثة ، بينما يثبت نكيههم مع الأوضاع بإشبيلية . إن الحركية
الاجتماعية العمودية المتصاعدة كانت شائعة ، والمثل شكلت المهارات المكتسبة
عنصرا مهما لتحسين الوضعية الاجتماعية ، وأكثر من ذلك الوراثة ، حيث
أن النظام السياسي كان ملكيا ، فكل من النسب والانتماء العرقي شكل

عنصرًا أساسيًا في تقرير امتيازات بني عباد والموظفين الخاضعين لهم . وأهم مثال في هذا الصدد هو الوزير أبو بكر بن زيدون الذي كان لايه أبي الوليد عبد الرحمن بن زيدون الملقب بـ"الوزارئين" أثر عظيم في حصول إبنه علي منصب عالي كهذا (80) .

ورغم الحركة الاجتماعية التصاعدية في إشبيلية فإن عنصر عدم الاستقرار وعدم الأمن كانا يساهمان في الحركة الاجتماعية التنافسية . فعلى سبيل المثال ، خسر المنافسون السياسيون للقاضي بن عباد وفيهم مجموعة من الشخصيات الإشبيلية التي أهدت زعامته غد بني حنود مركزهم الاجتماعي الممتاز بعد أن شيد القاضي بن عباد دولته بإشبيلية ولما تولى المعتمد بن عباد الحكم قضى على عدد من الإشبيليين البارزين وأقصى عامله ابن عمار من منصبه وجرده من جميع الامتيازات السياسية فكان من نتائج ذلك تحطيم مركزه الاجتماعي . وفي مثل ذلك يكون فقدان المركز الاجتماعي نتيجة لتصفيات سياسية . ومع ذلك ، اعتسارا للاتجاه السائد للحركة الاجتماعية بإشبيلية (نسبة الذين سعدوا في السلم الاجتماعي في مقابل نسبة الذين نزلوا فيه) فإن الحركة الاجتماعية الصاعدة الانقية تبدو أكثر أهمية نظراً لازدهار التجارة والفلاحة في إشبيلية اللتين كونتا العمود الفقري لاقتصادها .

(80) برز أبو بكر بن زيدون في البلاط الإشبيلي مقتفياً خطوات أبيه ، ووقع اختيار المعتمد بن عباد عليه ضمن البعثة الرسمية التي أرسلها ملوك الطوائف لطلب التحدث من يوسف بن تاشفين في مواجهة الفونسو السادس وذلك بعد احتلال هذا الأخير لطلطلة (الجملة السهرية ، ج 2 ، ص 99) .

9) الخاصة .

إذا أخذنا بعين الاعتبار التأثير الحاسم الذي مارسه الايمان والوجهاء الاشبيليون ، والنهوض المبانت لحكام بني عباد وفسكنهم من السلطة .
 يمكننا أن نستنتج أن الحاكم لم يعد يجلب فحسب بل فسادا يشجع الاعضاء البارزين في المجتمع . ولهذا كان تطور هذه النخبة الجديدة في ظل الحكم .

كان بلاط الحاكم في إشبيلية يمثل القمة من حيث مستوى المعيشة وأسلوب الحياة الرفيع ، ولإل جانب كونه يجسم النفوذ السياسي شكل البلاط مثالا أعلى للمجتمع برتمه . فرغم عزائه وانفصاله الكامل عن الواقع الاجتماعي الإشبيلي ورغم مزاجه المتطفل الذي كونه شرطاً أساسياً لوجوده .
 ساهم البلاط بفعالية في تكوين طموح العامة نحو تحسين وضعيتهم الاجتماعية وفي نفس الوقت غدى طموح الخاصة وزاد في تقوية مكانتهم .
 إن التقرب من بلاط الحاكم والانتماء إليه كان يعد الوسيلة الوحيدة للحصول على دخل ونفوذ لا يتأتى الحصول عليهما بوسائل أخرى . إذ سم البلاط بسمتين متناقضتين : تميزه عن الحياة العادية التي تسود المجتمع الإشبيلي ، وفي نفس الوقت إتماده على المجتمع الذي يقدم السند المادي والبشري .

لقد شكل بلاط الحاكم عالماً خاصاً ومتميزاً من عدة جوانب ، فحياة اللهو والترفيه ، الطوباوية ، وانعزاله ، جعلت المجتمع ينفر منه ، والتناقض يزداد حدة أمام مشاكل المجتمع كما أن تميزه عن المجتمع كان يتصف بعدة صفات :

1 - كان الحاكم هو الشخصية المركزية في البلاط ، ومنتظم أنشطة البلاط بتجه بالاساس نحو إرضائه وتسليته . فهو الذي يقرر نواحيه ويحدد طبيعة وأهمية الحفلات أو الجلسات التي تعقد في بلاطه ، وكان حضوره وترأسه لها من اللوازم الضرورية .

2 - كان البلاط غربياً في عمقه عن الواقع الاجتماعي الاشبيلي ، فهو عبارة عن نسخ تصويري للبلاط القرطبي في عهد الامويين ، فكان المراد هو ربطه بسمة هذا الاخير واحتساب شهرته .

3 - وكان البلاط منعزلاً عن المجتمع حتى على المستوى المادي ، فأنشطته تستثني مشاركة المجتمع ككل ، ويكون فوق المجتمع .

4 - حاول البلاط أن يظهر أمام المجتمع كممثل أعلى لا ينطبق مع الواقع ، فكانت طموح العامة تغذي ولا تزود بحلول واقعية .

ورغم كل ذلك ، فالبلاط احتفظ بروابط مع المجتمع على المستوى السطحي وفي درجة محدودة ، فكانت أطره تؤلف من المجتمع ولم يقتصر التوظيف على أهل إشبيلية بل تعداهم إلى أفراد من أقطار مجاورة في الأندلس . وربما كان أبرز الموظفين السامين في البلاط من الشعراء ، فهؤلاء لم يكونوا يتقاضون رواتب هامة إعتباراً لبراعتهم الشعرية فحسب ، بل كانوا يشغلون مناصب سياسية . ولم تنحصر حاشية البلاط في طبقة إجتماعية معينة بل اختيرت من مراتب إجتماعية مختلفة . فعلى بلاطات القاضي بن عباد والمعتضد عدة من الشعراء ، أما بلاط المعتضد بن عباد فامتاز بخاصية جلبه لأبرزهم ، ويمكن ذكر أمثلة عديدة عن الذين عملوا منهم في بلاط بني عباد . فالشاعر أبو الحسن بن الوسع نظم شعراً في أم

عبيد فمَنحه المعتمد خمسمائة دينار ثم عينه عاملاً على لورقة (81) . وزار أبو الحسن علي بن عبد الغني الحميري القيرواني بلاط المعتمد فنظم شعراً بمدحه به (82) . ولما كان المعتمد قد وقع في أسر يوسف بن تاشفين الذي أمر بنقله إلى أغمات ، خرج في سفره على طنجة وهناك جاد على أبي الحسن القيرواني بثلاثين مثقالاً مكافأة له على ما جادت به قريحة الشاعر في هذه المناسبة ، وكان ذلك القدر آخر ما بقي لدى المعتمد (88) . ولما هاجر أبو مصعب بن محمد بن أبي الفرات القرشي من صقلية التي احتلها المسيحيون إلى إشبيلية نال إعجاب المعتمد بشعر نظمه خلال لقائهما الأول سنة 465 هـ / 1072 م . (84) . وذكر ابن حمديس عن وروده إشبيلية أول مرة حيث ظل مقبوراً وخاب أمله إلى درجة أنه فكر في مغادرتها . ثم ما لبث أن أسعفه الحظ حين توصل بخطاب من المعتمد يأمره بالقدوم إليه في بلاطه وهناك شرع في اختبار قدراته الشعرية . وقد أعجب المعتمد بأشعار ابن حمديس وأعطاه جائزة سنوية (86) . وتعتبر أبيات الأسعد بن بلطة في مدح المعتمد شهادة أخرى (80) . وربما كان أشهر الشعراء في بلاط المعتمد هم ابن عمار وابن الميمنة وابن زيدون .

(81) «للائد المغان» ، صفحاتنا 9 - 10 .

(82) «الذخيرة» ، القسم 4 ، ج 1 ، صفحات 281 - 283 .

(83) «الذخيرة» ، القسم 2 ، ج 1 ، صفحات 86 - 87 ، والأحاطة ، ج 2 ، ص 113 .

(84) «خريدة القصر» ، ج 2 ، ص 102 .

(85) «دوان ابن حمديس» ، ص 543 .

(86) «الذخيرة» ، القسم 1 ، ج 3 ، صفحاتنا 800 - 801 .

ورغم أن هؤلاء الشعراء أخذوا هدايا كثيرة ومكافآت عن قصائدهم إلا أن ارتباطهم بالدولة العبادية لم يكن محركه العكسب المادي فحسب، ويشهد على ذلك رثاؤهم لحكام بني عباد، وخير مثال ما نظمته هذه الشعراء من قصائد في رثاء المعتد، ومن المعروف أن أبا بكر عبد الصمد أنشد أبياتاً شعرية على قبر المعتد في أعماق (37). ومث الشعراء الذين رثوا المعتد أبو الحسن علي المصري القيرواني (38). وابن عبدون (39). وأبو محمد بن حمديس الصقلي (40). وبعد مرور قرنين وتيف على وفاة المعتد رحل الوزير والشاعر الشهير ابن الخطيب سنة 761 هـ / 1850 م. إلى زيارة قبره في أعماق، ونظم بالمناسبة مرثية في شأنه (41).

لقد كان الشعراء يوفدون، في الغالب، في معامات دبلوماسية، فقد بعث زهير حاكم ألمرية وزيره أبا جعفر بن عباس في مهمة إلى قرطبة ورافقه في هذه المهمة بعض الشعراء كابن برد وأبي بكر المرواني وابن الخنات والطنبي (42). كما استقبل المعتد بعثة موفدة من قبل حاكم

(37) هناك إشارات إلى هذه الأبيات الشعرية أو نصها الكامل (أنظر مثلاً «الذخيرة» القسم 2 ج 1، صفحات 67 - 68 و«الاحاطة» ج 2 ص 120 و«أعمال الأعلام» ص 192 و«وفيات الأعيان» ج 1 ص 18). ولد أسندت هذه الأبيات الشعرية خطأ إلى ابن اللبانة في كتاب «الكامل في التاريخ» ج 8 ص 177.

(38) «الذخيرة» القسم 4 ج 1 ص 272 و«الذخيرة» القسم 2 ج 1 صفحات 66 - 67.

(39) «الذخيرة» القسم 1 ج 2 صفحات 818 - 819.

(40) «الذخيرة» القسم 1 ج 2 ص 816.

(41) «أعمال الأعلام» ص 191.

(42) «الذخيرة» القسم 1 ج 1 صفحات 305 - 306.

المرئية المعتمد يترأسها الشاعر أبو الاسبق بنت أرقم بصحبة أبي عبيد
البكري وأبي بكر بن صاحب الأحباس (43). كما تردد ابن عمار في
سفارات المعتمد وعرف عن ابن زيدون إشرافه على بعثات دبلوماسية (44).
إن الشعر المعاصر لتلك الفترة يعكس بوضوح الروعة والبذخ في
قصور إشبيلية والحياة في بلاط الخاتم. ويظهر من خلال هذا الشعر أن
أسلوب الحياة داخل البلاط كان يطبع خيال أفراد الحاشية ويلهم إحساسهم
خصوصاً الشعراء.

ويكتسي شعر البلاط أهمية خاصة بالنسبة للمؤرخ، لأنه يصف الجو
النفساني الذي سيطر داخل البلاط وطبيعة العلاقات الإنسانية فيه ولكن
مما يكسبه أهمية أكثر، قيمته كعvidence تاريخية معاصرة حيث أن هذا
الشعر ككون جزءاً متكاملًا مع أسلوب الحياة السالف.

لقد تمتع حكام بني عباد بالعيش الرفيد في قصورهم العديدة التي لا
زال الشعر المعاصر لذلك العهد يحتفظ بأسمائها وأوصافها. وعند ما انتقل
المعتمد من قصر المبروك إلى قصر المكرم نظم الوزير أبو جعفر بن أحمد
أبياتاً شعرية يصف فيها البلاطين (45). والمكرم هو القصر الذي ودع فيه
المعتمد عامله علي شلب ابن عمار (46). ويعتقد أن هذا القصر هو أحدث

(43) «قلائد المغان» ص 8.

(44) «الذخيرة» القسم 1 ج 1 ص 338 - 339.

(45) «الذخيرة» القسم الثالث في كتاب «تاريخ بني عباد» لراينهارت دوزي :
(R. P. A. Dozy, *Historia Abbadidarum*, vol. 1, p. 141 - 142; Footnote 406).

(46) «قلائد المغان» ص 6.

القصور وقد طرأ عليه تغيير ، فأصبح قصر إشبيلية (Alcázar) . وهناك أوصاف شعرية رائعة لبعض القصور كالواحد والزاهي المشهور بقبته الفرغدة (47) . كما تناول الشعراء في قصائدهم وصف حدائق وديارات وناقورات بعض القصور البديعة كالزاهي والزاهر إلخ (48) .

إن الرونق الذي طبع قاعات القصور اكتسى شكلا رومانتيكيا في خيال الشعراء . فقد أطلق إسم سعد السعود على قاعة في قصر الزاهي وهي من أبهى القاعات في إشبيلية (49) . ويقارن ابن زيدون قاعة الثريا في قصر المبارك بالنجوم (50) .

وقد تعدت حياة الدهو والتسلية عند الحاكم وحاشيته جو القصور إلى الطبيعة بمختلف مظاهرها ، فأوادي الكعبير لم يستغل في الملاحة والري فحسب ، وإنما شكل مشهداً طبيعياً رومانتيكياً ، يتنزه فيه الحاكم ، ويتبادل المعتمد واعتماد الريميقية ، لدى بداية قصة نجاحهما ، باقات شعرية (51) . وكان نزل الفنت البديع بأزاهيره يقع قريباً من إشبيلية (52) . كما أن جمال إشبيلية ظل منقوشاً في أذهان الكثير من زوارها (53) .

-
- (47) «تلائد المقيان» في كتاب «تاريخ بني عبادة» لراينهارت دوزي :
R . P . A . Dozy , *Historia Abbadidarum* 'vol . 1' p . 61
- (48) «تلائد المقيان» ، ص 25 .
- (49) نفس المصدر .
- (50) «ديوان ابن زيدون» ، ص 158 .
- (51) «فتح الطيب» في كتاب «تاريخ بني عبادة» لراينهارت دوزي :
R . P . A . Dozy , *Historia Abbadidarum* , vol . 2 p . p . 225 - 226 .
- (52) «ديوان ابن زيدون» ، صفحتا 112 - 118 .
- (53) أنظر على سبيل المثال أموات ابن «ماري خصوص» موضوع إشبيلية («تلائد المقيان» ص 87)

٣) العامة : الطبقتان الوسطى والسفلى

العامة هو اللفظ الاندلسي لتعيين الاغلبية الاقل (ممتازاً، وهي عكس الخاصة . كانت ملامح العامة في اشبيلية خلال عهد الطوائف مشابهة لملاعها في الاقطار الاندلسية الاخرى رغم أن الاوضاع في اشبيلية كانت تختلف في بعض نواحيها عن الامارات الاخرى . فمثلاً كانت الحياة بصفة عامة في اشبيلية هادئة ومستقرة ، وكانت هذه المدينة من بين المدن المزدهرة في الاندلس . ومن ناحية أخرى ، فإن السيطرة الثابتة التي مارسها حكام بني عباد حالت دون لجوء شعبي كبير نحو العنف كوسيلة للتعبير عن الإحباط .

إن المعنى الاساسي للفظ العامة يدل على طبقة غير محفوظة ، بينما ازدهرت في اشبيلية طبقة وسطى ناجحة وحيوية لم يمنحها الاندلسيون إسكاً . ولم تنظم الطبقة الوسطى نفسها لحماية مصالحها كبقوة إجتماعية نظراً لغياب الوعي في هذا الصدد ، بينما سيطر عليها شعور جماعي شامل بالانتماء إلى الامة الاسلامية . ومع ذلك فإن وجود الطبقة الوسطى الاشبيلية يفرض نفسه على عدة مستويات .

وكانت مصالح الطبقة الوسطى تخدم أحياناً مصالح الخاصة . وقد خفضت الحركة الاجتماعية من الفوارق بين الطبقتين ، إن وجود الطبقة الوسطى الاشبيلية كان بمثابة «تقليف» المنية الفوقوية للجهاز السياسي والاداري فالادارة المعتمدة المطلوبة لتسيير شؤون اشبيلية كانت تتطلب تجنيد عدد كبير من الموظفين ، وامتداداً لمهنة اشبيلية السياسية والتجارية دعت الحاجة إلى قيام جهاز إداري ذي أهمية ، وازاء هذا النظام المنظم تنظيمياً

رافياً تطلبت الإدارة السياسية وجود موظفين مؤهلين . وكان حضور الطبقة الوسطى يفرض نفسه على مستوى قصر الحاكم وداخل الهيكل السياسي والاقتصادي ، وكانت هذه الطبقة تشمل أساسا التجار الكبار والصغار وأصحاب المشاريع الصناعية وموظفي الدولة والملاكين الصغار . ويجب التأكيد على هذه النقطة عند مناقشتنا للتغيير الاجتماعي والاستمرارية في إشبيلية .

كانت العامة تتألف من مجموعتين من السكان لم تكن لهما الامتيازات في المناطق الحضرية والريفية . يصعب تحديد أيهما تتمتع بوضعية أحسن ذلك أن حالة أبة منهما كانت أقل حظوظاً . ولربما كانت الأوضاع الريفية أسوأ مما هي عليه في المدن حيث استفادت العامة إلى حد ما من ازدهار التجارة والصناعة . أما في الريف ، فاستقبل العمال بكل الساطة ، كما أن نقل الضرائب كان له مفعول أقوى ، وذلك ما دفع في بعض الأحيان إلى إثارة التمرد ضد ملوك الطوائف الآخرين (54) . وبسبب سخط سكان الأرياف على الشؤون العامة في الدولة لم تكن بعض الطوائف كغرناطة تعتمد عليهم سياسياً ، وكانت المناطق الريفية التي لم تكن تتمتع بالحماية الضرورية كسائر المناطق الحضرية التي كان يحميها الجيش والسور المحيط بها . تعاني من الجور والالام نتيجة لعمليات السلب والنهب والغارات التي كانت تتعرض لها . وفي إشبيلية كانت العامة مسالمة ولم تلجأ إلى التمرد للتعبير عن سخطها واستيائها كما حصل في قرطبة خلال القرن

(54) كانت الضرائب الثقيلة السبب الرئيسي وراء ثورة ليونته في دولة غرناطة الطائفية (مكتاب النيهان ، ص 151) .

الخامس الهجري . كانت الجماهير تعلن من صيانتها كلما مكنتها من ذلك الجو السياسي (56) .

وقد أبرز الغنى الذي تمتع به الحكام التناقض في توزيع الخيرات داخل المجتمع مما تسبب في خلق درجة من الوعي بالوضع العامة البئيسة . ورغم الفاقة والاستغلال الذي تميزت به العامة في إشبيلية فإنها لم تذهب إلى العنف الجماعي . فباستثناء وقوع حوادث منعزلة في السوق (56) . أو حالات السرقة (57) ، فإن العامة الإشبيلية رضيت بمصيرها . ومن جهة أخرى . يمكن الظن بأن رقابية الحكام قد ساهمت في إذكاء طموح العامة ، فاستطاع بعض الأفراد تحسين وضعيتهم . وقد كان الانخراط في الجيش اختياراً مفرقاً للبعض ، خاصة عند ما نلاحظ سمعة الجيش الإشبيلي من جراء حملاته العسكرية الناجحة .

وطبقة العامة تشمل أيضاً عدة فئات ويمكن تصنيف العبيد في هذا الإطار ، لكنه يبدو من الصبر التقرير ما إذا كانت وضعية العبيد أحسن

(56) لقد أصبحت قرطبة بأضرار أكثر من غيرها نتيجة الاصطدامات المتعددة بين مجموعات مختلفة . لقد بدأت هذه الاصطدامات سنة 400 هـ . / 1009 م . عندما وضعت نهاية لحكم عبد الرحمن بن أبي عامر («البيان المغرب» ج 3 . صفحات 66 - 87) . ثم استمرت الاصطدامات وعمليات التخريب حتى فترة تأسيس دولة بني جهور سنة 422 هـ / 1030 م . عندما فرض السلام من جديد («الذخيرة» القسم 1 ج 2 . صفحات 642 - 614)

(57) «الذخيرة» القسم 1 ج 1 . ص 418 .

(58) ههنا ما كانت المنازل في المدن الأندلسية عرضة لهجمات اللصوص فهلا («فتح الطيب» ج 1 . ص 205) .

أو أسوأ من وضعية الاحرار ؟ فنتي بعض الاحوال سكان العبيد يمنحون فرصاً عادلة لإظهار مهاراتهم وقدراتهم ، وبذلك شكلوا قسماً من جيش بني عباد (58) . وفي هذه الحالة فقد نمتعوا بوضعية تشبه وضعية الجنود الآخرين .

ومثلما جرى في قضية اعتماد الرميكية استطاعت التجارة الموهوبة أن تحسن وضعيتها . لقد بيعت إبنة المعتمد بن عباد ، بثينة ، كحجارة في سوق النخاسة بعد خلعه ، لكنها تزوجت من محبوبها وهو ابن تاجر إشبيلي لما كشفت الحجاب عن أصلها . بيد أن هذه الحالات الاستثنائية والمنعزلة لا تعكس الأوضاع العامة للعبيد . كما أن وصول بعض الشراء من وسط فقير كتابن صغار وابن وهبون إلى بلاط المعتمد لا يعكس بحق الفرص التي منحت للعوام ليحسنوا من وضعيتهم ، ويجب كذلك أن تسأل هل شكلت الأقليات المسيحية واليهودية طرفاً من الامامة ؟ فكما كان هناك مسيحيون ويهود أثرياء ، كان آخرون - بلا ريب - يعيشون في نفس وضعية العوام المسلمين ، فكانت حظوظهم مشابهة لحظوظ الامامة بصفة خاصة ، ولم يكن الالتحاق بالجيش يتطلب أي شرط ديني (59) .

(58) «الذخيرة» ، القسم 2 ، ج . 1 ، ص . 15 .

(59) هناك أمثلة عديدة لمشاركة المسلمين في جيوش مسيحية بصفاتهم مرتزقة خلال القرن الخامس الهجري كما هناك أمثلة لمشاركة المسيحيين في الجيوش الاسلاموية الاندلسية . ولا يغلو ذلك من الاستغراب ، اعتباراً لانضمام جيوش إسلامية بأسرها إلى الجيوش المسيحية ضد جيوش إسلامية أخرى ، واعتباراً كذلك لمساندة الجيوش الاسلامية لجيوش مسيحية ضد جيوش مسيحية أخرى . فعلى سبيل المثال ، تحالف ألفونسو السادس مع الجيش الاشبيلي ضد عبد الله بن بلقين حاكم فرناطة («كتاب البيان» ، صفحات 89 - 72) وبذل ألفونسو السادس جهدها جبارة لاعادة يعي من ذي النون إلى الحكم في طليطلة (نفس المصدر ، ص 77) .

وبصفة عامة ، فأحوال هذه الطبقة إشبيلية لم تكن بأسوأ من أحوال مثيلاتها في مناطق أندلسية أخرى ، لأن بعض أفراد العامة الإشبيليين وجدوا فرصاً لتحسين أحوال عيشتهم نتيجة للإزدهار العام وقوة دولة إشبيلية الطائفية .

وبالرغم من أن العامة الإشبيلية كانت هي الطبقة الأقل حظوظاً فقد برز أثرها كقاعدة للهيكل الاقتصادي والسياسي . لإشبيلية بصفتها مركز حضري هام ، كانت تعتمد كثيراً على العامة في ميدان العمل اليدوي كتنقل البضائع أو حملها أو إفراغها ، ولا تنفي مشاركة العامة في التجارة على أقل مستوى ، فكانت تحمل إلى السوق منتوجات فلاحية محلية ومنتوجات الصناعة اليدوية . كما تحملت هذه الطبقة عبء الخدمات لفائدة الطبقة المحظوظة في المجتمع ، وكانت أيضاً تسهر على خدمة وصيانة بلاط الحاكم . فكان كل نقل النظام السياسي يتحملة كاهل العامة ، كما كانت هذه الأخيرة تكون معظم الجيش الإشبيلي وأيضاً الدرجات السفلى من سلم الجهاز الإداري وكانت المساواة أمام القانون مضمونة بين جميع أفراد المجتمع رغم أن العوام كانوا غير محظوظين داخل النظام الاجتماعي الذي شكلوا فيه جزءاً لا يتجزأ . ولهذا كان دور العامة ذا أهمية بالغة كالعامة المتين الذي يركز عليه المجتمع الإشبيلي . وبالرغم من تناقض مستوى المعيشة وأسباب الحياة مع الخاصة ، فإن أحوال العامة في إشبيلية لم تكن بأسوأ من مناطق أندلسية أخرى أو بالمقارنة مع وضعية الفلاحين في الشمال المسيحي .

3 - التغيير الاجتماعي والاستمرار

1 (العائلة والعلاقات الشخصية

بالرغم من قلة المستندات التي تتعلق بهذا المجال ، فإنه يبدو واضحاً أن وحدة العائلة كانت تشكل النواة الأساسية للتنظيم الاجتماعي في إشبيلية . فالعائلة لعبت داخل المجتمع الإشبيلي دوراً بالغ الأهمية خاصة في مستوى تشكيل العقائد والمواقف والقيم الفردية . فكل أفراد المجتمع الإشبيلي مسلمون أو ذميون بندمجون اندماجاً تاماً في العائلة بغض النظر عن دخلهم ومركزهم الاجتماعي والتمانداهم للجماعات . كانت العائلة الإشبيلية ذات طبيعة أبوية ، فالأب هو المسؤول عن رعاية الأفراد الآخرين ، وهو يتخذ القرارات المهمة المتعلقة بالعائلة بأسرها ، الشيء الذي يبرز مقدار التعظيم والتقدير الذي كان يتمتع به الأب من قبل أفراد عائلته، ولا ننسى أيضاً أن تأثير النساء بصفة ضمنية غالباً ما كان حاسماً . وإذا ما كانت العائلة ممتدة فروعها فإن أعضائها الذكور يتمتعون بالاحترام ، ومكانة المرأة داخل العائلة لها وأمر الأهمية بينما كان دورها محدوداً باعتبار مساهمتها في ميدان السياسة والتسيير الإداري ، ومع مرور السنين تقدمت مكانة المرأة وازدادت مسؤوليتها ، حيث أصبحت أكثر انسجاماً اجتماعياً . وكان دور جميع النساء الإشبيليات متشابهاً بغض النظر عن انتمائهن الديني أو العرقي . أما نساء البلاط فكانت لهن وضعية استثنائية بسبب تأثيرهن الكبير على دواليب الحكم ، وتذكر بالخصوص ما تمتعت به إعتداد زوجة المعتد من نفوذ وقوة وإن لم تبلغ قوة صبيح أم هشام الثاني خلال حكم المنصور بن أبي عامر .

لقد مارست التأثير على المعتمد فيما يخص علاقته مع وزيره ابن عمار الذي كانت تكن له الكراهية . ومما يشهد على مساهمتها في الحياة العامة للبلاد ، ما تحمله النقوش من ذكر إسمها يوم الشروع في بناء صومعة إشبيلية سنة 472 هـ / 1079 م . (80)

وإذا ما حاولنا النظر في دور المرأة داخل المجتمع الإشبيلي على نطاق أوسع ، فإننا نفتقر إلى المستندات المتعلقة بذلك ، بالرغم من أن أثرها على العائلة يبدو واضحاً نظراً لقيامها بمهمة التسيير المنزلي . كان للعائلة بوصفها عاملاً للتكيف الاجتماعي أثر قوي على الفرد من الناحية النفسية ، وكان تأثرها دائماً أسبق من عوامل التكيف الاجتماعي الأخرى كالنظام التعليمي . وبعد مرحلة النضج والتكوين تتسع أنشطة الفرد الاجتماعية وتعدد ، إلا أن روابطه بالعائلة تظل وثيقة دائماً ، ولذلك كان انتقال الفرد من دائرة الوصاية العائلية إلى المجتمع يتم تدريجياً ويختلف في نمطه ومدته من فئة اجتماعية لأخرى . وكمثال على ذلك ، فإن نشأة المعتمد في بلاط والده كانت بقصد تهيئته للوصول إلى العرش بينما ينشأ ابن فلاح إشبيلي في بيئة تغلب عليها البساطة . إن معلوماتنا حول العائلة محدودة ، وهذا يرجع أساساً إلى أنها مسألة شخصية ، والواقع أنه يصعب مقارنة سلوك فرد إشبيلي داخل إطار عائلته وخارجها . لكن إذا كان الانتقال حاداً وفجائياً بالنسبة لبعض الأشخاص ، فهو غالباً سهل ، خاصة وأن العائلة كانت وحدة أساسية في المجتمع الإشبيلي .

(80) « النقوش العربية في إسبانيا » لليفي بروفنسال :

B. Lévi-Provençal, *Inscription arabes d'Espagne*, Leiden-Paris, 1931, p. 40.

كانت طبيعة العلاقات الانسانية في إشبيلية متماثلة مع تلك التي سادت في أنحاء أندلسية أخرى لأن القوى الاجتماعية التي حددت تطورها كانت أيضاً متشابهة . بسبب وجود روابط سياسية وثقافية واجتماعية متينة كانت تجمعها . فالعلاقات الانسانية في المجتمع الاندلسي كانت مباشرة ومتشابهة ، كما أن الروابط الشخصية كانت متينة ومتطورة جداً وتلك من خصائص المجتمع الاندلسي البارزة والناجحة عن تشعب قنوات التكيف الاجتماعي .

فامتداد العائلة ووجود المسجد والسوق ومختلف المؤسسات الاخرى جعلت الاتصالات البشرية ضرورية وواسعة النطاق . وعلاوة على ذلك ، ساهمت الاحتفالات الرسمية والدينية أو التي لها طابع إجتماعي في ازدياد مشاركة واجتماعية الجماهير . ولذلك اندمج الفرد اندماجاً كلياً في المجتمع وفي نفس الوقت حافظ على خصوصياته الفردية وخصوصيات المجموعة المنتمية إليها . وشكلت الاصطدامات والتناقضات بين العلاقات الانسانية داخل المجتمع الاندلسي قوى الانعاش وعنصر الجسود في آت واحد . فضاعت العلاقات الشخصية تطبيع بطابع الاخلاص والصدق أحياناً وبطابع هدائي في غالب الاحيان ، ومن جهة أخرى وصلت الروابط الشخصية إلى درجة جد متطورة ، ليس بسبب مصالح مادية فقط ، وإنما أيضاً ، لاسباب عاطفية محض . فالاخلاص كان موجوداً وإمكانه أن يدوم مدى الحياة (61) . كما أخذ الحب العذري

(61) كانت لعارية علاقة مع قريب لسيدتها وتم جلدتها على ذلك دون أن تعترف بذورها (د طوق الحمامة ، ص . 199) ماتت ابنة القاضي محمد بن أحمد بن إسماعيل من كثرة بعائها على زوجها الموثق (نفس المصدر ، ص . 148) ، (وحتى عندما ضربت) رفضت جارية نهي منزل السيد محمد بن أحمد الركييزة أن تفني أو تمارس علاقات جنسية إلغ . . . مع صيها الجديد رغم ضربها بسبب إخلاصها الشديد لماحبها السابق (نفس المصدر ، ص 198) .

أشكالا كانت أحيانا منطرفة ولا عقلانية (62). ففي قرطبة مثلا أدى الحب الانفعالي ببعضهم إلى سوء أحوالهم وطباقتهم ووصل بهم إلى حد يرثى له (63). وقد أدى أحيانا التغيير في المواقف العاطفية إلى نشوب عدوان كلامي بين الاطراف (64). وبالإضافة إلى ذلك، هناك مثال متناقض لامرأة متذبذبة لم تشعر بأن فزاعتها قد مست في شيء عند ما ساعدت شابا فذبرت له موعداً مع جارية (65) وإلى جانب الامثلة السالفة لم يخل المجتمع من أشخاص لم تشتملهم العواطف كما ذكر ابن حزم (66).

62 ظهرت جارية في منام لعمار بن زياد ففتنته بجمالها ثم جادلها ابن حزم في الموضوع حيث ادعى له حجباً عقلانية قبل إتيائه بسخافة ارتباطه بشخصية خيالية (نفس المصدر، صفحا 53 - 54). وهناك مثال لرجل محب عبر عن حبه في رسالة إلى محبوبته كتبها بدمه (نفس المصدر، ص. 111). ومن أغرب الأمثلة، مثل يحيى بن أحمد بن أبي عمير ومثال محمد بن يحيى بن جدير الذين أصابهما الحرق عندما جرى بيع جاريتهن أحياءاً. (نفس المصدر، ص. 240).

63 ذكر ابن حزم مثالا من هذا النوع دون تحديد لإسم الشخص المذموم (نفس المصدر، ص. 68). وفي وثيقة حقه ما الطيب اليهودي إسحاق بن عونس، اكتشف هذا الأخير رجلاً مغرماً من خلال التماسيم العزوية اليهودية على وجهه (نفس المصدر، ص. 81). أحببت قرطبة شايها إلى درجة كبيرة من الانفعال النفساني حيث أصبحت بحاجة إلى العلاج (نفس المصدر، ص. 289).

64 سرد ابن حزم قصة شرح فيها كيف غفر صديقي حبيب أفسس أسواره عندما تمكرت علاقتهما (نفس المصدر، صفحا 186 - 187). لقد استقبل أبو محمد بن وليد بن مكسر الكائب صديقه ابن حزم ببرودة وعامله معاملة تتصف بالامبالاة عندما لقيه بعد غربة طالت عدة سنوات وذلك رغم الصداقة القوية التي كانت تربطهما من قبل عندما كان والد ابن حزم وزيراً. ثم التقده ابن حزم بشدة في رسالة موجهة إليه كما توصل بجواب مسائل (نفس المصدر، ص. 187).

65 نفس المصدر، صفحا 139 - 140.

66 نفس المصدر، ص. 89.

وكانت الرومانسية من السمات التي طبعت المجتمع وواقع الحياة في الأندلس، وهناك عدة صور لهذا الواقع، فأبو يوسف بن هارون المشهور بالرمادي اقتفى خطى جارية في طريقها من باب المطارين إلى قنطرة وهو يوح لها بحبه وهيامه بها إلى أن غابت عن أنظاره (67) ولقد كتبت امرأة مصعب عاصم بن عمر حتى أئنته عن كتابة رسالة (68). كما وجدت الرومانسية في أشغال لم تكن بعيدة عن الفروسية (69) وكان التحرر الخلفي معروفاً وبالأخص لدى الطبقة الخاصة في المجتمع، بالرغم من أنه كان محصوراً في مستوى غير رسمي وفي حدود السرية. وقد نقل ابن حزم أمثلة شتى عن ذلك (70). وكان التحرر الخلفي في إشبيلية شائعاً

(67) نفس المصدر، صفحات 88 - 90. وهو ابن حزم نفسه من هجوره الماطلي نحو فتاة في السادسة عشر من هجرها شاهداً في بيت أبيه وهو شاب لم يقلع نبي تكلمها. وقد صاحبه ذلك الشموخ حتى كبر (نفس المصدر، ص. 248).

(68) نفس المصدر، ص. 122.

(69) ومن جملة هذه الأمثلة أن مقدما بن الأصغر الذي كان يقوم بالصلاة في المسجد بانتظام، أظال النظر في شاب إلى أن غضب هذا الأخير فقصده وضربه دون أن يشعر بالأهانة، بل على عكس ذلك شعر ابن الأصغر بلذة عظيمة في ذلك ضربه (نفس المصدر، صفحات 129 - 130).

(70) عازم ابن كاتب مجهول الهوية ثلاثة سوية مع فتاة من أصل عائلي رفيع ومكانة اجتماعية بارزة (نفس المصدر، ص. 91). أعجبت فتاة بابل قائد وهدت فشلها في جانب أنظاره إليها فهدته فأحبها (نفس المصدر، ص. 162). أدى تحلي فتاة عن حبيب لها من أصل اجنابي راقى إلى إتهاب عواطفه نحوها (نفس المصدر، ص. 106). وسجلت بعض حالات اللواط، منها حالة أحمد بن فتح وهو ابن كاتب امتاز بالأخلاق الفاضلة إلى أن أحب المسمى إبراهيم بن أحمد (نفس المصدر، ص. 122).

عند رجال الحاشية ويضرب به المثل عند الحكام والوزراء كالمعتاد والمعتمد وأبن عمار وغيرهم (71).

2 (المؤسسات الاجتماعية: المسجد والسوق

كان المفزى الاجتماعي المدين في إشبيلية يعبر عنه على مستويات مختلفة وبطرق متعددة. فكان دور المسجد كأداة للتنظيم الاجتماعي يمس المجتمع بأكمله تقريباً ما عدا الأقلية المسيحية واليهودية اللتين كانتا بدورهما منظمين في إطار الكنائس والبيع (72).

(71) إن مثال المعتد بن عباد يمس ذلك بوضوح. فبالرغم من حبه السوق أزواجه الرسمية إعداماً، فكانت نفس المعتد تميل إلى النساء. فعلى سبيل المثال، حبر عن موافقة نحو جارية أسماها وداد من أبيات شعرية («المطرب» ص. 18). كما وقع امرأة كان يحبها وأبيات شعرية (نفس المصدر).

(72) أم وصلنا أثر الكنائس المسيحية أو اليهودية الأشبيلية التي يعود تاريخها إلى القرن الخامس الهجري كما هو الأمر بالنسبة لبعض المدن الأندلسية الأخرى مثل قرطبة حيث لا زال السواح يزورون معبد اليهود. إلا أنه من المؤكد أن المسيحيين والنهرو عاشوا في إشبيلية فعلى سبيل المثال، وقع حادث خلال عهد المعتد بإشبيلية ينطص في خصام بين يهودي وعلم في السوق («الذخيرة» القسم 1 ج. 1 ص. 418). ويستند البعض أن الكونت سيستاندو «الفديث» (Sisnando Davidis) عمل في بلاط المعتد، ومع ذلك، وخلالاً لقرناته حيث اشتغل اليهودي أبو إبراهيم إسماعيل بن الفراهة وابنه يوسف وزيرين تحت إمرة باديس، جد عبد الله بن بلقرن («كتاب التبران» ص. 30 - 34 و 36 - 42 و 48 - 58 و «الذخيرة» القسم 1 ج. 2 ص. 761 - 769) كان دور المسيحيين واليهود محدوداً في إشبيلية، مما يؤيد رأينا في كون المسجد كان يشكل المركز الأساسي لتنظيم الحياة الاجتماعية لأغلبية السكان الأشبيليين.

وكان للمسجد أثر غير مباشر وواضح على النظام السياسي من حيث كونه يساهم في تعليم وتكوين الموظفين ، وكان هذا التعليم رسمياً يتمثل في حضور الفئة المثقفة لدروس بعض الاساتذة المشهورين. (73) وإلى جانب ذلك ، فالحضور ظل مفتوحاً أمام الجميع ولم تقيد أية شروط . وكان المسجد مكاناً للعبادة وأيضاً للتعليم . وحيث سادت العلوم الدينية في البرامج التعليمية كان الفقهاء الاشبيليون يمثلون نوع العالم الذي كان النظام التعليمي ينتجه آنذاك . وتتضح أهمية التعليم في إشبيلية بوجود أساتذة بارزين انتشر صيتهم في الأقاليم ، فتوافد عليهم الطلبة من مختلف أنحاء الأندلس. (74) لقد كانت السمعة الحميدة التي انصاف بها شيوخ إشبيلية منتشرة حتى قبل عهد بني عباد ثم استمر ذبوعها خلاله . ويبرز أبو محمد الهاجي ، وهو أشهر محاضر إشبيلي في القرن العجزي الخامس ، مستوى الأثر التعليمي الإشبيلي الممتاز والذي شكل العامل الإيجابي والأساسي وراء نشاط الفقهاء في عهد بني عباد .

(73) قفلى سبيل المثال ، يذكر ابن بشكوال أسانذة عدد من الشخصيات التي درسها عند تقيمه لتقديراتها الثمانية .

(74) بالرغم من كون معظم الفقهاء من غير الإشبيليين الذين عاشوا في إشبيلية قد درسوا على يد أسانذة غير إشبيليين (قرطبيين في غالب الأحيان) ، اعتبرت إشبيلية أهمية ثقافية إلى درجة أنها كانت تجلب الطلبة من « الخارج » ، فعلى سبيل المثال ، حضر أبو المصرد عهد الرحمان بن منفوخ القرشي (369 هـ / 979 م . - 448 هـ / 1054 م .) دروس أبي صبر الإشبيلي (« كتاب الصلاة » ، ج 1 ، ص 320) . وجلب أبو محمد الهاجي عدداً من الطلبة من قرطبة نفسها ، من بينهم أبو القاسم خلف سعيد الأزدي بن منفوخ (الذي كان حياً سنة 403 هـ / 1012 م .) (نفس المصدر ، ص 182) وأبو عبد الله محمد بن عمر المائضي الحافظ (المتوفى سنة 419 هـ / 1028 م .) (« كتاب الصلاة » ، ج 2 ، صفحات 483 - 484) .

وكان أثر محمد الباجي الثقافي ملموساً داخل دائرة عائلته ، وخلفه
إبنه أبو الحسن علي الباجي كأستاذ مشهور ، وكان من ضمن تلامذته
أبو الحسن شريح بن محمد الرعيثي المقرئ (451 هـ / 1059 م - 559 هـ / 1063 م)
وربما كان أبو محمد بن علي بن محمد الباجي حفيد الفقيه الشهير (78)
ومن ضمن أسماء طلبة ومرجئي أبي محمد الباجي الذين بلغت إنجازاتهم
درجة من الأهمية :

- 1) أبو عمر أحمد بن محمد اللخمي (ت . 428 هـ / 1036 م) (77) .
- 2) أبو بكر أحمد بن القيسي السبتي (ت . 429 هـ / 1037 م) (78) .
- 3) أبو عمر أحمد بن محارب الجرائدي (381 هـ / 991 - 449 هـ / 1057 م) (79) .
- 4) أبو القاسم أصبغ بن عيسى البحصي الاصبدي (393 هـ / 944 م - 418 هـ / 1027 م) (80) .
- 5) أبو القاسم ثابت بن محمد الأموي (398 هـ / 949 م - 426 هـ / 1034 م) (81) .

-
- (75) كتاب الصلاة ، ج 1 ، ص 229 .
 - (76) نفس المصدر ، ص 275 .
 - (77) نفس المصدر ، ص 48 .
 - (78) نفس المصدر ، ص 60 .
 - (79) نفس المصدر ، ص 57 .
 - (80) نفس المصدر ، ص 109 .
 - (81) نفس المصدر ، ص 124 .

- 16 أبو محمد حجاج بن يوسف اللخمي بن الزاهد (ت . 429 هـ . /
1037 م .) (82) .
- 17 أبو عمر سيد بن ابان الخولاني (ت . 1440 هـ . / 1048 م . وله
حوالي 87 سنة) (83)
- 18 عبد الرحمان بن عبد الله الحضري بن شبراق (ت . 418 هـ . /
1027 م .) (84) .
- 19 أبو المطرف عبد الرحمان بن عبد الواحد الجذامي (ت . 418 هـ . /
1027 م .) (85)
- 10 أبو مروان عبد الملك بن عبد العزيز اللخمي بن الباجي (447 هـ . /
1055 م . - 532 هـ . / 1137 م .) (86) .
- 11 أبو بصير محمد بن مروان الايادي (ت . 489 هـ . / 1095 م .)
وسنه حوالي 86 سنة (87)

(82) نفس المصدر ، ص . 149 .

(83) نفس المصدر ، ص . 228 .

(84) نفس المصدر ، ص . 311 .

(85) نفس المصدر ، ص . 318 .

(86) نفس المصدر ، ص . 347 .

(87) «كتاب الصلاة» ج . 2 . ص . 487 . ورد ذكر أبو محمد الباجي في لائحة
الاساتذة القرطبيين . ومع ذلك ، فإن جميع الاشارات الاخرى تصفه كأستاذ كان يدرس
بإشبيلية . ونتيجة لذلك ، إذا كانت هذه الاشارة صحيحة ، فإن الخلاصة التي تفرض نفسها
عليها هي أن أبا محمد درس في إشبيلية وقرطبة معاً .

- (12) أبو القاسم محمد بن عبید الله البناني المعمر (380 هـ / 941 م .
424 هـ / 1032 م (88)
(13) أبو بكر محمد بن إبراهيم الأشعري بن أبي المنعم (ت. 426 هـ /
1034 م .) (89) .
(14) محمد بن ثابت الأموي (ت . 486 هـ / 1043 م .) (90) .
(15) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الأحذب (357 هـ / 967 م .-
437 هـ / 1045 م .) (91) .
(16) محمد بن علي الأموي (ت. 422 هـ / 1030 م .) (92) .
(17) أبو بكر محمد بن عمر الزبيدي (ت . 501 هـ / 1107 م .) (93) .
(18) أبو عبد الله مروان بن حكيم القرشي (386 هـ / 996 م . -
462 هـ / 1069 م .) (94) .

وهكذا لم يكن عدد الاسانفة الاشيليين قليلا ، وفي لائحة لاسماء
الفتهاء الذين اشتغلوا في القضاء ، نلاحظ أنهم أكملوا دراستهم الاولى في
إشبيلية بالرغم من أن بعضهم تابع دراسته في قرطبة أو الشرق . ومن

- (88) نفس المصدر + ص . 490 .
(89) نفس المصدر .
(90) نفس المصدر + ص 496 .
(91) نفس المصدر + ص . 500 .
(92) نفس المصدر + ص . 503 .
(93) نفس المصدر + ص . 506 .
(94) نفس المصدر + ص . 581 .

- جهة أخرى فإن الدلائل تشير إلى رقي الأنشطة التعليمية وتعدد الفقهاء ممن درسوا في إشبيلية، وإلى تحقيق هذه المدينة استفادها الذاتي في ميدان التعليم، ومن الإشبيليين الذين عرف عنهم أنهم مارسوا مهنة التعليم أو الذين ذكروا أن تلامذتهم حضروا في حلقات دروسهم، نجد الاسانذة الآتية:
- (1) أبو عمر أحمد بن عبد القادر الأموي (ت. 420 هـ / 1029 م). (95).
 - (2) أبو عبد الله أحمد بن محمد الخولاني (418 هـ / 1027 م - 508 هـ / 1114 م). (96).
 - (3) أبو القاسم أحمد بن محمد القيسي (486 هـ / 1044 م - 520 هـ / 1126 م). (97).
 - (4) أبو جعفر أحمد بن محمد اللخمي (ت. 533 هـ / 1138 م). (98).
 - (5) أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن أبي قابوس (851 هـ / 982 م - 413 هـ / 1022 م). (99).
 - (6) أبو إسحاق إبراهيم بن أيمن (460 هـ / 1067 م). (100).
 - (7) أبو القاسم إسماعيل بن محمد الحضري (ت. 429 هـ / 1037 م). (101).

١٠١	١٠٢	١٠٣	١٠٤	١٠٥	١٠٦	١٠٧	١٠٨	١٠٩	١١٠	١١١	١١٢	١١٣	١١٤	١١٥	١١٦	١١٧	١١٨	١١٩	١٢٠	١٢١	١٢٢	١٢٣	١٢٤	١٢٥	١٢٦	١٢٧	١٢٨	١٢٩	١٣٠	١٣١	١٣٢	١٣٣	١٣٤	١٣٥	١٣٦	١٣٧	١٣٨	١٣٩	١٤٠	١٤١	١٤٢	١٤٣	١٤٤	١٤٥	١٤٦	١٤٧	١٤٨	١٤٩	١٥٠	١٥١	١٥٢	١٥٣	١٥٤	١٥٥	١٥٦	١٥٧	١٥٨	١٥٩	١٦٠	١٦١	١٦٢	١٦٣	١٦٤	١٦٥	١٦٦	١٦٧	١٦٨	١٦٩	١٧٠	١٧١	١٧٢	١٧٣	١٧٤	١٧٥	١٧٦	١٧٧	١٧٨	١٧٩	١٨٠	١٨١	١٨٢	١٨٣	١٨٤	١٨٥	١٨٦	١٨٧	١٨٨	١٨٩	١٩٠	١٩١	١٩٢	١٩٣	١٩٤	١٩٥	١٩٦	١٩٧	١٩٨	١٩٩	٢٠٠	٢٠١	٢٠٢	٢٠٣	٢٠٤	٢٠٥	٢٠٦	٢٠٧	٢٠٨	٢٠٩	٢١٠	٢١١	٢١٢	٢١٣	٢١٤	٢١٥	٢١٦	٢١٧	٢١٨	٢١٩	٢٢٠	٢٢١	٢٢٢	٢٢٣	٢٢٤	٢٢٥	٢٢٦	٢٢٧	٢٢٨	٢٢٩	٢٣٠	٢٣١	٢٣٢	٢٣٣	٢٣٤	٢٣٥	٢٣٦	٢٣٧	٢٣٨	٢٣٩	٢٤٠	٢٤١	٢٤٢	٢٤٣	٢٤٤	٢٤٥	٢٤٦	٢٤٧	٢٤٨	٢٤٩	٢٥٠	٢٥١	٢٥٢	٢٥٣	٢٥٤	٢٥٥	٢٥٦	٢٥٧	٢٥٨	٢٥٩	٢٦٠	٢٦١	٢٦٢	٢٦٣	٢٦٤	٢٦٥	٢٦٦	٢٦٧	٢٦٨	٢٦٩	٢٧٠	٢٧١	٢٧٢	٢٧٣	٢٧٤	٢٧٥	٢٧٦	٢٧٧	٢٧٨	٢٧٩	٢٨٠	٢٨١	٢٨٢	٢٨٣	٢٨٤	٢٨٥	٢٨٦	٢٨٧	٢٨٨	٢٨٩	٢٩٠	٢٩١	٢٩٢	٢٩٣	٢٩٤	٢٩٥	٢٩٦	٢٩٧	٢٩٨	٢٩٩	٣٠٠	٣٠١	٣٠٢	٣٠٣	٣٠٤	٣٠٥	٣٠٦	٣٠٧	٣٠٨	٣٠٩	٣١٠	٣١١	٣١٢	٣١٣	٣١٤	٣١٥	٣١٦	٣١٧	٣١٨	٣١٩	٣٢٠	٣٢١	٣٢٢	٣٢٣	٣٢٤	٣٢٥	٣٢٦	٣٢٧	٣٢٨	٣٢٩	٣٣٠	٣٣١	٣٣٢	٣٣٣	٣٣٤	٣٣٥	٣٣٦	٣٣٧	٣٣٨	٣٣٩	٣٤٠	٣٤١	٣٤٢	٣٤٣	٣٤٤	٣٤٥	٣٤٦	٣٤٧	٣٤٨	٣٤٩	٣٥٠	٣٥١	٣٥٢	٣٥٣	٣٥٤	٣٥٥	٣٥٦	٣٥٧	٣٥٨	٣٥٩	٣٦٠	٣٦١	٣٦٢	٣٦٣	٣٦٤	٣٦٥	٣٦٦	٣٦٧	٣٦٨	٣٦٩	٣٧٠	٣٧١	٣٧٢	٣٧٣	٣٧٤	٣٧٥	٣٧٦	٣٧٧	٣٧٨	٣٧٩	٣٨٠	٣٨١	٣٨٢	٣٨٣	٣٨٤	٣٨٥	٣٨٦	٣٨٧	٣٨٨	٣٨٩	٣٩٠	٣٩١	٣٩٢	٣٩٣	٣٩٤	٣٩٥	٣٩٦	٣٩٧	٣٩٨	٣٩٩	٤٠٠	٤٠١	٤٠٢	٤٠٣	٤٠٤	٤٠٥	٤٠٦	٤٠٧	٤٠٨	٤٠٩	٤١٠	٤١١	٤١٢	٤١٣	٤١٤	٤١٥	٤١٦	٤١٧	٤١٨	٤١٩	٤٢٠	٤٢١	٤٢٢	٤٢٣	٤٢٤	٤٢٥	٤٢٦	٤٢٧	٤٢٨	٤٢٩	٤٣٠	٤٣١	٤٣٢	٤٣٣	٤٣٤	٤٣٥	٤٣٦	٤٣٧	٤٣٨	٤٣٩	٤٤٠	٤٤١	٤٤٢	٤٤٣	٤٤٤	٤٤٥	٤٤٦	٤٤٧	٤٤٨	٤٤٩	٤٥٠	٤٥١	٤٥٢	٤٥٣	٤٥٤	٤٥٥	٤٥٦	٤٥٧	٤٥٨	٤٥٩	٤٦٠	٤٦١	٤٦٢	٤٦٣	٤٦٤	٤٦٥	٤٦٦	٤٦٧	٤٦٨	٤٦٩	٤٧٠	٤٧١	٤٧٢	٤٧٣	٤٧٤	٤٧٥	٤٧٦	٤٧٧	٤٧٨	٤٧٩	٤٨٠	٤٨١	٤٨٢	٤٨٣	٤٨٤	٤٨٥	٤٨٦	٤٨٧	٤٨٨	٤٨٩	٤٩٠	٤٩١	٤٩٢	٤٩٣	٤٩٤	٤٩٥	٤٩٦	٤٩٧	٤٩٨	٤٩٩	٥٠٠
-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----	-----

- (8) أبو الحسن بن محمد الرعيبي المقرئ (461 هـ / 1069 م - 559 هـ / 1163 م) (102) .
- (9) أبو محمد عبد الله بن أحمد سليمان (444 هـ / 1052 م - 522 هـ / 1128 م) (103) .
- (10) أبو الحسن علي بن عبد الرحمن التنوخي بن الأخضر (514 هـ / 1120 م) (104) .
- (11) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الأهدب (367 هـ / 987 م - 437 هـ / 1045 م) (106) .

وتجاني أهمية المسجد في الدور الذي يقوم به كمركز تعليمي ، فقد أمكن لعدد مهم من الأشبيليين الاستقرار في أنحاء مختلفة من العالم الإسلامي . وإذا كانت إشبيلية قد جلبت إليها الموهوبين من خارج البلاد، فإن الأشبيليين بدورهم اغتنوا من خلال تجارتهم التي شملت زيارة أقطار متعددة في الأندلس والمغرب والمشرق لأغراض تعليمية وثقافية وبقصد الحج والتجارة .

وكانت الاتصالات بين إشبيلية ونواحي أخرى متطورة بحيث أن عدداً من الأشبيليين هاجروا نحو أقطار أخرى ونكثوا مع بيئات جديدة

(102) نفس المصدر ، ص . 290 .

(103) نفس المصدر ، ص . 263 .

(104) « كتاب الصلاة » ج 2 ، ص . 404 .

(105) نفس المصدر ، ص . 600 .

واستقروا بها إما مؤقتاً أو نهائياً ، فقد استوطن مصر أبو القاسم أحمد بن محمد الحججي بن يحيى (ت . 425 هـ . / 1024 م) (106) وأبو عمر بن عياش القضاعي المالكي (عاش حوالي سنة 459 هـ . / 1061 م) (107) واستقر بمدينة سبتة أبو بكر أحمد بن محمد القيسي السبتي (ت . 492 هـ / 1087 م) وإليها انتسب (108) كما استقر أبو الفتح سعدون بن محمد الزهري (ت . 440 هـ / 1048 م .) في مكة حيث توفي وعمره ثمانون سنة (109) ورحل إلى المغرب أبو محمد عبد الله بن اسماعيل (ت . 497 هـ / 1108 م) حيث استقر بأفيات (110) .

والجدير بالذكر أن وزن العلماء والفقهاء في إشبيلية كان بالغ الأهمية شأنها في ذلك شأن الاقطار الأندلسية الأخرى . وذلك لان اتصالهم بالناس كان مباشراً أكثر الحكام ، علاوة على هذا : كان الفقهاء في غالب الأحيان من أصول متواضعة لذا كانت جذورهم الشعبية عميقة ، فكثيراً ما عبروا عن مطالب وطموحات الجماهير ورفعوا شكوايهم . بالرغم من أن ثقة الجماهير في الفقهاء كانت تتأرجح بحسب المناطق وفي مختلف أزمنة التاريخ الأندلسي . ومع ذلك فوجودهم كان يفسر دائما كقوة معارضة أو مؤيدة للحاكمين .

(106) « كتاب الصلة » ج 1 . ص . 39 .

(107) نفس المصدر ، ص . 218 .

(108) نفس المصدر ، ص . 60 .

(109) نفس المصدر ، ص . 225 .

(110) نفس المصدر ، ص . 279 .

يمثل المسجد أهم وسيلة للالتقاء ليس روحيا فحسب وإنما إجتماعيا أيضا ، فزيادة على جوانبه الموحدة كمكان للتجمع والعبادة الجماعية وخلفياتها المعنوية ساهم في ازدهار الالتحام والتكامل الروحي . وكان البعدان الاجتماعي والسياسي يكملان التجمع التعليمي والديني في المسجد ، ولكن التجمع السياسي كان محدوداً ومراقباً بسبب الغمام بدهمة حرية التعبير كليا في إشبيلية .

إن الاجماع على قبول المسجد والاعتراف به كمؤسسة إجتماعية تنظيمية أساسية ، ودوره كأداة تسييس ونقل المعلومات والدعاية ، كلها عناصر خدمت الدولة حيث مكنتها من ممارسة السيطرة السياسية على السكان الإشبيليين . ومع ذلك ، لا يمكننا تحديد طبيعة ودرجة هذا التأثير بالضبط . إن تعايش الدولة والمسجد أمر واضح ومسلم به ، ولكن ما هو أثر المسجد على الدولة ؟ فرغم أن القرارات السياسية العليا كان يقرها القصر فإن السوق شكل المكان الذي تنظم فيه الأنشطة التجارية . وإذا كانت السلطة التنفيذية للدولة مستقلة عن المسجد ، فإن هذا الأخير شكل أداة أساسية لربط الصلة بين الدولة والشعب في إشبيلية . فالمعلومات كانت تنقل عبره إلى الجمهور ، ولكن لم يسمح أي نظام بالحوار المفتوح ، وإنما كان على الدولة أحيانا أن تأخذ بعين الاعتبار رد الفعل تجاه أي قرار ستتخذه وأن عليها أن تراضى والهيكل الاجتماعي العام . وكان على الدولة كذلك أن تعمل داخل حدود ومحيط المعايير والتقاليد الاجتماعية الموجودة ، وأن تجانب خرق العرف الاجتماعي أو المعتقدات الدينية . وإلى جانب المسجد نجد السوق ، عبارة عن مؤسسة إجتماعية هامة

في إشبيلية . إن التقدير الضام لدور السوق الاشبيلية خلال القرن الهجري الخامس يمكن وضعه في إطار مكانة إشبيلية كمركز تجاري هام ، كان نمو إشبيلية يتم سريعا بالمقارنة مع نمو سائر المدن الأخرى في الأندلس خلال القرن الهجري الخامس ، ونعود ببعض أسباب هذا التطور إلى عوامل خارجية ، منها : إنحطاط قرطبة ومدن أندلسية كبرى أخرى ، وهناك عوامل داخلية تتجلى مثلا في الإنتاج الفلاحي الذي كان يتحسن أساسا بواسطة الري . ثم إن الصناعات الصغيرة واستغلال المناجم ساعدت كذلك على ترويج اقتصادها ونشاطها التجاري . كما ساهم تفوق إشبيلية السياسي والعسكري واعتماداتها على جيرانها الطوائف الآخرين في زيادة التداول المالي بسبب الحصول على الغنائم . بيد أن قيامها بدفع الجزية التي فرضها ألفونسو السادس ظل يعرقل ازدهارها الاقتصادي ، وبالرغم من خطورة التبعية لغشتالة فإن ذلك لم يؤثر على بقاء اقتصادها وازدهارها التجاري الذي تعرض للهلاك ومن ناحية كانت نهاية دولة بني عباد نتيجة لهذه التطورات حلا سياسيا للزمة الاقتصادية . فلم تمس تجارة إشبيلية في جوهرها بسبب هذا التغيير ولم تشمل أو تتعرض للانقلاب . كان أهم عنصر ومحفز في نفس الوقت وراء نجاح إشبيلية المنقطع النظر كمركز تجاري تمتعها بمنفذ مباشر على البحر الأبيض المتوسط عن طريق الوادي الكبير . ولهذا السبب جلبت إشبيلية إليها التجار ليس من مختلف أنحاء الأندلس فحسب . بل وأهضا من المشرق الأوسط خاصة من إفريقيا عبر المغرب .

لقد جلبت أهم خصائص السوق الأندلسية إهتمام الباحثين حديثا ، خصوصا من ناحية المنظوريات : الحضري المحض

والاقتصادي (111) ونحن هناك بعداً ظل مهملًا هو دور السوق الاندلسية كعامل للتكبير الاجتماعي وباعث الوعي السياسي . وبالرغم من قلة المصادر التي تساعد على دراسة السوق الاشبيلية والاندلسية خلال القرن الهجري الخامس يمكننا أن نعيد بنسبه بفضل المادة الموجودة عن السوق خلال الفترات المتأخرة . شكل إقتصاد المكان عنصرًا رئيسيًا في المراكز الحضرية الاندلسية وكان هذا معكوسا بوضوح في السوق فالتجارة كانت تمارس في شوارع ضيقة وساحات صغيرة غالبًا ما تكون قريبة من المسجد الذي يعتبر المؤسسة الاسلامية العامة في المدينة الاسلامية . لقد تخصصت بعض النواحي في بيع بضائع معينة . وبينما عرفت بعض الاسواق حركة مستمرة فكانت أسواق أخرى تعرف نشاطاً مؤقتاً . وكما اختلفت طبيعة المنتجات المتبادلة كما وكيفاً . اختلف أيضا حجم السوق ونطاق التبادل التجاري .

كانت الاهمية الاولى للسوق الاشبيلي خلال القرن الهجري الخامس تمثله كقاعدة للتبادل التجاري الذي كان ينظمه المحتسب أو صاحب السوق . لا يمكن إنكار دور المحتسب بإشبيلية . لكن هذا الموظف لم يكن يتمتع بنفس درجة السلطة التي تمتع بها في أماكن وأزمنة مختلفة . وعادة

(111) ضلي سهيل الشال ، انظر مقال : الساحات والاسواق والتاجر في المدن الاسلامية الاسبانية ، اطوريس بلباس :
L. Torres Balbas, *Plazas, zocos y tiendas de las ciudades hispano-musulmanas, Al-Andalus*, XII (1947), pp. 427-476, especially pp. 446-72 for the Andalusian sug.
وفي موضوع ولاية السوق في الاندلس : انظر كتاب : صاحب السوق في إسبانيا ، بيدرو شاليتا :
Pedro Chalmeta, *El señor del zoco en España*, Madrid, 1973, pp. 357-494 .

ما يقوم صاحب المدينة مقام المحتسب نثل الحادث الذي حصل بين مسلم ويهودي في سوق إشبيلية سنة 402 هـ / 1069 م (112) وليس واضحا كما إذا كان حسم صاحب المدينة في مثل هذه الحوادث يعود إلى حدود سلطة المحتسب أم إلى طبيعة الحادثة. ولقد كانت إشبيلية بصفتها مركزا تجاريا لا تستغني عن خدمات صاحب المدينة.

فخلال عهد بني أمية كان المحتسب يخضع لمراقبة القاضي ليكن تعيينه أضحى فيما بعد من إختصاص الحاكم (113) وفي أوائل القرن السادس الهجري كان القاضي يعين المحتسب بشرط أن يوافق على ذلك الحاكم كما يشير إلى ذلك ابن عيرون (114) وكان دور المحتسب يقتضي بحاربة الغش وتنظيم الأنشطة التجارية كما كان يقوم بمراقبة وفحص حجم السلع والأوزان والمقاييل (115) وأحيانا تتداخل مسؤوليات المحتسب مع واجبات القاضي بحيث أن منصب المحتسب كان يكمل منصب القاضي (116).

ولهذا لم يكن المحتسب موظفا من طبيعته يعجب به التجار والبائعون، لكن دوره كان ضروريا للإشراف والحفاظ على نجارة عادلة ومشروعة. وعلاوة على ذلك، كانت وظيفة المحتسب تعمل مضامين دينية حيث

-
- (112) الفخيرة، التكم 1 ج 1، ص 418. وراجع أيضا: ابن عيرون، تاريخ الأندلس، ج 1، ص 113.
- (113) المقدمة، ج 2، ص 577.
- (114) الرسالة في القضا والحسبة، ص 20.
- (115) المقدمة، ج 2، صفحتنا 576 - 577.
- (116) نفس المصدر، و الرسالة في القضا والحسبة، ص 20.

الله كُنُون رئيس العلماء المغاربة حاليا في المؤتمر الذي خصص لابن حيان في الرباط من 19 الى 23 ففمبر 1981 . ونشر هذا البحث بعنوان «نقطة ضعف في تاريخ ابن حيان» («المناهل» ، العدد 29 (1984) ، ص : 301 - 309) .

(44) يمكن ذكر مثال الفقيه ابي بكر بن ملح الذي عاش سكبيرا قبل ان يتحول الى عالم محترم .

(ابن بسام ، «الذخيرة» ، القسم الاول ، ج . 1 . المصدر السابق ، ص : 452) . وعبر ابن ملح عن تغير سلوكه في ابيات شعرية (نفس المصدر) .

(45) «الذخيرة» ، القسم الاول ، ج . 1 ، المصدر السابق ، ص : 11 - 12 .

(46) «الذخيرة» ، القسم الاول ، ج . 2 ، المصدر السابق ، ص : 826 .

(47) نفس المصدر .

(48) نفس المصدر .

(49) نفس المصدر .

(50) تطرقنا لهذا الاتجاه بالتفصيل عندما قدمنا الاوضاع الاقتصادية العامة في الاندلس في القرن العشري الخامس اعتمادا على المصادر التاريخية الاولى في الفصل الثاني من هذا الكتاب .

(51) ربما كانت احسن محاولة لتوضيح المشاكل المنهجية العامة المرتبطة بمصر الطوائف تلك التي قام بها الدكتور حسين مؤنس في مقاله «اعتبارات حول عصر ملوك الطوائف» :

Hnsayn Monés , Conideraciones sobre la epoca de los reyes de talfas , Al - Andalus , XXXI (1966) , PP . 305 - 328 .

ومع ذلك ظهرت بعد صدور هذه المقالة دراسات جيدة حول عصر ملوك الطوائف .

(52) مثلا ، قرر القاضي بن عباد ان يعترف بهشام الثاني وبسيادته على إشبيلية والاندلس سنة 426 هـ . - 1034 م . («الذخيرة» ، القسم الثاني ، ج .

المسيطرة ثقافياً وسياسياً (118). وعلى العكس من ذلك ، لم يعارض ابن زيدون نظام دول الطوائف في حد ذاته ، بالرغم من أنه انتقد حكام قرطبة ومجتمعها ، وانتقل إلى إشبيلية التي استقر بها حيث بلغ مكانة بارزة . وهناك أيضاً ، موقف أبي الوليد الباجي الذي سعى لإصلاح حال المجتمع الأندلسي بمحاولته إقناع عدد من ملوك الطوائف القيام بإصلاح سياسي مهم (119) . إلى جانب هؤلاء نجد ابن حبان المؤرخ الذي يعتبر كتابه « المئين » طرحاً تاريخياً ونقدياً لعدد الطوائف وللمجتمع الأندلسي خلال القرن الهجري الخامس (120) . لكن هذه الاحتجاجات لم تقبلور وتمتد لتأخذ شكل معارضة إجتماعية منظمة . فالانتقادات الشفهية أو المكتوبة التي قدمها من كانوا واعين بتدهور الأوضاع الاجتماعية لم تصلح كأساس لحركة سياسية ومن جانب آخر ، فإن هذا الوعي يمكن المؤرخ الحديث من إعادة

(118) لقد هجر ابن حزم « الذي كان مضطرباً بسبب الفخار السياسية » عن شعوره بالمرقة في أميات هجرية (« الذخيرة » ، القسم 1 ج 1 ص 171) . فعلى سبيل المثال هناك انتقادات شديدة وجهها ابن حزم إلى ملوك الطوائف لموافقتهم على أداء الجزية للملوك المسيحيين وإلى الفتناء الأندلسيين الذين استغلوا الدين كصالحهم الشخصية كما انتقد ابن حزم النتائج الاجتماعية السلبية لفصائح غير العادلة التي فرضها الجيوش وملوك الطوائف على الشعب الأندلسي . أنظر :

Miguel Asín Palacios, *En código inexplorado del cordobés Ibn-Hazm, Al-Andalus, II*, (1934), pp. 25-27.

(119) « الذخيرة » ، و « رحلة السير » ، ج 2 ص 98 .

(120) وبالرغم من الانتقادات الشديدة التي قدمها ابن حبان لعدد من ملوك الطوائف كان مديوناً بأبي الوليد بن جهور حاكم قرطبة والذي عمل معه (« الذخيرة » ، القسم 1 ج 2 ص 605) .



بناء أو تصور بعض العناصر الاجتماعية الأساسية لهذه الفترة التي نمت نتيجة هشاشة المؤسسات الاجتماعية المتواجدة آنذاك كالرشوة التي غالباً ما تفاحش أمرها ، فإلى حد ما أصبحت المشروعية تصوراً نسبياً . فبالرغم من قيام نظام قضائي موحد ، كانت المصالح السياسية تعترض سبيله ، فما كان مشروعاً في دولة طائفية ، كان معزماً في دولة أخرى . وفي نفس الوقت ، ما شره المحاكم يصبح لاغياً بمجرد ذهاب عهده إن مشكلة المشروعية في دولة طائفية مينة لا تكسب دلالتها إلا إذا وضعنا ذلك في إطار مشروعية مفهوم الدولة الطائفية نفسها ، فرغم أن ظاهرة الرشوة لم تعرف تأييداً رسمياً فإنها استمرت كنتاج النظام .

كان الفساد يتضح على عدة مستويات ، وربما كان أخطرها المستوى السياسي نظراً لهشاشة أسس وبنية الدولة الطائفية ، لقد تملت ردود الفعل التلقائية والعنيفة وسيلة مشتركة للبقاء على الإمتيازات والسلطة فمعارضة حاكم دولة طائفية معين لا تنهض إلا بمساعدة حاكم آخر . وزيادة على ذلك انعكست النصفية المنظمة للمعارضين السياسيين بعمق على المستوى الاجتماعي حيث بلغ الفساد درجة خطيرة وأصبح مستشرياً في المجتمع الأندلسي ، واختلفت أشكاله من رشوة واستغلال ممتلكات وأموال العامة ومحسوبية بينما سادت الرشوة داخل المجتمع . وقد ذكر ابن حيان في رسائله أسماء بعض الشخصيات ووصف الأنشطة التي تمارسها (121) . ورغم

(121) فطحي سبيل الشال ، أنظر الحالات الموصوفة من ذكر أسماء السنين في
الذخيرة ، - التسم 1 ج 2 ص 888 .



أن معظم هذه الشخصيات كان أصلها من قرطبة فإن الظروف الاجتماعية كانت متشابهة في إشبيلية خلال عهد الطوائف مما يفسر وجود أوضاع فساد متماثلة . علاوة على ذلك . فكل من قرطبة وإشبيلية تمتعتا بروابط ثقافية وإقتصادية متميزة مع الدول الطائفية المجاورة . كما أن معرفة ابن حيان بإشبيلية . خاصة خلال العهد الأخير من حياته قد لنا على أن الشخصيات التي أشار إليها كانت تقطن إشبيلية .

ووجود مظاهر الفساد والرشوة في إشبيلية لم تدخل الإشارة إليها أيضاً . وإن كان انتشارها أقل درجة مما ساء في قرطبة (122) . وإذا كان

(122) أصبحت قرطبة بتخريب شديد في مناسبات متعددة خلال « الفتن » من طرف جيوش عبد الجبار المعروف باللهدي الذي أطاح بآخر حاكم بني أمية عامر ثم خلع هشام الثاني وهدم مدينة الزهراء (« الذخيرة » القسم 1 ج 1 . ص 89) . و « البيان المغرب » ج 1 . ص 84) . أما الناصر سليمان بن الحكم فقد خلع الهادي بعد تخريب خاف العنبر (« البيان المغرب » ج 1 . ص 89) ثم خلف علي بن حمويه سليمان ليغرض حكمه المطلق بعد احتسابه سعة الحاكم المادل (« الذخيرة » القسم 1 ج 1 ص 89) وبعد فترة حكم بني أمية توافقت عدد من الآراء على قرطبة دون أن يصبح أي منهم في فرض سلطته عليها بكيفية نهائية بل حتى حكم بني جهور الذي فتحه أبو الحزم بن جهور في سنة 498 هـ / 1081 م . (« الذخيرة » القسم 1 ج 2 صفحات 809 - 804 انتهى باحتلال المعتز لقرطبة خلال حكم عبد الملك بن جهور في 468 هـ / 1070 م . نفس المصدر ، صفحتنا 810 - 811) وفي إطار عدم الاستقرار الذي شهدته تلك الفترة استبدل ابن بادشة نفوذ السياسي في قرطبة إلى درجة لم يصلها أحد في إشبيلية . ذلك أن ابن بادشة خرب ما بقي من قصور بني أمية ثم باع كل ما راع تحت يديه من المواد الثمينة كالرخام والخشب والبرنز والحديد والفولاذ (« الذخيرة » القسم 1 ج 2 . ص 600) .



الاستقرار في دولة إشبيلية قد ساهم في الرفع من المستوى الاجتماعي ونهسين ظروف المعيشة ، فإن المستوى الاجتماعي بقرطبة - نظراً لتحول مركزها من عاصمة مرخزية للاندلس إلى عاصمة لدولة طائفة تعرض لحملات عسكرية يقوم بها بعض المغامرين أحياناً وحكام دولات الطوائف أحياناً أخرى - قد عرف نتائج معكوسة .

لقد تسبب الازدهار المادي في المجتمع الحضري الاندلسي المتطور في زيادة أطماع بعض الافراد الذين كان غرضهم الرفع من مستوى معيشتهم فلجأوا إلى طرق غير مشروعة ، وقد انتشرت هذه الظاهرة في ظروف عدم الاستقرار السياسي الذي ساد خلال عهد الطوائف ورغم ذلك فهذه الظاهرة لم تمنع دون اكتشاف من قبل بعض الافراد المنورين من الاندلسيين ممن كان لهم موقف إزاء التناقضات والمظالم داخل مجتمعهم . وقد انتقد هؤلاء سوء تصرف المسؤولين الحكبار والانتهازيين ، فقد انتقد ابن حيان وزهيرين لم يذكر إسمها ونتمها بعدم الكفاءة والجهل وعدم استحقاق منصبيهما (123) . وإذا كان الدافع الشخصي هو الاساس في انتقاد ابن زيدون لحكام بني جهور ، فإن انتقاد ابن حيان للوزير ابن جهور كان أكثر موضوعية (124) . وذكر ابن حيان شخصاً بدون تسميته من قرطبة أو إشبيلية كان يمارس نشاطاً تلاحياً ونجارياً

(123) الفخيرة ، القسم 1 ج 2 ص 109 .

(124) نعلي سبيل المثال ، انصب نقد ابن حيان على ابن جهور هند ما بالغ في تقدير امرأة بعنوره جنازتها وعدم ممارسته اشكل غيرها الذي كان يشبه ابور الملوك (نفس المصدر ، صحتنا 596 - 596) .



وجعل على ثروات طائلة رغم جهله الكبير، من طريق استغلال أملاك الاوقاف ومناخ اليتامى (126). وذكر أيضاً شخصاً آخر لم يحدد إسمه سمى الى قراهم الارباح بواسطة رفع الاسعار في السوق بطريقة اصطناعية، ويرجع ابن حبان السبب في هذه الاوضاع إلى الفوضى التي سادت قرطبة (126). وهناك إشارة أخرى لاحد العوام الذي اعتنى بطريقة غير عادية خلال الغتن التي عرفتها قرطبة سالماً أساليب الغش والمضاربة والجور بالرغم من جهالته (127). إلى جانب ذلك، لم تقف ملاحظات ابن حبان عند الانتقاع والتشويه، فنراه مثلاً يمدح أبنا القاسم سوار بن أحمد لاجتنابه الوشاية السياسية، ذاكراً إياه بإسمه مع نسبه إلى قرطبة (128).

٤) الاستنتاج: التكامل الاجتماعي

كان المجتمع الاندلسي مجتمعاً متكاملًا ورأسخاً (ستطاع أن يصمد أمام الصدمات التي نتجت عن نشوء أنظمة سياسية مختلفة، وقد حافظ في عهد بني عباد على أسس تركيباته البنوية التي بقيت منذ حكم المرابطين.

(126) نفس المصدر، ص. 591.

(127) نفس المصدر.

(127) نفس المصدر، ص. 593.

(128) نفس المصدر، صفحات 697 - 698.

ولكي نقرز مدى التعامل الاجتماعي الذي حصل لإشبيلية لا بد من اختبار العلاقات الداخلية القائمة بين مختلف مجتمعاتها. فلقد كان أفراد المجتمع الإشبيلي مخلصين بعضهم لبعض ولنظامهم الاجتماعي إلى حد ما. ومن علامات هذا التعامل النسبة المرتفعة لغير الإشبيليين ممن قصدوا المدينة خلال هذه الفترة التي نحن بصددتها. وبالرغم من أن العامل الأساسي في هذا التعامل الاجتماعي كان هو الخوف من التهديدات الخارجية، وهذا ما يفسر روح التضامن وارتفاع المعنويات لدى الإشبيليين لدرجة أدت إلى الاستعداد العام لحوض الكفاح المشترك من أجل البقاء. كما أن الحفاظ على رفاهية المجتمع كانت من الدواعي الأساسية الأخرى. فكانت الأنشطة التعاونية كالتجارة تفرض وجود سلطة التقرير وأيضاً سلطة تدريجية تتمتع بالنفوذ الشرعي بشيخ لها إقطاع الأوامر، بينما كانت القواعد التنظيمية تسير الحياة الحضرية المتطورة في إشبيلية. وكان الحفاظ على وحدة النظام الاجتماعي يتم بواسطة المراقبة الاجتماعية وحصر ردود الفعل وضبط المخالفات. فكانت النزاعات المتعلقة بتفسير ونظم مقاييس العلاقات الاجتماعية أو المتعلقة بجوانب من التزامات المصاحبة يقرر فيها عن طريق اتفاقات رسمية كالأعراف التقليدية أو عن طريق المؤسسات الرسمية كالشرطة والقاضي. إن التغيير الاجتماعي في إشبيلية كان يتم بمستوى أقل مما كان يتم به هذا التغيير في الميدان السياسي والاقتصادي. ولكن يجب أن نفهم أيضاً أهمية هذا الانتقال السياسي والاقتصادي في إطار عواقبه الاجتماعية. فلم يتحول المجتمع الإشبيلي بأكمله. لكنه تغير نتيجة لحكم بني عباد. لقد فرض الحكام قبل عهد بني عباد وخلالها سيطرتهم على الإشبيليين، ونادراً ما شاركوهم على مستوى الحكم. الأمر الذي يشير إلى التبعية



السياسية التي فرضت على الاشبهيليين . كان نمو المجتمع الاشبهيلي منتظماً ،
 كما كانت تغيراته متطورة باستمرار . وأدى ارقباطه الوثيق بالانشطة
 التجارية والصناعية إلى عدم اهتمامه بالشؤون السياسية . لكن رغم ذلك فقد
 كانت الضغوط والانتفاضات العنيفة والعارضة في جزء منها نتيجة لهذا المنح
 أو التضييق للنشاطات السياسية .

لم يمس التعبير الاجتماعي في إشبهيلية المقاييس الاساسية . ولا يمكن
 اعتبار أي تغيير وقع في المجتمع الاشبهيلي خلال حكم بني عباد تحولاً في
 بنيته أو في مؤسساته الاجتماعية أو في مقاييسه ، يدل ذلك ، يجب تصور
 التغيير في المجتمع الاشبهيلي كنتيجة للعلاقات المتبادلة بين النظام السياسي
 والمجتمع ، وكانت عوامل اقتصار دولة بني عباد نتيجة للاستقلال السياسي
 والاقتصادي للمجتمع الاشبهيلي .

لقد حصل التفسير الاجتماعي المتدرج باستمرار خلال عهد بني عباد ،
 ونحن عوض أن يكون تفسراً بنويماً كان شبه بنوي وتوزيحي .
 ذلك أن البنية الاجتماعية الاساسية في إشبهيلية لم تمس رغم التحولات
 الخارجية السطحية التي استمرت طيلة فترة حكم بني عباد . كما حصلت
 عناصر جديدة سواء أفراد أو جماعات على مراكز امتياز في إطار النظام
 السياسي والاداري . ورغم ما أصاب بعض الافراد القليلين من بلاد وهناك
 على يد المعتضد والمعتمد بن عباد عند قيامهما بتوطيد حكمهما ، وإن
 النخبة التقليدية استطاعت أن تحافظ على امتيازاتها المتوارثة ، واستمر
 وجودها قائماً إلى جانب حكام بني عباد الجدد ، بينما لم يطرأ أي تحسن
 جوهري على أسلوب أحوال العامة .



الفصل الرابع

السياسة الخارجية الاشيلية

1 (المراحل التاريخية التي قطعتها

إشيلية على عهد بني عباس

لقد حاول عدد من المؤرخين لإشيلية على عهد بني عباس تقسيم تلك الفترة إلى عدة مراحل . واختلفت الطرق التي استعملت في تلك التقسيمات ، كما اختلفت أسبابها باختلاف الجوانب التي سعى المؤلفون إلى التركيز عليها فقد خصص إبن بسام منذ أوائل القرن الهجري السادس ثلاثة فصول في القسم الثاني من كتابه « الذخيرة » للمقاضي بن عباس والمعتمد بن عباد والمعتمد بن عباد . ورغم أن إنتاجهم الأدبية كانت محور اهتمامه الأول ، فقد درس أيضاً أسسهم التاريخية ، معتدداً بصفة مطلقة

على المؤرخ ابن حبان (1) . ومن المهم أن نلاحظ أن ابن بسام كان يقيم ويدرس البيئة التاريخية وأهم الأحداث التي جرت خلال الفترات التي عاش فيها الثلاثة المذكورون ، مركزاً على الأحوال التاريخية لاشيعة بصورة أساسية . ولذلك يحتاج إلى تبرير موقفه بغية شرح الجوانب الأدبية لكل شخصية درسها . ووصف مؤرخون آخرون تاريخ إشيلية على عهد بني عباد بطريقة تسلسلية كجزء من مهاجمهم لدراسة الافدلس ، الذي كان يتميز على العموم بطابع الوصف (2) . وقد اقترح حسين مؤنس ، حديثاً ، تقسيم عهد ملوك الطوائف إلى ثلاث فترات : من سنة 1009 م . إلى 1081 م . ، ومن 1081 م . إلى 1040 م . أو 1046 م . ، ثم من سنة 1046 م . إلى 1080 م .

(1) « الذخيرة » ، القسم 2 ، ج 1 . صفحات 13 - 28 و 28 - 41 و 41 - 81 . من الملاحظ أن ابن بسام كان يولي اهتماماً خاصاً للأرضية التاريخية للشخصيات الأدبية التي عاينت موضع دراسته مما أدى إلى وجود عنصر تاريخي في منحه . ومع ذلك فإن ابن بسام امتد أساساً إلى نموذج معاجم السير وما كتبه «الذخيرة» إلا معجم سير للشخصيات الاندلسية البارزة في القرن الخامس الهجري ، ومن جهة أخرى . اختلف مؤلفو معاجم السير عامة مع ابن بسام في كونهم حصروا جهودهم في تقديم المعلومات الأدبية ووصفها فكان المنصر التاريخي غير موجود في كتاباتهم ، ومن جملة الامثلة لهذا النهج من كتاب السير الذين تطرقوا لبعض الشخصيات البارزة الاشيلية التي عاشت خلال عهد بني عباد نذكر ابن خلفان صاحب كتاب « وفيات الأعيان » وابن خلفان صاحب كتاب « فلائذ العقاب » وابن فرجون صاحب « كتاب الديباج المذهب » .

(2) نذكر على سبيل المثال ابن «قاري» «البهان المقرب» ، ج 3 . صفحات 198 - 216 والمراضشي «المعجب» ، صفحات 98 - 100 و 186 - 161 وابن الخطيب (« أعمال الاعلام » ، صفحات 177 - 197) .

ولم يكن الأمير عبد الله شخصية معاصرة فقط، بل شارك في عدد من الأحداث التاريخية التي يناقشها. لقد ألف عبد الله كتابه في المغرب بعد احتلال يوسف بن ناشفين لدول الطوائف. ولذلك كان عبد الله مقلا فيما قاله عن يوسف، ولكنه استطاع أن يناقش تاريخ غرناطة وعلاقاتها بالدول الطائفية الأخرى مثل اشبيلية بقرية ثامة. ولا ننحصر قيمة كتاب «التبيان» في كونه مصدراً مهماً للمعلومات، فبعد الله بن بلقين يقدم لنا أفهاره والدوافع الحفية وراء قراراته، بل انه يذهب إلى تحليل سلوك وعقلية خصومه أمثال وزير المعتمد بن عباد، ابن عمار، أو ألفونسو السادس. وينقل أحياناً اقتباسات من الشخصيات التي يشير إليها مثل رسل ألفونسو السادس، سيسناندو، دافديث وألفا فانبيث وبيدرو أنسوريث. وأخيراً فرغم اهتمام عبد الله أساساً لتاريخ غرناطة فإنه يناقش أبرز الأحداث التاريخية في القرن الخامس الهجري مثل احتلال ألفونسو السادس لطليطلة في سنة 478 هـ - 1086 م. ومعركة الزلاقة في سنة 479 هـ - 1086 م التي شارك فيها

وللمعلومات الواردة في المصادر المسيحية إسهام كبير في تكميل أو مطابقة أو معارضة المعلومات الواردة في المصادر الإسلامية أو العربية ويمكن المؤرخ من خلال اختلاف نظرة كل منها اختبار المادة ومعالجة المشاكل المختلفة بموضوعية أكثر، ومع الأسف الشديد فإن الوقائع التاريخية المسيحية (كرونيكاس) التي اهتمت بالقرن الحادي عشر الميلادي (الخامس الهجري) قليلة ولا يمكن استعمالها إلا في نطاق محدود. ولم تهتم هذه الأخيرة بالمجتمع الأندلسي الإسلامي في حد ذاته بل انحصرت ذكرها لهذا المجتمع في إطار علاقاته مع الخصام والقادة المسيحيين أمثال ألفونسو السادس و«السيد القنباطور» رودريغو ديثا، ولكن هناك روايتان تاريخيتان

ورغم أن حسين مؤنس من المؤرخين القلائل الذين حاولوا وضع منهج شامل لتاريخ الأندلس خلال هذا القرن الهجري الخامس، فإننا نجد صدى لتأويلاته السابقة واستنتاجاته بخصوص عهد بني أمية عند تعرضه لدول الطوائف (4). فقد اعتبر حسين مؤنس، فعلاً، عهد دول الطوائف امتداداً لعهد بني أبي عامر، وحاول أن يبين كيف أن معظم ملوك الطوائف الأوائل قد تأثروا بالمنصور بن أبي عامر (مثل بني حمود في مالقة والجزيرة الخضراء وقرطبة، وبني صمداح في ألمرية وبني الألفس في بطليوس وبني رزين في السهلة وبني ذي النون في طليطلة (5).

ويتنظر حسين مؤنس إلى عهد الطوائف بعين الماضي عند ما يهون من أمر القوى المستقلة الأصلية التي برزت خلال عهد دول الطوائف. فهو عند ما يدرس هذا العهد يهتم أساساً بتحديد أسباب انهيار دولة بني أمية ولما كان انهيار هذه الدولة ظاهرة تميزت بتطورها السريع، فيصعب علينا

(4) لقد كان اتجاه المؤرخين المعاصرين عامة، يميل إلى اعتبار عهد دول الطوائف من خلال زاوية تطلق من لبول شرعية جهام بني أمية على الأندلس كله دون غيرهم. والقد اتخذ المؤرخون الأندلسيون موقفاً مشابهاً في هذه القضية وذلك منذ القرن الخامس الهجري. فعلى سبيل المثال، لم يقبل ابن حزم تفكك الأندلس وتسميتها إلى دول الطوائف كما أنه لم يفهم هذه الظاهرة، فعبر عن غضبه في دعوى خلية الأجمة فكانت تقرأ باسم أربية خانة وهم خلف العصرى الذي انتحل شخصية هشام الثاني في إشبيلية ومحمد بن القاسم بن علي بن حمود في الجزيرة الخضراء ومحمد بن إدريس بن علي بن حمود في سبتة (ملقط المروسي، ص. 35).

(5) «معارف حول ملوك الطوائف»، صفحات 124 - 128 و 818 - 819.

تفسيرها تفسيراً مرضياً ، لأن البحث عن أسباب جديدة لانحطاط دولة بني أمية أو تطور العوامل التي ظهرت من قبل ، قد أدى إلى الاهتمام بعهد الطوائف ، ونتيجة لذلك كان إهتمام المؤرخين بعهد الطوائف محصوراً في إطار محاولتهم تسليط المزيد من الانوار على عهد بني أمية الذي سبق عهد الطوائف ، وكذلك على عهد المرابطين الذي تلاه . ولم يكن الاهتمام بدول الطوائف راجعاً بالاساس لما لهذه الفترة من أهمية في حد ذاتها .

إن تصنيف عهد بني عباد يعني إمتيازه بدرجة معينة من الالتحام ، علماً بأن التقسيم لا يمس إلا الاشياء التي تتمتع بدرجة معينة من الوحدة . وقد تطورت دولة إشبيلية الطائفية على المستوى الاجتماعي والاقتصادي والسياسي بكيفية ملتزمة ، بحيث يمكن تصور مسيرتها في إطار مرحلة الشباب والرشد والشبوخة ، رغم محدودية هذه النظرة .

والنظرة إلى تاريخ إشبيلية الذي ينقسم إلى ثلاث مراحل لها فوائد عند إعتبار سياستها الداخلية . فقد تمكنا في الفصل الاول من هذا الكتاب بفضل تركيزنا على فترة حكم كل من القاضي بن عباد والمعتضد والمعتمد من إيراد تحليل أعمق للأسباب الكامنة وراء قيام دولة بني عباد وانهارها . كما تمكنا من وضع كل حاكم في إطار بيئته بخصائصها وأوضاعها المتميزة دون أن نفعل عن إطارها الشمولي الجامع . وقد كان هذا التقسيم عملياً لأن كل حاكم طائفي عاش خلال فترة مختلفة رغم ارتباطها بالمرحلة الأخرى للتطور الداخلي لدولة إشبيلية الطائفية . أما فيما يخص السياسة الخارجية التي هي موضوع الفصل الرابع من هذا الكتاب ، فإن تقسيمنا من هذا القبيل قد يفقد طابعه العملي ، بل إنه من الأفضل إتباع الخواط العريضة للسياسة الخارجية الإشبيلية ككل ، مع تحليل لاهدافها البعيدة والقريبة

المدى ، وكذلك الوسائل المتعددة للوصول إليها والاختتام بعرض تقسيم عام للسياسة الخارجية .

وكما أن التقسيم الزمني إلى عدة قرون يعتبر أمراً مناسباً ، فإن من الملائم اختيار عهد بني عباد وعزله على مستوى مجرد ، نستطيع به حصر مجال التخصص والوصول إلى إدراك أعمق لهذا العهد . وقد كان تاريخ دولة إشبيلية الطائفية في الواقع جزء لا يتجزأ من تاريخ الأندلس خلال القرن الهجري الخامس ، حيث أننا نجد تشابهاً في الخصائص البارزة التي كانت وراءها دوانع داخلية وضغوط وتأثيرات خارجية متشابهة . إذ إذا لم تشك من إدراك طبيعة علاقة إشبيلية بالوحدات السياسية الأخرى والقوى التي حركت هذه العلاقات فسيستحيل علينا إدراك الأبعاد المختلفة لسياسة إشبيلية الخارجية .

2 - أهداف السياسة الخارجية

يتعين إدراج سياسة إشبيلية الخارجية خلال عهد بني عباد في إطار شامل للعلاقات الدولية إذا أردنا تقييم طاقنها في إطار الوحدات السياسية المحيطة بها والمجاورة لها فقيماً صحيحاً . فقد كانت إشبيلية بوصفها دولة طائفية تؤثر في مصير الوحدات السياسية الأخرى . إلا أن الاتجاه العام لسياستها الخارجية كان يتأثر باستمرار وبطريقة حاسمة ، بقوى خارجية . والنمط العام الذي نتج عن هذه الظروف يبرز قدرة إشبيلية وسيطرتها الاقتصادية والسياسية على دول الطوائف الضعيفة . كما أن إشبيلية بدورها كانت تخضع للدول الكبرى ، مستسلمة أحياناً ، وأطواراً عن قصد . وهذه

الازدواجية في سياسة إشبيلية الخارجية بمعنى تصفها من جهة وخضوعها من جهة أخرى ، تظهر معكوسة بوضوح على المستوى العسكري . فقد كانت النتائج المباشرة لهذا التناقض إيجابية ، إذ ظهرت إشبيلية بمظهر الدولة الطائفية القوية السلمية البنينا ، إلا أن التناقض والازدواجية في سياستها الخارجية ساهما في استمرار الخلل في سياستها الداخلية . ثم إن النزاع الذي نتج عن هذا التناقض ضمن نمائي الضغوط والتأثيرات الخارجية على إشبيلية من طرف وحدات سياسية قوية قد ظل غير محصور حتى وصلت ذلك الضغوط درجة لم يعد بمستطاع إشبيلية أن تواجهها أو تحد منها .

ومن أبرز خصائص السياسة الخارجية لإشبيلية عزتها السياسية . فرغم أن إشبيلية كانت تمضي إتفاقيات الصلح وتبرم الأتحاف مع ادول الصغيرة والكبيرة التي كانت لها صلوات معها فمن ذلك الروابط ضلت هامشية ، إذ أن تلك الأتحاف والتكتلات لم تكن إلا إجراءات مؤقتة بغية الحصول على أهداف معينة . وكانت سياسة إشبيلية الخارجية قائمة على فكرة العداة السائد في علاقاتها مع جميع الوحدات السياسية الأخرى . ورغم أن إشبيلية كانت في أول الامر مهددة من جانب ملوك الطوائف بقرطبة ومالقة وبطليوس ، فقد ردت بعداء عنيف على ذلك التهديدات خلال الفترة الأولى من عهد انطوائف حتى امتد ليشمل دول الطوائف كافة ، وايصبح جزء لا يتجزأ من سياستها الخارجية ويبرز نهجها المستمر على دول الطوائف الضعيفة ، مع أن إتفاقياتها ومعاملاتها مع الدول الكبرى كانت بدافع المصلحة . أما على المستوى المذهبي ، فقد كانت سياسة إشبيلية الخارجية تجاه الدول الطائفية متصفة بالحياد إذا لم تتصف بالعداء . بل إنها غفلت عن الروابط التي كانت تربطها بالمناطق الأندلسية الأخرى من الناحية السياسية

والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وجعلت المحافظة على استقلالها الذاتي وتوسيعها العسكري والاقليمي هدفها الاساسي في صياغة سياستها الخارجية . ومن أهم الاسباب التي أدت إلى هذه الوضعية اعتقاد الاشيبليين الخاطي . بتفوقهم العسكري على دول الطوائف الاخرى ، مع العلم بأنه كان نفوذاً محدوداً ، قد يمكنهم من قهر وإبتلاع ذلك الدول الواحدة بعد الاخرى (6) . ونتج عن ذلك أن إشبيلية لم تحاول أبداً إستئالة الدول الطائفية الاخرى بوسائل سلمية وجعلها نسيج في فلكها . بل ربما كان بإمكان مثل تلك السياسة أن تيسر لإشبيلية توحيد صفوف تلك الدول وقيادتها . إلا أن إشبيلية كانت بدل ذلك تفرض قونها السياسية والعسكرية بنية معو الدول الطائفية الاخرى . وكانت هذه السياسة تجبر ملوك الطوائف على المقاومة حفاظاً على وجودهم ، ناظرين إلى إشبيلية بحذر وخوف وعدا . ولذلك يجب وضع النتائج اسلبية في المعنى البعيد لسياسة إشبيلية الخارجية في إطار ارتباط مصيرها بالدول الطائفية الاخرى وبالصلة بين الامت العام للطوائف الاخرى ، مجتمعة ، إزاء الشمال المسيحي والمغرب .

وفشلت إشبيلية والدول الطائفية الاخرى في تدارك هذه الوضعية ، فكان الثمن المؤدى عن هذا القصور في الرؤية هو نهاية الوجود السياسي

(6) إلا أن وعي بعض ملوك الطوائف بالنتائج الوخيمة التي نسيبت عن التوازن الدقيق في القرة بين دول الطوائف القوية كان وهياً تاماً . فعلى سبيل المثال ، كان الامير عبد الله بن بلقين حاكم غرناطة يرى كيف استغل ألفونسو السادس هذه الوضعية لصالحه («كتاب التيهان» ، ص . 69) .

والاقتصادي لجميع دول الطوائف ، باستثناء سرقسطة . فإذا كان الاتجاه العام لسياسة إشبيلية الخارجية من سنة 414 هـ . إلى 484 هـ . (1023 م . إلى 1091 م .) واضحاً ومتسلسلاً فإنه كان يحمل في النهاية بذور الانهيار . فقد كانت أهداف سياسة إشبيلية الخارجية ، بدورها ، واضحة عند الذين باسروها ، إلا أنها كانت محدودة باعتبار مناصها ومنازتها على المدى البعيد . فقد كانت الاهداف البعيدة المدى تختلط في بعض الاحيان بالمطامح العاجلة ، وكان من المسير التمييز بين الوسيلة والغاية . لقد كانت السياسة الخارجية لدول الطوائف تنقسم بخلايين : فقد نفاذت ، أولاً ، عن مصالحها العليا التي تتجلى في صيانة مستقبلها السياسي والاقتصادي وإنعاشه . ومن العبث أن ننظر أكثر من هذا من دول الطوائف متى اعتبرنا أن وجودها نفسه كان يحمل بذور الانقسام . ثم إن دول الطوائف لم تكن تتخذ المبادرة إلا نادراً . فبدلاً من أن تخطط سياستها الخارجية بناء على خطة مدروسة ومحللة ، نجد أن سياستها تلك كانت انتهائية في أساسها . وكثيراً ما كانت تجد نفسها تنفعل لمجرى التطورات المفروضة عليها من طرف قوى خارجية . وإن هذه الاوضاع التي اتصفت بها السياسة الخارجية لاقوى دول الطوائف ، ومنها إشبيلية ، نتجت عن البيئة السياسية العامة التي سيطرت على العلاقات السياسية في الاندلس ، عامة ، خلال القرن الهجري الخامس .

لقد كان إخضاع واجتلاخ الدول الطائفية الاخرى في طليعة الاهداف الرئيسية لسياسة إشبيلية الخارجية . فقد بذلت جهوداً مكثفة ومتصلة لتحقيق هذه الغاية ، وباشرت سياستها التهجيمية على الطوائف الاخرى التي كانت تعتبرها فريسة مشروعة . فقد اعتبرت إشبيلية الضعف العسكري والاقتصادي والاجتماعي النسبي لدول الطوائف عاملاً لصالحها ، فاستنتجت من ذلك ،

أولاً ، أن إخضاع الجيش الأشبيلي لتلك الدول الطائفية لم يكن إلا أمراً موقوفاً . ثم إن الدول الطائفية الأخرى كانت مصدراً للغنائم عند إشبيلية في المقام الثاني . وفي إطار الاحتكام إلى القوة الذي أصبح أساساً للعلاقات بين الدول الطائفية في الأندلس أمسى الحرص على الظفر بالغنيمة أمراً عادياً ودافعاً فعالاً لملء الفراغ بين الوحدات السياسية القوية والضعيفة عن طريق امتصاص الأولى لثغرات متزايدة من دخل الأخيرة . فقد أصبحت الغنيمة مورداً هاماً لتسيير الجيش الأشبيلي من جهة ، وساهمت من جهة أخرى في تلبية مطالب ألفونسو السادس للزيادة في قدر الجزية المفروضة على إشبيلية التي قررت توسيع أراضيها وتنمية عدد رعاياها نتيجة لذلك ، سعواً إلى فرض مركزها كدولة طائفية قوية في الأندلس . وكانت هناك أسباب غير مادية تفسر سياسة إشبيلية المعادية لدول الطوائف . فقد كان الحلم الأكبر الذي يساور مخيلة كل من المعتضد بن عباد والمعتضد بن عباد هو بسط سيطرتهم على قرطبة . وقد تمكن المعتضد في سنة 468 هـ . / 1070 م . (7) من تحقيق أمنيته . وفي هذا الظرف كانت مدينة قرطبة وضواحيها قد خربت من طرف بعض الجماعات . ولم تكن قرطبة ، اقتصادياً ، أكثر إغراء من باقي الدول الطائفية الغنية الأخرى مثل طليطلة أو بطليوس . فترحيب سكان قرطبة بالمعتضد لم يكن راجعاً إلا لكونه فرض حكمه بالقوة . أما عباد ، ابن المعتضد ، فقد قتل بتعريض من المأمون ابن ذي النون عند ما احتل ابن عكاشة قرطبة (8) . وكان المعتضد قد

(7) «الذخيرة» ، القسم 1 ج 2 ، ص 610 .

(8) «الذخيرة» ، القسم 2 ج 1 ، ص 270 - 271 .

فقد إنته إسماصيل في محاولة فاشلة لاحتلال قرطبة . ويجب التذكير في هذا السياق بأن السبب المباشر لاتخاذ المعتضد قراراً يقتل إبنه المعروف بالنصور هو رفضه في عام 460 هـ / 1068 م . قيادة الجيش الاشبيلي في حملة عسكرية على قرطبة ليقينه بمجز ذلك الجيش عن أداء تلك المهمة (9) . ورغم العقبات البديهة والمراقيل المتعددة اضم قرطبة فقد كان احتلالها في اعتبار المعتضد والمعتمد بين المرامي الاولية لسياستهما الساعية إلى رفع منزلتهما . فلقد كانت أهمية قرطبة تفوق ما كانت تمثله . مادياً . بوصفها رمزاً لوحدة الاندلس . عند ما كانت العاصمة على عهد دولة بني أمية .

وكانت لسياسة إشبيلية الرامية إلى ضم أكبر عدد ممكن من دول الطوائف تأثيرات مباشرة في سياستها الداخلية . ومن أهم المؤثرات في تطبيق هذه السياسة السعي في الحصول على المنافع وإدراجها في المدى القريب . فقد كانت المكاسب المادية . كالغنائم والاحتلال . مقربة جداً . ثم إن أخطار مثل هذه السياسة كانت هزيلة بالنسبة لإشبيلية التي أصبحت بمثابة العملاق وسط الدول الطائفية الضعيفة . فعند ما تمكن القاضي ردا بن عباد من توطيد حكمه على إشبيلية كانت معظم دول الطوائف تنقصها القدرة ونعوزها الإرادة لتشن هجومات مضادة ناجحة . ثم إن نمو الجيش وتعزيزه كانا في الظاهر راجعين إلى سياسة إشبيلية التوسعية التي استفادت منها استفادة مباشرة . وقد كان الحاكم هو المستفيد الأول من هذه السياسة باعتبار مكانته البارزة في النظام الاشبيلي . أما المضاعفات الحتمية في المدى

(8) «الذخيرة» القسم 8 ج 1 صفحات 137 - 141 .

البعيد لهذه السياسة فقد كان معظم الناس عندها غافلين . وكان صب الحرب المستمرة على المجتمع الاشبيلي مرهقاً . فلم يكن هذا المجتمع ، أصلاً ، مجتمعاً حرجياً كما كان عليه الامر في بعض المجتمعات المجاورة . كمجتمع قشتالة مثلاً . وقد كان ذلك العبء المرهق ، في نهاية المطاف ، حاجزاً منيعاً في وجه المجتمع الاشبيلي . فانتصارات إشبيلية على الدول الطائفية الاخرى كانت رغم مظهرها الخارجي المذهل تخفي في طياتها عواقب استنزافية في المعنى البعيد . ولذلك ذراها لم تهتم الاهتمام اللازم بأمارات خطر العبء الاقتصادي الذي تحمله إشبيلية بأداء الجزية . ولم تكن السياسة التوسعية لاشبيلية إزاء الدول الطائفية الاخرى مغطلة باستثناءات إلا مؤقتاً ولاسباب مصلحة وتكتيكية بصرف النظر عن الاعتبارات المذهبية . ويبدو أن المعيار الوحيد الذي يمكن الاخذ به بكيفية ثابتة لتفسير فلسفة سلوك إشبيلية مع دول الطوائف الاخرى هو العكس المباشر والمصلحة الذاتية . وكثيراً ما كان هذا الهدف يقوم على غمط حقوق الاطراف الاخرى . ونفس مصالح إشبيلية على المعنى البعيد .

وكان إنعدام الوعي الجماعي العميق مع العيانات السياسية الاخرى عاملاً أساسياً في فشل إشبيلية في التعاون مع الطوائف الاخرى وقيادتها في جبهة مناصرة ، بل إن إشبيلية رغبت بدل ذلك في بسط سيطرتها بالقوة عليها . وكان حكام بني عباد يفتخرون إلى مذهب في الحكم متين تعتمد الدولة . فكثيراً ما كانت صلاتهم بالدول الطائفية الاخرى قائمة على موافق متناقضة . فقد كانت إشبيلية كبقية الدول الطائفية دولة إسلامية . إلا أن الطريقة الحقيقية التي كانت تباشر بها تلك العلاقات كانت تتعارض في أغلب الاحيان مع المبادئ الاسلامية الاساسية تعارضاً جلياً . فمن المبادئ

الجوهرية في القانون الدولي الاسلامي المعروف بالسير لدى الفقهاء بتعين إنتهاج علاقات مختلفة مع الدول في أوقات الحرب وأوقات السلم . ومع ذلك فإن علاقات إشبيلية بالدول الطائفية لم تراخ ذلك . مثال ذلك أن المعتضد لم يقتل ملوك الطوائف الحاكميين على أركش ومورورو في فترة السلم فحسب ، بل فعل ذلك وهم حلفاء له (10) . واستغرب الامير عبد الله بن بلقين ، حاكم قرطبة ، قيام الجيش الاشبيلي المتحالف مع الجيش القشتالي بحملات عسكرية داخل اراضيه دون استفزازه لهما وبدون أن يكون لدهما أي مبرر مقبول (11) . واحتل الجيش الاشبيلي قرطبة رغم العلاقات السلمية الموجودة بينهما . وكان الجيش الاشبيلي قد جاء إلى قرطبة في أول الامر لمساعد أهلها على الدفاع عن أنفسهم من هجومات الأمون بن ثبي النون ، غير أنه احتل قرطبة بعد قيامه بالمهمة الاولى (12) .

ويصعب التوفيق بين مبادئ القانون الدولي الاسلامي ومخالفة إشبيلية لملك مسيحي ومناصرته على ملك طايفي مسلم . وكان المعتمد بن عباد واعياً لمخالفته القانون الدولي الاسلامي عند ما ضم قواته لجيش ألفونسو السادس ، ففاجأ الامير عبد الله بن بلقين الذي لم يكن يتوقع انضمام جيش إسلامي إلى صفوف هدوه ألفونسو . وقد عبر الامير عن هذا الرأي بوضوح (13)

(10) «البيان المغرب» . ج . 5 . صفحات 295 . 296 وه أمسال الاعلام» . ص . 181 وه الصبر» ج 4 . ص . 187 .

(11) أنظر «كتاب التبيان» . صفحات 72 - 76 .

(12) «الذخيرة» . القسم 1 . ج . 2 . صفحات 610 - 611 .

(13) «كتاب التبيان» . ص . 69 .

ولو أنه كان مخطئاً في تقديره ، فأتى عن ذلك الخطأ ثمناً باهضاً عند ما فقد حصن إسطبة (Estepe) وحصن مارنش (Marto) ، بالإضافة إلى ارتفاع حصنة الجزية التي كان يؤديها لالفونسو (14) .

وعلاوة على ذلك فقد كان الاحساس بالتضامن العرقي غير متوفر لدى إشبيلية . فنحن نجد أن حكام بني عباد قد حاربوا ملوكاً للطوائف من أصول مختلفة ، نذكر من أعدائهم على سبيل المثال بني جهور ، حكام قرطبة العرب الانحياض ، وبني الانطس حكام بطليوس المرهون . أما من الحكام البربر الذين استخدم بهم بنو عباد فنذكر بني زيري حكام غرناطة ، وبني حمود حكام قرطبة ، قبل حكم بني جهور لها ، ومالقة والجزيرة الخضراء . ومع ذلك لم يكن الانتماء العرقي والاحساس الواعي به ، في وقت من الاوقات ، سبباً من الاسباب الرئيسية لتطاحن دول الطوائف . من ذلك أن حاكم قرمونة البربري كان حليفاً للقاضي بن عباد ، ثم أصبح عدواً للمعتضد بن عباد . لقد كانت الاحلاف تبرم وتكث بسهولة في هذه الفترة ، ويبدو من البحث أن تبحث عن نمط عرقي لتحالفات دول الطوائف ، فكيف يمكن أن نعتبر عداء دولة غرناطة الطائفية برئاسة الامير عبد الله بن بلقين لمالقة التي كان أمرها لاخته تميم . بل أدت نضع هذه الحالة في تصورنا لتحالفات القائمة على العصبية العرقية ؟ وقد كانت إشبيلية معادية أيضاً للدول الطائفية بصرف النظر عن حجمها وقوتها . فمن الاعداء الالقاء

(14) نفس المصدر، صفتا 76 - 78 .

الدائمين لاشبيلية دول طائفية مثل بطليوس وطليطلة . وكانت إشبيلية تصعد بدول طائفية دونها قوة مثل غرناطة ومالقة ، كما كانت دول الطوائف الصغرى ، مثل مرورو وأركش من ضحايا إشبيلية . ولم تنج من ذلك أية دولة طائفية باعتبار أن سكانها هانوا الكثير من الهجمات العسكرية ، رغم ما كان لاوائك السكان من روابط مشتركة مع سكان دولة إشبيلية الطائفية . أما التفريق بين الحكام والرعية في دول الطوائف فلم يؤخذ قط يمين الاعتبار ، بل إن هذا التصور لم يكن موجوداً . فما كان للجيش الإشبيلي في حالة وجوده أن يهاجم حصن غرناطة وينهب حقولها ، متحالفاً مع جيش ألفونسو السادس .

لقد كانت السياسة الخارجية لبني عباد ، كما كان شأن سياستهم الداخلية ، مبنية على القوة لسوء استعمالها . ولعل الاعتماد المفرط على القوة واعتبارها ركناً أساسياً للنظام بأهمه يفسر أحسن من غيره نجاح بني عباد في الأندلس ، كما يفسر نهايتهم المحتومة أيضاً .

ومن الأهداف الرئيسية لسياسة إشبيلية الخارجية تعزيز وبسط سيادتها لتقوية سلطتها على الدول الطائفية الأخرى والحصول على الاعتراف الشامل منها . وقد واجهت إشبيلية في بداية محاولتها الحصول على الاعتراف الخارجي العام عراقيل عظيمة تمكنت من التغلب عليها تدريجياً أثناء حكم القاضي بن عباد في الفترة المتراوحة بين سنتي 414 و 431 هـ . (1028 الى 1089 م .) واستقرار الأمن في إشبيلية والتسليم بسيادتها من طرف الأندلسيين تواصل عظم عدوانها على الطوائف الأخرى حتى أصبح ذلك العداء هدفاً في حد ذاته . أما القوى التي ساهمت في تحقيق ذلك الهدف فقد ظلت مكيوتة وبجري استخدامها للزيادة في حجم الامتياز والمركز اللذين حققتهما إشبيلية .

مالك ومذهبه . ويعطي مالك أهل المدينة مقاماً خاصاً كما يتضح من رسالته إلى الليث بن سعد (99) . ويخصص القاضي عياض عدة أقسام من كتابه للدفاع عن الأولوية التي يجب إعطاؤها لأهل المدينة . حيث أن هذا المبدأ عنصر انفرد به المذهب المالكي .

أما ثقافة المفكرين المالكيين فكانت خصبة . ثبت ذلك وفرة الأدب المالكي الذي انتشر بالاندلس خلال القرن الخامس الهجري . فقد كان كتاب موطأ مالك بن أنس والدروس التي أخذها تلامذته عنه والمعروفة بالمدونات (كمدونة ابن القاسم) مراجع أساسية للفقهاء المالكيين بالاندلس والمغرب . ثم إن هناك أمثلة لاشبيليين ألفوا دراسات حول مواضيع عديدة تتعلق بمذهب مالك وبالفقهاء المالكيين البارزين وبموطأ مالك . وقد قدم ابن بشكوال المؤلفين الاشبيليين الذين درسوا هذه المواضيع وهم :

- (1) أبو عمر أحمد القاضي الأموي المتوفى سنة 420 هـ . / 1029 م . (100).
- (2) أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن حارث (377 هـ . / 987 م . - 421 هـ . / 1030 م .) (101) .

(99) يوجد النص الكامل لهذه الرسالة في كتاب «ترتيب المدارك» ج 1 . ص 68 . وربما حاول القاضي عياض أن يؤكد صحة ما ادعاه الإمام مالك بشأن أهل المدينة فنقل جواب الليث بن سعد («ترتيب المدارك» ج 1 . ص 44) .

(100) الأموي هو مؤلف كتاب «التحقيق في سنين» و «المحتوى» (في 5 أجزاء) و «كتاب الصلاة» ج 1 . ص 44 .

(101) انطرت هو مؤلف كتاب «الانتفا» في أربعة أسفار (نفس المصدر ، ص 104) .

الخشنة . إلى إضعاف ثقة الدول الطائفية بها . وكان الهدف الأول من تقوية سلطة إشبيلية وسيادتها لا يقتصر على حدود معينة . بل أصبح شعارها الشاغل دلاً من إنتاجها لسياسة واضحة تستهدف منافع بعيدة المدى . بل كان من المحتمل أن تصبح الرزاق والحكمة والشرعية من الخصائص التي تميز تلك السياسة التي لم يسطر الاعتبار الكافي لاهدافها ونجاحها في المدى البعيد . فجاء تطور الأحداث ليبرهن على أن شكل الاعتراف الذي رغبت فيه إشبيلية بإنتاج مفرد كان في نهاية الامر مناهضاً لمصالحها الرئيسية وهي العمل من أجل البقاء . ومع ذلك فإن شرعية مطالبة إشبيلية بالاعتراف الخارجي أمر غير مشكوك فيه ، بل إن الطموح المفرط الذي غذاه كتاب يساعد سياسة إشبيلية الخارجية والاسلوب السطحي الذي استعمل في تنفيذها . فأدى في النهاية إلى التقليل من قيمتها .

3 - دور الحرب في سياسة إشبيلية الخارجية

(1) الحملات العسكرية التخريبية

كان التعسف العسكري وسيلة مباشرة وفعالة في تطبيق سياسة إشبيلية الخارجية خلال الفترة التي لم تتردد فيها الدول الطائفية القوية في فرض نفوذها على الطوائف المستضعفة . وقد اعتمدت هذه الوسيلة من طرف دول الطوائف عموماً ، عندما اعتمدها ألفونسو السادس ويوسف بن تاشفين أيضاً . واتخذ التعسف أشكالاً مختلفة باختلاف الظروف والامتناع . وبصرف النظر عن تعقد تلك الظروف أو بساطتها الظاهرية فقد ظل التعسف العسكري أداة حيوية وجوهرية لتنفيذ السياسة الخارجية .

واتخذت الحروب في الأندلس خلال القرن العجبري الخامس أشكالا عدة ، منها الإغارات التخريبية التي كانت تنظم كحملات عسكرية على الدول الطائفية الضعيفة ، بهدفين ، أولهما كسب المنافع المادية ، وثانيهما تكثير التفاوت في القوة بين المعتدي والمعتدى عليه . وظلت إشبيلية طيلة عهد بني صباد توجه حملاتها العسكرية لإحلال الدمار بأراضي الطوائف الضعيفة . بل وحتى بأراضي الدول التي كانت تنازعها الهيمنة على الأندلس . وفي نفس الوقت كانت أراضي إشبيلية نفسها معرضة لحملات ألفونسو السادس العسكرية . أما في الأطراف الشرقية من الأندلس فقد كانت الغارات التي أهددها « رودريغو ديبياث السيد القمباطور » تماثل حملات ألفونسو نمطاً وهدفاً ، ولو أنها كانت على مستوى أدنى . وكثيراً ما كانت هذه الرسائل العسكرية تتفاوت في حجمها حسب أهمية الغارات وأهدافها العاجلة . ولو أن شكلها وكيفية تنظيمها كانا متشابهين .

وكان عنصر المفاجأة شرطاً أساسياً لنجاح تلك الإغارات ، كما كانت السرعة في الانجاز أمراً هاماً للتمكن من مباغته العدو . وقد كانت هذه الحملات تتوخى عدم مواجهة العدو ، بقدر ما تستهدف ضربه والتمكن من الفرار متى انعدم توازن القوى ، دون إبعاله لتنظيم هجوم مضاد . ولما كانت المدن محصنة بأسوار وقائية . فقد أصبحت المناطق القروية الهدف الأول لتلك الهجومات ، نشاع التخريب وإفساد الغنل والمحاصيل . وساهمت الهجومات السريعة والمباغثة في تيسير إنسحاب الرسائل العسكرية ونقل الغنائم قبل أن يصبح العدو قادراً على تنظيم صفوفه وإعداد مدته .

ومن الخصائص الأساسية الأخرى لنجاح الحملات سرعتها الفائقة وقدرتها العالية على القيام بهجومات واسعة النطاق . وقد استطاعت الرسائل

العسكرية التي كان يبعثها المنصور بن أبي عامر، كل عام، أواخر القرن الهجري الرابع، أتت تتقلب على جميع المصاعب الجغرافية حتى وصلت ضريانها إلى «سانتياغو» (Santiago de Compostela). أما الرسائل التي نظمها ألفونسو السادس أو رودريغو ديباث الملقب بالسيد، فقد استهدفت النهب في أراضي كل من بلنسية وداقية وطرطوشة وغرناطة وطابطة وإشبيلية إلخ (15) أما الميزة الخاصة الناتجة عن السرعة الفائقة في الحركة والقدرة الفائقة على الهجوم عند الرسائل العسكرية فتكمن في أنها استطاعت إصابة التروس.

ولم يتمكن أحد من تحدي حملات ألفونسو داخل أراضي العديد من دول الطوائف، فكانت تلحق أضراراً كبيرة بفلاحاتها. وقد كان هدفها الحقيقي الأول شن حرب إقتصادية على دول الطوائف. واتخذ ألفونسو السادس تلك الحملات وسيلة لإبراز قوته والسعي لتحقيق هدفه النهائي الذي هو تهريب دول الطوائف وإرغامها، تباعاً، على الخضوع لمطالبه المختلفة كأداء الجزية كل سنة. وقد عبر عبد الله بن بلقين، حاكم غرناطة، مراراً، في مذكراته، عن الضغوط النفسية التي مارسها ألفونسو على ملوك الطوائف (16).

وقد أبرزت الحملات العسكرية إنعدام التوازن في القوة بين الطرفين المتنازعين ومقدرة الجانب الأقوى على استغلال عجز الجانب الضعيف من

(15) على سبيل المثال أنظر كتاب «تاريخ روميروكي» ص 18 - 19 وكتاب «أول تاريخ عام لإسبانيا» ج. 2 صفحات 597 - 598 و 562.
(16) «كتاب التبيان» صفحات 72 - 74 و 122 - 126.

حماية أراضيه وصيانة ممتلكاته . وأدى هذا التفاوت في القوة إلى إنعدام مقاومة فعالة . بل إلى العجز عن اتخاذ تدابير ضد الغازي . وقد ضاقت لهذه البعثات العسكرية عوائد مضمونة لأن أخطار وقوع الحوادث الدادية كانت متعددة . بينما كان الحاسب في معظم الأحيان مضموناً فلم يكن بمستطاع الأمير عبد الله بن بلقين أن يواجه أو يصد حملات ألفونسو السادس والمعتمد بن عباد على أراضي غرناطة ، ولم يكن بمقدوره أيضاً أن يرد عليها بالمثل (17) . بل إن الجيش الأشبيني وهو في أوج عظمته وقوته لم يتمكن من تنظيم حملات إنتقامية من القوات التي بعثها ألفونسو إلى الأراضي الأشبيلية بعد رفض المعتمد لانذاره النهائي بتسليم إشبيلية بدون قيد أو شرط (18) . ونلاحظ من الأمثلة المذكورة ، وغيرها كثير . أن الإرساليات العسكرية إستطاعت أن تجني أقصى ما يمكن إقتطافه من فئار دون أن تؤدي أضرارها إلى نتائج خطيرة ويمكن اعتبار هذه الحالة ، دون شك ، منصراً رئيسياً ساهم في تشجيع استمرار هذا النمط الحربي الذي يمكن تقدير مخاطره المباشرة بسهولة .

(2) - الحروب التوسعية التقليدية

كانت الحرب التوسعية المنظمة أبرز الطرائق التقليدية التي اعتمدها إشبيلية لتحقيق أقصى أهداف سياستها الخارجية وهو ضم أكبر عدد من

(17) نفس المصدر ، صفحات 70 - 71 و 74 - 75 .

(18) « العزل البرهية » ، صفحات 28 - 29 .

دول الطوائف وإدراجها ضمن حدودها . فعند ما سحان الجيش الاشبيلي بهاجم دولة طائفية كان عادة يواجه في ميدان القتال تجنباً لوقوع خسائر مادية، كثيراً ما كانت تحدث عند ما نجد الجيوش الهاجمة الحرية الكاملة المطلقة في التنقل داخل أراضي العدو . ولما كانت قوة الجيش الاشبيلي تفوق قوة جيوش الطوائف الضعيفة فإن هذه الجيوش كانت تلجأ عادة إلى حصونها أو إلى مدنهم المسورة فتجمل الجيش الاشبيلي أمام اخترايت : إما محاصرتها وإما تخريب المناطق القروية المجاورة لها قبل جمع الغنائم والعودة إلى إشبيلية .

وعتيراً ما كان الموقف الهجومي لجيش إشبيلية يساعده على الانتصار ، ولكن نجاحه كان يواجه عقبتين خطيرتين . مما أدى إلى إرهاب إشبيلية بتكاليف مضية في محاولاتها لضم الحصون والمدن والأراضي التي احتلتها . فأما العقبة الأولى التي واجهت الجيش الاشبيلي فكانت ذات طابع إجتماعي وجغرافي . فقد كان الاشبيليون يحاربون في مناطق غريبة عنهم ويعتبرون سكان دول الطوائف المفتوحة شعباً مغلوباً ، ونكبد الجيش الاشبيلي إحدى هزائمه الكبرى في بطليوس حيث كان للعوامل الجغرافية دور بارز في تقرير نتيجة مواجهته لجيش المظفر بن الافطس (19) . أما العقبة الثانية التي كانت تفوق النجاح الكامل لقوات إشبيلية فتتمثل في أن الأطراف

(19) هاجمت القوات البلبوسية الجيش الاشبيلي فجاءه عند مروره بواد فألحقت به أضراراً عظيمة ولم تستطع سوى مجموعة صغيرة منه العروب إلى إشبيلية عبر أراضي العدو (الذخيرة ١٠٠ القسم ٢ ج ١ ص ٢٢) .

المعرضة لهجوماتها كانت تعمل على إكتساب مساعدة أطراف أخرى ، الامر الذي كان يؤثر في ميزان القوى فأثيراً مضاداً لاشييلية . ومن الامثلة البارزة نجاح الجيش الاشيلي في احتلال مالقة أثناء حكم المعتضد ، ثم إنكساره بعد وصول رجال بادس بن زهري ، حاكم مالقة آنذاك ، لنجدة المرتزقة الافارقة القلائل الذين صمدوا في مواجهة الاشيليين (20) .

وظلت المواجهة مع الدول الطائفية القوية ، إلى سقوط قرطبة في يد المعتضد سنة 468 هـ . / 1070 م تمتص أكبر قدر من طاقات إشبيلية المسخرة لتحقيق سياستها الخارجية فلم تتردد إشبيلية في مواجهة جيوش أقوى ملوك الطوائف ، كبنو الافطس ، حكام بطليوس ، وبنو ذي النون حكام طليطلة ، وبنو جهور ، حكام قرطبة ، وبنو زهري ، حكام مالقة وضرناطة ومن المستغرب أن الجيش الاشيلي لم ينافس ألفونسو السادس وغيره من الملوك والنزهاء المسيحيين ، بل انتهج سياسة عسكرية إزاء دول الطوائف الأخرى بتشجيع ومساندة ملك قشتالة نفسه . وهكذا نرى أن تعسف الجيش الاشيلي ضد الطوائف القوية لا يعني تفوقه العسكري المطلق ، إذ أنها لم تكن مستقلة إستقلالاً تاماً ، وكانت تعمل داخل حدود سبق للحاكم القشتالي أن وافق عليها ، فكانت سياسة عدم التدخل في عمليات الجيش الاشيلي من طرف ألفونسو السادس تخدم مصالحه البعيدة المدى .

وتواصل تعسف الجيش الاشيلي ضد الدول الطائفية القوية بالرغم من بعض الغشل الذي أصابه في هذا المجال ، إذ فشل في ضم مالقة وطلطلة

(20) ديس المصدر ، صفتا 49 - 50 .

وبطليوس لعوامل تقنية صرف . فقد كانت الاسلحة والطرائق والمناهج العسكرية التي اهتمدها الجيش الاشبيلي مشابهة ، عموماً ، التي اتخذتها جيوش الطوائف الاخرى ، ثم إن إشبيلية لم تكن تتوفر على قواد بارزين بمقارنتهم مع غيرهم من القواد الاندلسيين . بل إن الجيش الاشبيلي كان مؤلفاً بالدرجة الاولى من المرتزقة والعبيد الذين لم يكونوا يحاربون من أجل مبادئ ، يؤمنون بها . فكانت تنقصهم المعنويات العالية ذات الاثر الكبير في حسم المعارك . ويقضي التأويل المنطقي لانخاض إشبيلية موقفاً هجوماً إزاء الطوائف القوية بإرجاع أسبابه إلى عوامل سياسية واقتصادية بالدرجة الاولى ، إذ كانت مساندة الحاكم الاشبيلي لتلك الحروب تساهم في تقوية سمعته بالداخل وإبعاد صيته في الخارج على السواء . وكثيراً ما وجد حكام إشبيلية أنفسهم مضطرين إلى شن الحروب على الطوائف الاخرى ، فكانت الغنائم ، بالإضافة إلى الضرائب ، مصدراً رئيسياً لتسديد الجزية لقشتالة . وإذا استثنينا سقوط طليطلة عام 478 هـ / 1085 م ومعركة الزلاقة سنة 479 هـ / 1086 م . ، وهما الحدثان اللذان زعزعت نتائجهما توازن العرش في الانداس ، فإن المؤرخين المعاصرين ومن جاءوا بعدهم لم يولوا اهتماماً كبيراً لمعارك إشبيلية ، بل عالجوها بتصرف وبدون إعجاب . ومع ذلك فإن أهمية تلك المعارك تبرز بحكم ارتباطها بتاريخ إشبيلية كما اعترف بذلك عموم المؤرخين . وقد كانت قرطبة وبطليوس ، ضمن الطوائف القوية ، هدفين رئيسيين في سياسة إشبيلية ، الخارجية . كانت مواجهة المعتمد للمأمون بن هني النون مرتبطة إلى حد بعيد بالسيادة على قرطبة التي كانت قيمتها الرمزية محوراً لمطامح أبرز ملوك الطوائف . وقد كان عداؤ المعتمد العميق للمظفر بن الافطس ، حاكم بطليوس ، مؤججاً لرغبته وتطلعه إلى ضم الدول الطائفية

المنافسة والمجاورة له. ويرجع منشأ العداوة إلى فترة سابقة لولاية المعتضد وبلاخط بعض التناقض في الانتصار الظاهر للجيش الأشبيلي على الطوائف الأخرى. إذ أن الطاقة البشرية والموارد المالية المسخرة كانت تسهم بطريقة غير مباشرة في إضعاف قدرة إشبيلية وصمودها أمام هجومات ومطالب قشتالة أولاً. والمغرب من بعدها.

وبرزت الانقسامات الداخلية بين سكان باجة أثناء الفتنة التي أصابت مدينتهم فخرّبوها تخريباً تاماً شمل قسمها القديم وقسمها الحديث على السواء (21). وكان من شأن تخريب باجة على ذلك النحو المفاجيء أن أيقظ مطامح القاضي ابن عباد. والمنصور عبد الله بن محمد بن مسلمة بن الألفس، ورغبة كل منهما في الاستيلاء عليها. قبلت قوة اصطداماتهما أبعداً لم تكن متوقعة. وفي سنة 421 هـ. (1030 م.) بعث القاضي بن عباد جيشه إلى باجة، بمصاحبة محمد بن عبد الله البرزالي، حاكم قرمونة. وأميرة ابنه إسماعيل. وما أن شرعوا في إعادة بناء المدينة حتى هاجمها جيش المظفر بن الألفس، حاكم بطليوس. وملك طائفي آخر هو ابن طيفور (22). وأعاد الجيش الأشبيلي تنظيم أحواله فشن هجوماً مضاداً أدى إلى تخريب مناطق شاسعة بلغت حدود باجة (Eborac) وأطرافاً أخرى في غرب الأندلس، وحقق في النهاية إنتصاراً حاسماً. وقد أرسل الأسرى إلى إشبيلية، ومنهم موظفون سامون وأخ لابن طيفور صلب بها، كما أخذ حاكم قرمونة المظفر بن الألفس أسيراً (23). ووجد حاكم بطليوس نفسه في موقف

(21) نفس المصدر، ص. 21.

(22) نفس المصدر، و«البيان المغرب»، ج. 8، ص. 202.

(23) نفس المصدر.

خرج عند ما وقع ابنه أسيراً ، حيث لم يكن بإمكانه أن يتحدى منافسيه ، فأطلق المظفر في ربيع الأول من عام 421 هـ . / مارس 1030 م) . إلا أن أثر الصدمة النفسية والاهانة الناجمة عن هزيمته وسجنه كانت لهما آثار سلبية على العلاقات بين بطليوس وإشبيلية (24)

وفي سنة 425 هـ . / 1033 م . بعث انقاضي بن عباد ابنه إسماعيل على رأس كتيبة متوجهة إلى جلافة ، وبينما كانت الكتيبة بأراضي بطليوس تربص بها المظفر . رئيس جيشها (26) ، فاضطر قسم من الجيش الأشبيلي إلى الاستسلام . إلا أن إسماعيل بن عباد وبعض جنوده تمكنوا من الفرار والالتحاق بأشونة (لشيونة) بعد اجتياز مصاصب كبيرة ، منها لجوهم إلى قتل خيولهم وأماكنها وطارد أهل بطليوس رجال إسماعيل فكانت الخسائر التي أوقعها بهم جنود المظفر ، يعززم جنود نصارى مرتفعة (26) . فهل كان لاصطدام الجيش الأشبيلي بعيش بطليوس سنة 421 هـ . / 1030 م . وعام 425 هـ . / 1033 م فأثير في نفس المعتضد بن عباد ، وبالتالي انعكاسات على نظراته وعلاقاته مع بطليوس بعد توليه الحكم سنة 438 هـ / 1041 م . ؟ يختار الإنسان في الإجابة عن هذا السؤال . فمن الواضح أن إسماعيل ، لا عبادا الذي اتخذ فيما بعد لقب المعتضد ، هو الذي قاد الجيش الأشبيلي في حملته على ابن الأندلس في باجة ثم في

(24) « الفخيرة » ، القسم 2 ، ج . 1 ، صفحات 90 - 93 .

(25) نفس المصدر و « البيان المغرب » ، ج . 3 ، ص . 203 .

(26) نفس المصدر .

بطليوس . ولا نعرف بنفس القدر من الوضوح هل كان عباد حاضراً أو غائباً في الاصطدامين المذكورين . علماً بأن المصادر لا نورد لذلك ذكراً . فعند ما أطلق محمد البرزالي سراح المظفر في عام 421 هـ / 1030 م . كان عمر عباد يناهز أربعة عشر عاماً فقد سبق لآبيه في سنة 414 هـ / 1023 م . أن قدمه رهينة إلى يحيى بن حمود . وهو آنذاك في السابعة من سنه . وتستنتج أنه ربما كان بسننه قاصراً عن المشاركة في معركة باجة . أما عن مشاركته المحتملة في هزيمة بطليوس سنة 426 هـ / 1033 م فإن عمره كان ثمانية عشر عاماً عند حدوثها . ولما كان عظام بني عباد يشجعون أولادهم على المشاركة في الحملات العسكرية فربما كان عباد ضمن جنود إشبيلية الذين نجوا بأنفسهم من تطويق جيش المظفر . وعلى أي حال فسواء كان السبب راجعاً إلى ما قاساه من ألم أم لا ، يتعين التساؤل عما إذا كان سبب الهزيمة ناتجاً عن معاناة شخصية أو إلى مجرد خيانة المظفر الذي سبق للبرزالي . حليف إشبيلية ، أن حرره أربعة أعوام قبل وقوع الهزيمة في سنة 426 هـ / 1033 . وعلى أي حال فهما كانت أسباب هذه الهزيمة فقد أسفرت عن الاحساس بالصراخية والحرارة بين بني عباد وبني الافطس . مما أدى إلى انهيار وتحطيم العلاقات بين الدولتين الطائفيتين .

ومع أن احتقار المعتضد للمظفر كان مصدره شخصياً عاطفياً ، فإن هناك تفسيراً أشد عمقاً للتعسف الاشبيلي ضد بطليوس ، وهو تناؤسهما كدولتين طائفتين قويتين . ولم يمر وقت طويل على قيام دولة المعتضد في سنة 442 هـ / 1050 م . حتى هاجم لبلنة الذي وجد حاكمها العاجز

ابن يحيى نفسه مرفوعاً على الاستغاثة بالمظفر بنت الانطس (27) وخف المظفر لمساعدة ابن يحيى كما حضان معهوداً بين ملوك الطوائف ، إلا أنه أخذ ليلة لنفسه واستأثر بها وحمل هذا التصرف ابن يحيى هل الاستنجاد بالمعتضد بن عباد هذه المرة . وقد شكل المعتضد تحملاً مع جيوش حلفائه من ملوك الطوائف البرابرة . وعلى الخصوص مع بادس بنت حبوس الذي استجاب تلقائياً لطلب بهدف الدفاع عن ابن يحيى (28) . وأثناء ذلك حاول ابن جهور ، حاكم غرناطة . أن يتدخل دبلوماسياً لتفادي المواجهة بين المعتضد والمظفر . مستهدفاً المحافظة على الأحوال القائمة ، وتخوفه من احتمال الحاق بطليموس بإشبيلية فتصبح قرطبة اثر ذلك الهدف الثاني للمعتضد ابن عباد الذي نصب نفسه مدافعاً عن الحقوق الشرعية لعشام الثاني في الخلافة ، فلقبت دعوته قبولاً لدى بعض ملوك الطوائف . فشكلما تنامت قوة إشبيلية بكون من شأنها أن تؤدي إلى محاولة احتلال قرطبة . العاصمة السابقة لدولة بني أمية . ولهذا بعث ابن جهور رسولا إلى كل ملوك الطوائف المؤيدين للمعتضد ، باستثناء محمد بن إدريس . حاكم مالقة . الذي كانت له تطلعات إلى الخلافة بالاندلس (29) . ومع ذلك قام قلاج مساعي ابن جهور السلمية . وشرعت جيوش المعتضد وحلفائه في زحفها متطرفة من إشبيلية نحو لبلبة (Niebla) مشيمة الخراب في المناطق التي اجتازتها (30)

- (27) «الذخيرة» ، القسم 2 ، ج . 1 ، صفحات 83 - 86 .
 (28) «الذخيرة» ، القسم 1 ، ج . 1 ، صفحات 814 - 818 . و«البيان المغرب» ج . 8 ، ص 210 .
 (29) «الذخيرة» ، القسم 2 ، ج . 1 ، ص 33 .
 (30) «الذخيرة» ، القسم 2 ، ج . 1 ، صفحات 38 - 34 ، و«البيان المغرب» ج . 8 ، صفحات 210 - 211 .

وشارك المعتضد نفسه عند ليلة في هزيمة المظفر الحاسمة ، فاحتل الجيش الاشيلي عدة حصون وخرّب المياني وأفسد المحاصيل أثناء مطاردته للمظفر إلى حدود عاصمته ، مدينة بظليوس (81) . ولم يجد المظفر بعد هزيمته مؤيداً من ملوك الطوائف فمجز عن الانتقام من المعتضد ، بل لم يجد مفرّاً من قبول معاهدة الصلح معه ، بواسطة ابن جهور ، وذلك في ربيع الأول من سنة 448 هـ . / يواوز - غشت 1051 م (82)

وبفض النظر عن أهمية بظليوس وأهداف إشيلية الرئيسية الأخرى ، فقد كان ضم قرطبة هدفاً أساسياً طيلة عهد المعتضد ، وهو ما حققه المعتمد بن عباد سنة 469 هـ / 1076 م عند ما احتل قرطبة بصفة نهائية . وكان الجيش الاشيلي في عام 488 هـ / 1070 م ، قد نجح في اقتحام قرطبة عند ما توجه إليها لئلا يجد حليفه ابن جهور ، غياضت الجيش القرطبي بداخل المدينة . ثم تغلب الجيش الاشيلي بقيادة ابن المعتمد عباد ، على جيش المأمون بن ذي النون وبعد نجاحه في هذه المهمة احتل الاشيليون قرطبة باسم المعتمد (83) الذي تخلص من ابن جهور ، ثم كلف ابنه عبادا والقائد العسكري ابن مرتين بتسيير شؤون قرطبة قبل عودته إلى إشيلية (84) . ولم يرض ابن ذي النون عن ذلك الهزيمة بصفة نهائية ، فأغرى ابن عكاشة

(81) نفس المصدر .

(82) « الذخيرة » القسم 2 ج 1 صحتنا 86-88 و« البيان المغرب » ج 3 صحتنا 212-213 .

(83) « الذخيرة » القسم 1 ج 2 ص 81 و« الذخيرة » القسم 2 ج 1 صحتنا

248 - 269 و« أعمال الإعلام » صحتنا 171 - 172 .

(84) نفس المصدر .

الذي كان يحكم حصناً قريباً من قرطبة باحتلالها فدخلها ليلاً سنة 467 هـ .
 / 1074 م . (85) . وقصد ابن عكاشة ، بمشاركة مجموعة من القرطبيين
 المتمردين ، منزل عماد فقتله في الحين ، دون أن يتمكن من ابن مرتين
 الذي لاذ بالفرار وهو في سكر مشين (86) . ونمت البيعة لابن عكاشة في
 مسجد قرطبة بوصفه الحاكم الجديد ، ثم دخل ابن ذي النون المدينة فلقى
 مصرعه بها بعد شهر . مسموماً فيما قيل . وبموت ابن ذي النون لم يجد
 المعتد صعوبة في بسط حكمه من جديد على قرطبة التي دخلها وأمر
 بقتل ابن عكاشة (87) .

وقد كان إتحاق قرطبة بإشبيلية مطمح المعتمد الأبعد في سياسته
 الخارجية ، إذ عزز هيئته وأظهر قوة جيشه بوصفه الجهاز العسكري الأصرم .
 أما الطريقة المتبعة والأسلوب المتخذ من قبل الجيش الأشبيلي ، فجأة . من
 موقف المدافع عن قرطبة إلى وضع الجند الفاربي والمحتل لها ، دون مبرر
 ظاهر ، لا يبرر فقط منى فقدان الاعتبار المحلي فقط . بل إنه ثبت أيضاً
 انعدام كل تقدير واقعي عند الجيش الأشبيلي في المدى البعيد . فارتداده
 التلقائي من الولاء يبرز سطحية التحالفات المتناحضة المتقلبة عند دول
 الطوائف ، ومهما بدا ذلك السلوك محيراً فإن انقلاب إشبيلية من موقفها
 كان منطبقاً مع الصيغة عديمة المنطق لعهد الدول الطائفية .

(85) «الذخيرة» القسم 2 ، ج. 1 ، صفحتا 270 - 271 .

(86) «الذخيرة» القسم 2 ، ج. 1 ، ص. 86 .

(87) نفس المصدر .

' سكان النهج السياسي الذي سلكه الاشبيليون لاحتلال قرطبة يساير مصالحهم في المدى القريب لاسباب عدة . اولها وجود سوابق مماثلة كالتقرر المفاجيء الذي اتخذه المظفر بن الافطس باحتلال ابله التي قدم لحمايتها من الجيش الاشبيلي سنة 442 هـ / 1050 م . ثم انعدام أية قوة أسمى يكون باستطاعتها أن تصد إشبيلية عن احتلال أية دولة طائفية متى أرادت . ولم يعد بمستطاع أي ملك طائفي بعد انهزام المظفر بن الافطس ووفاة المأمون بن ذي النون أن ينازع المعتمد أو ينافسه على احتلال قرطبة . وبعد الاعتبارين السابقين لم تكن انكسارات هذا الاحتلال خطراً على إشبيلية . لان الثقة كانت منعدمة بين الدول الطائفية الاخرى بارتياح بعضها من بعض . كما كانت مشغولة بمشكلاتها الداخلية انشغالا يجردتها من القدرة على مساعدة القرطبيين

وإذا كانت إشبيلية قد حققت بعض المنافع المباشرة باحتلال قرطبة وضحاها إليها . فإن أضرارها في المدى البعيد كانت أهم . فقد كان لبني جهور حكام قرطبة الذين استبددهم المعتمد . صيت طيب يحسدون عليه بفضل ما امتازوا به من الاستقامة والعدل ورضاً الناس عن غيرهم من ملوك الطوائف . ومن المعلوم أن الانتخاب لم يكن معروفاً آنذاك سواء في أوروبا أو في العالم الاسلامي . مع أن حكام بني جهور لم يكونوا من اختيار الرعية فإنهم أحسنوا نهوضهم بالمسؤولية عنها . وهانوا دون غيرهم من ملوك الطوائف في الاستفادة من نفوذهم السياسي . بل إن سياستهم مع الدول الطائفية الاخرى كانت تتم بالمهادنة والوثام .

وبعد انتصار المعتضد على المظفر بن الافطس في ربيع الاول 442 هـ / 1 يوليو . غشت 1061 م . جنحت إشبيلية إلى مواجهة الدول الطائفية

مواجهة عسكرية ضمن سياستها الخارجية العامة ، وأصبح الجيش الاشبيلي يستهدف الدول الطائفية الصغيرة . بمعنى أن الجهود العسكرية لاشبيلية كانت مركزة في بداية الامر ، أساساً ، على غرب الاندلس .

وهانت اضعف الدول الطائفية الصغيرة وهوان أمرها أسباب عديدة كانت في نفس الوقت من خصائص وجودها . فأما السبب الاول ، فهو أن تلك الدول بأحجامها الصغيرة كانت مضطرة إلى تحمل أعباء إقتصاد يتميز بطابع الاكتفاء الذاتي والبيعة معاً . وأما السبب الثاني ، فهو أن الاحوال الداخلية لم تكن مستقرة لأن الحكام كانوا في معظم الاحيان مستبدين لا يملكون تأييد رعيتهم . ونذكر من الامثلة على ذلك حاكم شلب ، أحمد بن جراح ، الذي اتخذلقاباً فضية ، كملك الملوك . ثم قتله رعاياه المضطهدون (88) . وأما السبب الثالث فهو استمرار الدول الطائفية الصغيرة في تطاحنها إلى سنة 442 هـ / 1050 م . . وهي الفترة التي لم تتدخل اشبيلية خلالها في سياسة غيرها من دول الطوائف وفي النهاية أدى تفاقم الخلل في ميزان القوى بين اشبيلية والدول الطائفية الصغيرة إلى أطماعها في يسط سيطرتها على ذلك الدول . وهو أمر لم يكن صعباً على الجيش الاشبيلي آنذاك .

قاد المعتضد جيشه في محاربة ملوك الطوائف بالقرب ، أمثال ابن يحيى وابن هارون وابن مزين أو البكري ، فاحتل أراضيهم ، منهياً السلسلة الاولى من هجماته باحتلال الجزيرة الخضراء . بعد أن هزم حاكمها القاسم بن عماد

(88) • البيان المغرب ، ج 1 ، ص 216 - 216 .

أبى حمود (39) . وبعد احتلال تلك الدول الطائفية الصغيرة في الغرب والسيطرة على مضيق جبل طارق باحتلال الجزيرة الخضراء ، أنهى المعتضد احتراقه الاسمي بهشام الثاني بوصفه الخليفة الشرعي ، فلم يعد اسمه يذكر في خطب الجمعة (40) . وفي سنة 455 هـ / 1063 م . وطد المعتضد هيمنته على آخر دولة طائفية في الغرب ، وهي شلب ، ثم توجه إلى تركيز جهوداته التوسعية جنوباً (41) . وكان نشاط إشبيلية العسكري قد توقف مؤقتاً في نهاية عام 441 هـ . / 1059 م . ولكن سرعان ما شرع المعتضد بن هباد في نشاطه العسكري بتكريز الفتنة الداخلية في الدول الطائفية الواصلة جنوب إشبيلية ، ثم بالهجوم على عدد من الطوائف الضعيفة فضحها بسرعة ، كما فعل في الغرب . فقد هزم المعتضد أبا النصر فتوح بن هلال بن أبي سقرة البغرني في سنة 457 هـ . / 1064 م . ثم احتل الجيش الأشبيلي رندة (42) . وجاءت هزيمة عماد الدولة مناد بن محمد بن نوح الدماري واحتلال مرورو من طرف الأشبيليين عام 458 هـ . / 1065 م . (43) . أما قرمونة التي كان يحكمها المستظهر هز بن محمد البرزالي فقد وقعت في أيدي الأشبيليين سنة 459 هـ . / 1066 م . (44) . واقتصر جيش المعتضد

-
- (39) « الذخيرة » القسم 8 ج 1 ص 36 . و« أعمال الاعلام » ص 182 .
 (40) « الذخيرة » القسم 9 ج 1 ص 27 . و« جدوة المتقوس » ص 80 والبيان المغرب » ج 9 ص 215 .
 (41) نفس المصدر ص 36 . و« البيان المغرب » ج 8 ص 214 .
 (42) نفس المصدر ص 39 . و« البيان المغرب » ج 8 ص 214 و 214 .
 (43) نفس المصدر ص 38 - 39 . و« البيان المغرب » ج 8 ص 214 و 214 .
 (44) « البيان المغرب » ج 8 ص 212 .

ابن عباد عام 461 هـ . / 1068 م . على حاضم أركش . محمد بن محمد بن خزرون ، وذلك رغم تعاونهما السابق لاسقاط بعض ملوك الطوائف (45) . ورغم أهمية الجيش الأشبيلي وخصامته فإن الضعف الداخلي للطوائف الصغرى قد جعل انهزامها ميسوراً . من ذلك أن رعابها شلب ثاروا على ملوكهم فقتلوه (46) . ويمكن القول بأن علاقات إشبيلية مع الطوائف الضعيفة اتخذت ولو على نطاق أصغر . نبطاً مشابهاً لعلاقات ألفونسو السادس مع دول الطوائف عموماً . فقد ساهمت سياسة المعتضد بن عباد إزاء الطوائف الصغيرة في تقوية إشبيلية ، على المدى القريب ، كما مكنت المعتمد فيما بعد من اتباع سياسة المواجهة المباشرة للدول الطائفية الأكثر قوة والأوسع نفوذاً ونرى بمنظار أوسع أن تصفية إشبيلية للدول الطائفية القوية كقرطبة وبطليوس وطليطلة قد ساهمت في التمايل من القدرة الدفاعية لمجموع دول الطوائف أمام مملكة قشتالة وليون التي أصبحت تهدد إشبيلية مباشرة لانكسار حاجز دول الطوائف الكبرى الذي كان قائماً بينهما ، وذلك بسبب الضغوط العسكرية والاقتصادية الموجهة من طرف قشتالة شمالاً ، وإشبيلية جنوباً .

ومن الواضح أن الهجمات العسكرية المستمرة على دول الطوائف القوية من طرف القاضي بن عباد والمعتضد بن عباد لم تجعل المعتمد بن عباد يهي العواقب القصوى لتلك السياسة فيما بعد ، أي في سنة 468 هـ /

(45) « الذخيرة » ، القسم 2 ، ج 1 . صحتنا 39 - 40 . و « البيان المغرب » ، ج 3 ، صفحات 214 و 283 و 294 .

(46) « البيان المغرب » ، ج 3 ، صحتنا 215 - 216 .

1086 م . عند ما التزم الحيات إزاء احتلال ألفونسو السادس لطليطلة ، بدل المسارعة إلى نجدة سكانها . ولذلك أدت انتصارات إشبيلية على الطوائف القوية في النهاية ، بصورة حتمية ، إلى مواجهة عسكرية مع قشتالة ، دون أن يحكون الجيش الاشبيلي قادراً على مواجهة ذلك التحدي بقلبة أذفاره وانخفاض مستواه .

(8) الحرب الدفاعية : العلاقات بين قشتالة والمغرب

أ - انعكاسات سقوط طليطلة على إشبيلية

لقد غير سقوط طليطلة والمناطق التابعة لها في قبضة ألفونسو السادس عام 478 هـ . / 1086 م طبيعة العلاقات بين قشتالة ودول الطوائف (47) . فما أن تم له إحتلال طليطلة حتى أنهى سياسة التعايش التي كان يسلمها مع دول الطوائف ، والتي كانت مبنية على فرض ضغوط عسكرية وديبلوماسية بغية الحصول على أموال الجزية . فقد كان إحتلال ألفونسو لطليطلة حدثاً كبيراً بما كان له من العواقب الوخيمة على ملوك

(47) لقد تطرق عدد من المؤرخين القدماء لقبضة إحتلال ألفونسو السادس لطليطلة . أنظر على سبيل المثال : (« أول تاريخ هام لاسبانيا » ، ج ٠ ٢ ، صفحاتنا 630 - 631 و « الذخيرة » ، القسم ٠ 4 ، ج ٠ 1 ، صفحات 163 - 169 و « كتاب الألبان » ، صفحاتنا 74 - 77 و « كتاب الأستنا » ، صفحات 78 - 87 . و « نيات الأيمان » ، ج ٠ 3 ، صفحاتنا 27 - 28 و « الضامل » ، ج ٠ 8 ، ص ٠ 188 .

الطوائف . وعظمت قوة الحدث لما جعلها الملك القشتالي عاصمته الجديدة (48) . وقد نسبت فطرسه ومعاملته القاسية لسكان طليطلة المسلمين في إثارة الغضب بجميع أطراف الأندلس . فإذا كان الكاثوليكيون في بلاط ألفونسو قد رحبوا بتحويل مسجد طليطلة الأعظم إلى كاتدرائية فإن ذلك التصرف قد كان إهانة للمسلمين الأندلسيين الذين استنكروه بشدة (49) ، بل إن المستعربين أنفسهم لم يساندوه . وأهل مثل هذا التصرف المتطرف يرجع إلى أن ألفونسو قد أصبح يعتبر نفسه بمثابة الحاكم الشرعي للأندلس كلها (50) . وفي إنخاذه الألقاب الفضية كلقب الإمبراطور ذي الملتين ما يشير إلى ذلك (51) .

(48) « أول تاريخ عام لاسبانيا » ، ج 2 ، صحتنا 520 - 531 .

(49) نفس المصدر ، صفحات 540 - 542 و « الذخيرة » ، القسم 4 ، ج 1 ، ص 168 .
(50) لقد أصبح ألفونسو السادس أهبوث المعتد بن عباد عن عداوته لبنيك الطوائف واحتقاره لهم بعد احتلاله طليطلة ؛ « كيف أترك يوماً حياطين ، تنسى كل واحد منهم بأهم خلفائهم وعلوهم وأمرائهم المعتضد والتمتد والمتمم والمتوكل والمستين والمقتدر والامين والمأون ، وكل واحد منهم لا يسأل نور الذب عن نفسه سيقاً . . . » (« صحتاب الاعتراف » ، ص 88) .

كما هرب ألفونسو السادس عن عداوته لبنيك الطوائف بكل وضوح (« الذخيرة » ، القسم 4 ، ج 1 ، صحتنا 166 - 167) .

(51) اشتمل ألفونسو السادس هذا الألقاب في الرسالة التي بعثها إلى المعتد بن عباد بعد احتلال طليطلة (« الملل الموشية » ، ص 26) . وهناك إشارة إلى انخاذه ألفونسو هذا الألقاب في مصدر يرجع تاريخه إلى القرن السادس الهجري . . . ونسبى بالإمبراطور ، وهو بأنهم أمهر المؤمنين ، وجعل يكتب في عتبه الصادرة منه من الإمبراطور ذي الملتين ، « أقدم لأرسال الرؤسا » أنه لا يترك في الجزيرة من الشوار أحداً ، ولا يبقى لهم ملتصداً ، سوى من اعتسبه رعائتي ، وشملته هنايتي » (« صحتاب الاعتراف » ، صحتنا 88 - 89) .

أما السبب المباشر لقطعة بيت ألفونسو والمعتمد فمرجع إلى قتل
الأخبر للمهودي ابن شايب ، الذي كان محكوماً بجمع الجزية لألفونسو ،
وذلك عند ما رفض الأموال التي دفعها له المعتمد بن عباد . مدعى أن
النقود كانت مزورة (52) . وقد بعث ألفونسو كتاباً إلى المعتمد يذكره
بعبارة صارمة ، ويأمره فيه بتسليم جميع أراضي إشباهة إلى عامله الجديد .
أنفار فانيث . (Alvar Fáñez) (53) .

وبسقوط طليطلة إقتنع ألفونسو السادس بوجود إخضاع الدول
الطائفية الأخرى ، بدون استثناء ، لنفس المصير . وخلاصة القول هي أن
الملك القشتالي لم يعد مستعداً لقبول أي ثمن مقابل السلم ، سواء اتخذ ذلك
الثمن طابع التبعية والولاء السياسي ، أو جاء على شكل أداء الجزية . وقد
أدى موقفه المتصلب إلى اعتماده على سياسة جديدة تنهج حكماً إلى تحقيق
الاحتلال العام .

وإذا كان سقوط طليطلة وسياسة ألفونسو الجديدة مفاجئين لملوك
الطوائف ، فإن هذه السياسة الجديدة جاءت نتيجة للاضطرابات الداخلية في
قشتالة بين مجموعات متطاحنة بسبب اختلاف ميولها السياسية . فقد كانت
توجد في قشتالة ثلاث قوى ذات أهمية سياسية بارزة خلال القرن العجري
الخامس ، وهي : العرش المشغص في الملك ، والكنيسة الأيبيرية الممثلة في
المستعربين ، والكنيسة الكاثوليكية التي ألهما رهبان « كلوني » الفرنسيون

(52) « الملل الموشية » ، صفحاتنا 28 - 30 و « الروض المطار » ، ص . 84 .

(53) « الملل الموشية » ، ص . 25 .

بدرجة الأولى . ورغم بروز البعد الاجتماعي والذهني لهذا النزاع ، فإن الأبعاد السياسية وصدى الاصطدام في إشيلية والدول الطائفية الأخرى هي التي تهمنا بصورة أساسية .

لقد أدى انتقال أفونسو من سياسته السابقة المبنيّة على فرض الجزية إلى سياسة التوسع الجديدة إلى إصطدامه بالمستعربين الذين كانت عنيتهم منيئة عن جباهير المسيحيين الذين نأثروا باللغة العربية ، فكان تعايشهم مع المسلمين يؤثّر تأثيراً عميقاً في مزاجهم وأسلوب حياتهم ، بل يؤثّر في عقائدهم ذاتها . وكما لم يسع الحكام المسلمون إلى القضاء عليهم ، فإن المستعربين بدورهم لم يتخذوا موقفاً متطرفاً ومتعسفاً من المسلمين . لقد كان اتّماؤهم للعرش القشتالي يقوم على الصدق والالتزام ، فاستمروا في تأييد سياسة أفونسو الرامية إلى انتزاع أكبر قدر ممكن من المكاسب المادية عن طريق تزكية وإلهاب الخلافات الداخلية بين دول الطوائف .

وختان سيساندو دافيديث (Simandoo Davides) . وهو من مستشاري أفونسو المستعربين ، والذي عين أول حاكم مسيحي لطليطلة ، قد نصح ملك قشتالة بفرض حكمه على الأندلس ، معتمداً على ملوك الطوائف (64) . وأخذ سيساندو نفسه ، من خلال تحليله السليم وإدراكه العميق للأحوال السياسية العامة ، بمساندة سياسة مرنة لم تؤثر بطريقة عنيفة في توازن القوى بالأندلس . إذ كان من شأن اختلال ذلك التوازن أن يؤدي إلى تدخل خارجي مع

(64) نصح سيساندو أفونسو السادس بالاعتماد على ملوك الطوائف كحيمان له بدل احتلال أراضيهم ولا تلج ملوك الجزيرة فليمت تستغني عنهم ، ولا تجهد عمالاً أطوع منهم . . . (الذخيرة ، القسم 4 ج . 1 ص 168 .

المغرب بمس مصالح قشتالة وبنال منها . وقد أشار سيسناندو إلى احتمال حدوثه تلك النتيجة عند تطبيق سياسة ألفونسو (56) .

كانت مكافحة رهبان كلوني للمذهب الاسباني للمستعربين قد تحولت تعولا هاماً في سنة 478 هـ / 1080 م . عند ما منع المذهب الاسباني رسمياً ، في مملكة ليون وقشتالة في اجتماع مجلس «برغش» (Burgos) وقد ساهم سقوط طليطلة في تعزيز جانب الكلونيين الذين كانوا قد استقروا نهائياً باسبانيا ، واتخذوا دير ساهكون (Sahagun) مركزاً رئيسياً لهم . ثم عارضت الكنيسة الكاثوليكية كنيسة المستعربين معارضة شديدة ، وساندت ألفونسو في سياسته لفرض الجزية وسياسة مباشرة باسكانها في النهاية أن يؤدي إلى إخضاع الاندلس كلها . وقد كانت الكنيسة الكاثوليكية تعتبر التساهل مع الاندلسيين تنازلاً لا يدعو إليه أية ضرورة ، بل كانت تراه خيانة صريحة ولم يتحقق النجاح النهائي للكنيسة الكاثوليكية في إقناع ألفونسو باتخاذ سياسة معادية لدول الطوائف بفضل الحطة المذهبية العريضة لمكافحة الكفار ضمن حركة مسيحية تحريرية أوسع ، بقدر ما كان ناتجاً عن النشاط المنظم للرهبان الكلونيين الذين كانت أدورهم أهمية بارزة كقوة حيوية زودت الدولة القشتالية الناشئة بالوعي الروحي وبالبرر الشرعي لا يثار الكفاح . ولم يكن دعاة السياسة التوسعية المحيطون بألفونسو في قصره من المتدينين . بل إن عدداً من الموظفين السامين المقربين عند الملك قد عبروا عن تأييدهم لاتخاذ سياسة توسعية ونعسفية قبل سقوط طليطلة بوقت طويل .

(56) نفس المصدر .

لقد قرأنا « بيدرو أنسوريث (Pedro Ansurez) وألفار فانيث (Alvar Fáñez) من مؤيدي السياسة الصارمة مع ملوك الطوائف بعثات ألفونسو لفرض الجزية على الأمير عبد الله بن بلقين ، حاكم غرناطة ، حوالي سنة 467 هـ . / 1074 م . ، وسنة 488 هـ . / 1090 م . (68) . ولم تكن هذه السياسة المستقبلية سراً حتى بالنسبة لعبد الله بن بلقين الذي بهكي كيف أخبره سيسناندو دافيديث بنوايا ألفونسو في قهر دول الطوائف وإخضاعها (67) . ويمكن القول في النهاية بأن الملك القشتالي الذي أثر مباشرة في النتيجة النهائية للتطاحن بين الكنيسة الكاثوليكية والمستعربين هو الذي استفاد أكثر من غيره من ذلك التطاحن ، إذ ازدادت قوته وارتفع شأنه نتيجة اختياره للسلوك الأكثر تعسفاً .

ب - معركة الزلاقة وآثارها على إشبيلية

كانت نتائج معركة الزلاقة ذات أهمية بالغة عند يوسف بن تاشفين ، إذ مهدت له السبيل لفرض سيادته على الأندلس . كما كانت أهميتها عظيمة على ألفونسو السادس ، إذ أصيب تضطهته لاحتلال الأندلس بضرحة

(68) « كتاب التيهان » ، صفحتا 78 و 128 .

(67) نفس المصدر ، ص . 98 .

قاسية (58) . وقد نجلت بوضوح المعنويات المرتفعة للغالبيون في تلك المعركة فيما كتبوا من الرسائل في وصف انتصارهم (59) . وكان الجنود وقوادهم والمعمد بن عباد نفسه محل مدح وتبجيل عظيمين لقاء شجاعتهم في المعركة التي لم يقرر الاشبيليون المشاركة فيها طوعاً ، بل فرضتها

58) لقد تطرق كمال بن المؤرخين المعاصرين للقرن الحامس الهجري والذين جاؤوا من بعدهم ، لمعركة الزلاقة بكتابة مفصلة أو مختصرة . أنظر على سبيل المثال : ألفونسو الماغر وسانشو العاشر ، (أول تاريخ عام لاسبانيا ، ج . 2 ، صفحات 557 - 558) ، وابن خلدون ، (البيان المغرب ، ج . 4 ، صفحات 180 - 140) ، والنهمري ، (نهاية الأرب ، صفحات 99 - 101) ، وعبد الله بن بلقين ، (كتاب البيان ، صفحات 104 - 108) ، والحيمري ، (الروض السطار ، صفحات 73 - 86) ، والنراكي ، (المنجيب ، صفحات 132 - 185) ، ومؤلف مجهول الاسم ، (الحلل المشوية ، صفحات 44 - 53) . عندما تعرض المؤرخون المسلمون بالتاريخ الاندلسي والمغربي مؤخرًا لموضوع معركة الزلاقة ، خصصوا في إطار احتلال المسيحيين لاندلس بعد سقوط طليطلة في أيديهم وفرض يوسف بن تاشفين نفوذه على الاندلس ، على سبيل المثال ، أنظر كتاب أميربوسو وبني مهراندا ، « المعارك الكبرى لحرب الاسترجاع خلال القزو الأفريقي (المرابطون والموحدون وبني مرين) » : Ambrosio Huel Miranda , *Las grandes batallas de la Reconquista durante las Invasiones Africanas (Almorávides, Almohades y Benimerines)* Madrid, 1956 , pp.19 - 83 وكتاب إيداربيست لفيي يروفنصال وإيميليو ثارثا ثوميت وخ ، أولوفي آسين ، « معلومات جديدة عن معركة الزلاقة (1086) » :

E. Lévi-Provençal E. García Gómez and J. Olivier Assin, *Novidades sobre la batalla llamada al-Zalága (1086)*, A. A. X V (1950), pp.111 - 155 .

والخذ عبد الله هنان ، « دول الطوائف » ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، 1989 ، صفحات 221 - 232 .
59) على سبيل المثال ، أنظر رسالة يوسف بن تاشفين لتهيم بن المزمز المنقولة في « دول الطوائف » ، صفحات 448 - 450 ورسالة المعمد بن عباد إلى ابنه الرشيد (« الأحاطة » ، ج . 2 ، صفحات 114 - 116) .

عليهم الاوضاع الداخلية والخارجية المتقلبة (80) لقد كان الهدف الاساسي من مشاركة إشبيلية في معركة الزلاقة هدفاً دفاعياً ينعصر في العمل على إيقاف حملات أنفونسو المكثفة والمتزايدة على دول الطوائف. وجاء سقوط طليطنة سنة 478 هـ / 1085 م. فرسم صورة حية في أذهان ملوك الطوائف الذين عظم خوفهم لما أصبحوا يشاهدون مصيرهم شبيهاً بمصير طليطنة. ونظراً لحدة التطاحن بين دول الطوائف وأثارها السلبية من الناحية الاقتصادية والاجتماعية والتي يرجع وجودها إلى أيام نشأتها الاولى، فلم يحسن ملوك الطوائف يتوقعون حدوث رد مشترك على سياسة أنفونسو التوسعية وقد ظلوا على ذلك حتى عند ما أصبحت نهاية وجودهم أمراً لا مفر منه. فلم يبق أمامهم إلا أحد اختيارين: إما الاستسلام لأنفونسو بدون قيد ولا شرط، وإما الاستنجاد بيوسف الذي اتفقوا على إيثاره. ومع ذلك فقد أدى تكثيف صفوف ملوك الطوائف أمام سياسة أنفونسو باستنجادهم بيوسف إلى مجال التدخل السياسي في الاندلس من طرف المغاربة، دون أن يولوا أي اعتبار لعواقب ذلك التدخل. إذ لما استغاث ملوك الطوائف

(80) دعت عوامل مختلفة بملوك الطوائف إلى الاستنجاد بيوسف بن قاشين سنة 478 هـ / 1085 م. (سقوط طليطنة والضيوط العسكرية التي مارها أنفونسو ومثل دول الطوائف في توحيد صفوفها أمام الخطر المشترك). ويحس الحوار التالي للمتمد مع ابنه الرشيد تردده قبل اتخاذ قرار الاستنجاد بيوسف، هـ. وهذا اللين أذعن قد أخذ طليطنة من يد ابن ذي النون بعد سبع سنين وعادت دار حضر وها هو قد رفع رأسه إلباء وإن نزل علينا بكامله ما يطلع عنا حتى يأخذ إشبيلية ونرى من الرأي ان نبحث إلى هذا الصراوي ملك العدو نستدعيه للجواز ليدفع عنا هذا الصليب اللعين إذ لا قدرة لنا على ذلك بأنفسنا... حرز الجمال والله هندي خبر من حرز الخنازير... (العقل البوشة، ص 21 - 22).

بيوسف وقبوا بالفعل فحتم سيطرته فأضاعوا ميزة المبادرة وفرصة التحصن في السياسة الواجب اتخاذها إزاء ألفونسو الذي عجزوا عن مواجهة خطرهم على إفراد . فالمعتمد بن عباد وغيره من ملوك الطوائف لم يقدروا احتمال تدخل يوسف على نطاق واسع في الأندلس حتى قدره ، ففشلوا نتيجة لذلك في مواجهة تعاضد دور جيرانهم الأقوياء . وقد سلك ذلك مفاجئاً لهم في وقت لم يعودوا فيه قادرين على تغيير ذلك الاتجاه . وبذلك أصبح تصاعد الضغوط السياسية الخارجية على الأندلس والتدخل العسكري فيها أمراً محتوماً وإذا كانت دول الطوائف قد دافعت عن وجودها في الزلافة فقد أدت نتائج هذه المعركة إلى تطوير عدة عوامل أضفت ذلك الوجود وجعلت أمدته قصيراً . فالآثار التي خلفها يوسف بن تاشفين في طبيعة تلك العوامل التي ثبتت جذورها في الأندلس بصورة متينة ونهائية نتيجة مساهمته الفعالة وفضله الكبير في انتصار الزلافة فلما اعترفوا بانتقاده لهم من حرص ألفونسو على التوسع وقدروا له ذلك التصنيع ، وضعوا أنفسهم تحت وصايته الروحية والمعنوية ، وأصبحوا ملزمين باستشارته قبل اتخاذ أي قرار من القرارات العامة . وبأخذ رأيه بعين الاعتبار . وأدى ضعف ملوك الطوائف وتفرقتهم إلى الزامهم ، سياسياً ، بقبول قيادة يوسف بصفته أميراً للمؤمنين والاعتراف به ، بل وصل بهم الحال إلى ما هو أبعد من ذلك . إذ أخذ بعضهم يشكو البعض الآخر ليوسف الذي جعلوه حكماً (81) . وقد رفض يوسف بصفة

(81) فلي سبيلي المثال - التجأ تميم بن بلقين الزبيدي ، أخ عبد الله بن بلقين ، إلى يوسف بن تاشفين ليحسم في نزاعه مع أخيه عبد الله (مكتاب التبيين ، ص 106) . وطلب ابن رشيق من يوسف أن يقضي في نزاعه مع المعتمد بن عباد (نفس المصدر ، صحتنا

رسمية أن يصبر حكماً بينهم ، إستناداً إلى أنه لم ينو أبداً التدخل في الشؤون الخاصة بدول الطوائف . إلا أن تحكيمهم إياه يبرز مدى نصاعده مركزه الهام في الأندلس بعد الزلافة . وكان يوسف قد اكتسب القوة الكافية لفرض سياسته على الأندلس فلم يجد ملوك الطوائف أنفسهم قادرين على رفض مثل تلك المواقف .

لقد زعم بعضهم أن مشاركة يوسف في معركة الزلافة كانت خطوة أساسية في سعيه لإخضاع ملوك الطوائف ، وأن ذلك الإخضاع كان هدفة منذ البداية عند ما قطع البوعاز وفزل بالأندلس لأول مرة . وإذا كان من شأن هذا الادعاء أن يشوه سمعة يوسف ، فلا توجد إلا أدلة قليلة على مساندة . إذ لا يوجد ما يثبت نية يوسف إلى إخضاع الأندلس قبل وقوع معركة الزلافة التي لم يكن لديه سبيل للتأكد سلفاً من نتائجها . وعلى أي حال فإن ملوك الطوائف هم الذين استغاثوا به . وقد كان يوسف متردداً وحذراً قبل إقدامه على مساندة ملوك الطوائف وقد أدى تردده في إصدار الجواب الفوري إلى أن بعث ألفونسو كتاباً إلى يوسف متهماً إياه بالجنون لتأخره عن المواجهة العسكرية ، بل بتعداه لمعركة يلتقي فيها الجمعان على الأرض المغربية نفسها ، شريطة أن يمكنه يوسف من السفن

110 - 111) . وعلى يوسف بن تاشفين بعد هجرته الثاني الأندلس عن فكرة خطوة إتمام الدول الطائفة المستقرة ، من هجرات ألفونسو السادس ، حيث قرر أن يعود إلى المغرب في هذه مناسبات نظراً لكون ملوك الطوائف القلوب بشكاياتهم السخيفة من بعضهم البعض (نفس المصدر؛ صفحاتنا 106 - 107 و 111 - 114) .

اللازمة لجيشه ليقطع المضيق (62) . ولا يمكن لما سلف ذكره أن نستنتج دُبوت النية عند يوسف على إخضاع الأندلس قبل وقوع معركة الزلاقة . إلا إذا سلمنا بتخمينات حول دوافعه الشخصية . أما الأدلة المتوفرة فتثبت

(62) يصف يوسف بن تاشفين نفسه الرسالة التي توجه بها من ألفونسو السادس وذلك في رسالة بثها عنهم بن العز بن باديس . ولقد اكتشف الأستاذ عبد الله علان رسالة يوسف المذكورة ونشر نصها الكامل في «دول الطوائف» ، صفحات 444 - 450 ، وهناك بعض المقررات من رسالة ألفونسو ليوسف في «الحلل الموشية» ، صفحات 29 - 30 ، ويوجد نص هذه الرسالة أيضاً في مصدر شرقي ، وهذا النص أكثر امتداداً من نص «الحلل الموشية» (حسن التوسل) ، ص 4 . هناك عدة عناصر تشير إلى هذه الرسالة أولاً ، نقلت هذه الرسالة في كتاب لؤك موثول به هو شعاب الدين محمود بن سليمان الحلبي الذي عمل في منصب رئيس ديوان الإنشاء في مصر .

وكان الهدف الأساسي للكتاب الذي نشر فيه هذه الرسالة وهو «كتاب حسن التوسل إلى صناعة التوسل» شرح الإسماعيل الرقمة والبلاغية في إنشاء الرسائل . فالخبري نقل رسالة ألفونسو السادس لمجرد اهتمامه بأسلوبها . فليس من المحتمل أن يكون قد غيرها ، خصوصاً إذا اعتبرنا أن اهتمامه الحقيقي كان بجواب يوسف فنقل رسالة ألفونسو في هذا الإطار . وزيادة على ذلك ، كان الحلبي كاتباً مصرياً عاش بعد نسخ الرسالة الأصلية بنحو ثمانمائة سنة فام يهه أمر تغيير مضمونها ولم يكن لها أثر عليه . ومع ذلك ، فإن محتوى هذه الرسالة هو الذي يشهد إلى أصالتها أكثر من غيره . الحلبي يعطينا (بسم المستعرب أين القطار الذي يهتف النص الأصلي للرسالة مما يثبت أنها كتبت أصلاً بالعربية (نفس المصدر) ، وخلافاً للرسالة التي نسبت إلى ألفونسو في «الحلل الموشية» فإن تلك التي نسخت في «كتاب حسن التوسل» تفتتح بإسم المسيح حتماً كان من شأن ألفونسو أن يفعل ومن المهم أيضاً أن الرسالة التي نقلت في «كتاب حسن التوسل» أكمل من التي نقلت في «الحلل الموشية» حيث يبدو أن هذه الأخيرة عبارة عن تلخيص للأولى . وأخيراً ، إن جواب يوسف في شكل سورة قرآنية لآل التصديق أكثر من البيت الشعري الذي جاء به صاحب «الحلل الموشية» .

أن قرار إحتلاله لاندلس جاء بعد إقتناعه ببعض ملوك الطوائف عن جمع
شملهم ووقاية أنفسهم من عواقب سياسة ألفونسو التوسعية .

وهناك نتيجة سلبية ثانية لمعركة الزلاقة ، وهي أنها فجرت القوى
الاقتصادية والاجتماعية الداخلية التي كانت تستهدف سحق نظام دول
الطوائف نفسه . فقد قاد الفقهاء ورجال الدين بمساندة الجماهير الاندلسية
حملة إعلامية على ملوك الطوائف عموماً . وكانت أخطر التهم التي وجهوها
إليهم هي فرضهم ضرائب مجحفة تتنافى مع المبادئ الإسلامية . وقد كان
ملوك الطوائف قد أرفقوا رعاياهم بالضرائب التي كانوا ينفقونها في تسديد
مصاريف قصورهم الباهظة من جهة ، وفي أداء الجزية لألفونسو السادس تأميناً
لمسالمة من جهة أخرى . وبعد معركة الزلاقة وانتشار صيت يوسف بن
تاشفين في اندلس أخذ الفقهاء البارزون يلحون على يوسف لإنهاء سياسة
ملوك الطوائف التوسعية في المجال الجبائي . وذلك بتحريم الضرائب المناقضة
للمبادئ الإسلامية وقد قام الفقهاء بدور نشيط في مساندة يوسف ومناصرة
على ملوك الطوائف الذين كان نفس مبعوثهم إليه ينتقدونهم إنتقاداً
شديداً . إلا أن أولئك الملوك كانوا يجدون أنفسهم عاجزين عن القيام
بأي رد ، رغم إدراكهم لتلك التطورات . وقد كان الفقيه ابن القلبي
معروفاً بتوسطه بين ملوك الطوائف ويوسف بن تاشفين (68) . ويعد تميم
ابن بلقين الزيري ، أخو عبد الله بن بلقين ، إلى القاضي ابن سهل . خمسين
مقالاً ليدافع عن موقفه لدى يوسف بشأن خلافه مع أخيه . إلا أن ابن سهل

امتنع ورفض الارتشاء (84) . ويقدم الامير عبد الله وصفاً شاملاً للجهود التي بذلها ابن القليبي لتشويه سمعته (85) . واختلفت الدوافع في مداواة الفقهاء لملوك الطوائف . فإذا كان سلوك القاضي ابن سهل ينطلق من مبادئ شريفة فإن الامر لم يكن كذلك بالنسبة للقاضي ابن القليبي الذي كان على خلاف مع يادس . فلم يطمئن له بال حتى انتقم منه بوساطة حفيده عبد الله بن بلقين (86) . ورغم الاستياء الكبير الذي شاع في دول الطوائف بسبب الضرائب المرهقة ، فلم يسدّل الملوك أبهة محاولة لتبرير سياستهم المالية والجبائية باسنادها على أساس شرعي أو منطقي على الأقل ، بل إنهم حاولوا بدل ذلك التقليل من العلاقة بين الجزية التي كانوا يدفعونها لالفونسو والزيادة المستمرة في الضرائب ، مبرهنيين على أن الامر الاول لم يكن له تأثير في الثاني إطلاقاً .

واتهم يوسف بن تاشفين والفقهاء الاندلسيون ملوك الطوائف ، زيادة على الضرائب المرهقة ، بتهمة أخطر هي التآمر مع الملك المسيحي ألفونسو السادس ، على الاسلام ، وضدّاً على مصالح رعيته . وكان من العسير دفع هذه التهمة ، لان ألفونسو شرع بعد معركة الزلاقة في شن هجوماته على عدد من الدول الطائفية ، منها غرناطة وإشبيلية ، وفرض الجزية عليها . ويعترف عبد الله بن بلقين بعجزه عن مواجهة ملك قشتالة ، كما حاول تبرير دفعه للجزية التي فرضها عليه ، وذلك عند ما أخبر يوسف بأن الجزية لم

(84) نفس المصدر ، ص . 117 .

(85) نفس المصدر ، صفحات . 116 - 119 .

(86) نفس المصدر ، ص . 118 .

تسكن نرهق رعيته لانه كان يؤديها من حر ماله (67) . ووجد المعتمد بن عباد نفسه أيضاً عاجزاً عن مواجهة هجومات ألفونسو فزعم أن المعاهدات التي أبرمها معه لم تسكن نؤثر في ولائه ليوسف ولا في القيام بواجبه نحو رعيته . وعند ما أصبح قرار يوسف باحتلال إشبيلية أمراً واضحاً تخلى المعتمد عن ولائه ليوسف ، باعتبار أن هذا كان ضعفاً عنده وحليماً له عند ما واجه ملوك الطوائف ألفونسو في معركة الزلاقة . فلما تغيرت الظروف أصبحت ضغوط يوسف بن تاشفين على إشبيلية تساوي بين مركزه ومركز ملوك الطوائف المجاورين لها (68) . ونجد في نهاية التحليل أن ملوك الطوائف فشلوا في دفع الاتهامات الموجهة إليهم ، عند ما أخفقوا في رد خطر ألفونسو السادس لما أحوى سياسته التوسعية عن جديد . وعجز ملوك الطوائف عن تلبية مطالب ألفونسو المالية فاضطروا إلى اللجوء إلى عرض الضرائب المرهقة ، الأمر الذي أثار عليهم مشكلات مع يوسف بن تاشفين . ورغم بقاء الجيش الإشبيلي على ولائه التام للمعتمد بن عباد ، فإن قواد الجيوش الأندلسية الأخرى تمكنوا من تأليف مجموعة ضاغطة لحمل يوسف على تنفيذ قراره باحتلال دول الطوائف .

وإذا كان الجنود المغاربة قد ألغوا العمود الفقري لجيش يوسف فهناك أدلة تثبت انخراط بعض العناصر الأندلسية فيه بعد اتخاذ القرار النهائي باحتلال دول الطوائف . وقد كان يوسف يرفض التعاون مع الأندلسيين

(67) نفس المصدر ، ص . 127 .

(68) نفس المصدر ، ص . 169 .

أول الأمر، إلا أن استحالة الاستغناء عن القواد الأندلسيين لمعرفتهم بالمنطقة جعلته يعتمد عليهم إتماداً كبيراً. فرغم ضخامة النتائج التي أسفرت عنها معركة الزلاقة. وظهور بعض العناصر الجديدة التي ذكرناها فيما سلف، فإن بعض خصائص الحالة السابقة ظلت على ما كانت عليه من قبل. فساهمت في الانهيار الكامل لدول الطوائف. ومن تلك الخصائص استمرار تهديد ألفونسو لوجودها. وهكذا كان لمعركة الزلاقة دور هام في صد ألفونسو عن احتلال الأندلس. ونحن الجيش المسيحي لم يصب بشلل كلي، لأن المنتصرين لم يتمقبوه في إنهزامه إلى النهاية. وبما أن يوسف عاد إلى المغرب مباشرة بعد وقوع المعركة، فقد تمكن ألفونسو من شن هجومات جديدة على دول الطوائف، الواحدة بعد الأخرى. ثم عاد يوسف إلى الأندلس عند ما طلب المحتمد بن عباد وملوك طوائف آخرون تنظيم وقيادة الحصار لحصن لبيط (Lédo) المسيحي. وعند ما علم يوسف بأثر ألفونسو قادم لانتقاد الحصن انصرف عن المشروع دون إتمامه، متعللاً بأن ملوك الطوائف أصابتهم التفرقة فبلغت درجة لا يمكن تداركها بالإصلاح، ومشيراً إلى مسؤوليتهم في توحيد كلمتهم للدفاع عن أنفسهم (69). وبمجرد ما غادر يوسف أرض الأندلس عائداً إلى المغرب، بعد الإفلاج عن محاصرة الحصن، شرع ملوك الطوائف في توظيف قوتهم الدفاعية لدرء أي هجوم مباغت، سواء كان من طرف يوسف أو من جانب ألفونسو السادس. وبورده الأمير عبد الله بن بلقين وصفاً مفصلاً للاستعدادات التي اتخذها في غرناطة (70).

(69) نفس المصدر، ص. 112.

(70) نفس المصدر، ص. 120.

واعتمد ألفونسو على نفوذه العسكري في تهديد أهدائه ، ففرض على ابن هود ، حاكم سرقسطة ، أداء الجزية له (71) . وقد سلك الجيش المسيحي بقيادة « ألفار قانييث » ، لما اضطر عبد الله بن بلقين ، بدوره ، لاهاء ثلاثين ألف مقاتل مقابل أمانه لمدة ثلاث سنين (72) . ولم تجد الدول الطائفية الاخرى مفرأ من الرضوخ لشروط ألفونسو .

وهناك مسألة مهمة أخرى يجب الالتاح عليها عند اعتبارنا لتتاع معركة الزلاقة ، وهي أن الانتصار فيها لم يمه الصراع بين دول الطوائف ، أو يوحدها كما كان متوقعا ، بل أدى إلى الزيادة في توسيع شقة الخلاف بينها . وبالإضافة إلى أموال الجزية التي سلك ملوك الطوائف يؤدونها لألفونسو كانت هناك المبالغ الباهظة التي أنفقت في التودد إلى يوسف . وفي أداء نفقات جيشه بالاندلس . وكان من المستحيل أداء شكل هذه المصاريف علماً بأن الرعايا الاندلسيين رفضوا دفع الضرائب فمجز ملوك الطوائف عن معاقبتهم (73) . ومن الامثلة على ذلك أن الفقيه القليبي كان يجهز في غرناطة بعدم وجوب أداء الضرائب لعبد الله بن بلقين (74) . واستمر الصراع الداخلي بين دول الطوائف حتى عند ما استأنف ألفونسو السادس هجوماته بعد معركة الزلاقة . وكانت ردود فعل الدول الطائفية

(71) نفس المصدر ، ص 122 .

(72) نفس المصدر ، صفحات 127 و 128 .

(73) نفس المصدر ، ص 108 .

(74) نفس المصدر ، ص 110 .

للعنصر الجديد المتمثل في حضور يوسف بالاندلس ردوداً سلبية ذات فظرة قاصرة شأنها شأن سلوكهم ونظرتهم إلى ألفونسو . ولذلك سار تقدم يوسف ابن تاشفين من الجنوب على نفس الاتجاه الذي اتبعه ألفونسو فيما سبق من الشمال . فقد تمكن يوسف من احتلال دول طائفية مختلفة ، الواحدة إثر الأخرى ، بسرعة وفعالية خارقتين . وأدى شل دول الطوائف في نهاية الأمر إلى تبعثرها على نحو مهد لسقوطها بصورة حتمية . وياحتلال يوسف لدول الطوائف ظهر أنه كان أقدر من ألفونسو على القيام بتلك المهمة . وأبرزت الأحوال العسكرية العامة بعد معركة الزلاقة التطورات الاقتصادية والاجتماعية التي حدثت . فلم تكن جيوش دول الطوائف في المستوى المطلوب للدفاع المشترك عن وجودها . إذ كانت أقل نفعاً من جيوش ألفونسو ، ومن جيوش يوسف بن تاشفين أيضاً .

وبالإضافة إلى ما سلف لم يأخذ ملوك الطوائف بتأقاً بعين الاعتبار فكرة اتخاذ تدابير الدفاع الجماعي ، بل انهم لم يتصوروا احتمال توحيد مجهوداتهم عند ما كان ذلك مطلوباً منهم للحفاظ على بقائهم (76) .

الخاتمة : فشل سياسة إشبيلية الخارجية

لم تطل كثيراً فترة تفاؤل ملوك الطوائف بعد معركة الزلاقة . فقد غادر يوسف بن تاشفين الاندلس إلى المغرب ، مرة ثانية ، قبل أن يعود

(76) عبر الأمير عبد الله بن بلقين مراراً في مذكراته عن اعتقاله بأن توحيد ملوك الطوائف كان أمراً مستحيلاً (مثلاً : نفس المصدر ، صفحات 88 و 84) .

ليشارك ملوك الطوائف في محاصرتهم لحصن البيط (Albeit) في سنة 481 هـ / 1088 م . وبعد أن استمر هذا الحصار عدة شهور تغل يوسف منه لاسباب لم تكن واضحة تماماً . فقد أشارت بعض المصادر إلى أن يوسف سمع باستعدادات ألفونسو لنجدة الحصن المسيحي فتلمصكه الخوف ، وعاد إلى المغرب (76) . وتوحي مصادر أخرى بأنه أفلح عن الحصار خوفاً من خيانة بعض ملوك الطوائف أو بعض المتمردين من أمثال ابن رشيق حاكم مرسية . كما خشي إلتحاقهم بصقوف ألفونسو وإخلاقهم بتوازن القوى لصالح المسيحيين (77) . أما العذر الذي كان يتعلل به يوسف فكان برنكز على أن الفرة بين ملوك الطوائف بلغت درجة يرثى لها (78) . ولكن يبدو أن يوسف تأخذ من ضعف ملوك الطوائف وانشقاقهم خلال حصاره لحصن البيط ، فقرر إحتلال دولهم الواحدة تلو الأخرى تنفيذاً لسياسة التوسعية . وكان الجو قد أصبح ملائماً لتدخل يوسف بعد التحولات الجوهرية التي شهدتها الأندلس .

عاد يوسف إلى الأندلس للمرة الثانية فشرع جيشه في إحتلال دول الطوائف . وقد كان ذلك الإحتلال سريعاً وفعالاً لان الدول الطائفية لم تتعاون فيما بينها فاستطاع الجيش المرابطي أن يفضعها . الواحدة إثر الأخرى . ولم يخف ألفونسو السادس أو أي حاكم مسيحي آخر نتجتهم . الامر الذي يشير إلى تفوق جيش يوسف . وانتهت هذه الحملة بنجاح حوالي عام 496 هـ .

(76) « تاريخ روجريهي » ، صفتا 920 - 931 .

(77) « خطاب التبيان » ، صفتا 118 - 119 .

(78) نفس المصدر .

/ 1102 م. باحتلال بلنسية التي كانت قد وقعت في أيدي روبرغو ديبان، المعروف بالسيّد القمبيطور سنة 478 هـ / 1086 م. وسقطت إشبيلية عام 484 هـ / 1091 م. بعد مقاومة شديدة وطويلة ورغم أن بعض دول الطوائف قد أبدت مقاومة عنيفة لجيوش يوسف، ومنها إشبيلية وألمرية، فإن بعض الدول الطائفية الأخرى، مثل قرطبة، قد فضلت الاستسلام بشروط ملائمة للملوك وأسراهم (78) وفي النهاية وقعت جميع دول الطوائف تحت سيطرة المرابطين، باستثناء سرقسطة.

وقد فشلت إشبيلية في مقاومة جيش يوسف، حكما أخفقت الدول الطائفية الأخرى. إلا أنه كان لها الفضل في تدخله، لأنه أصبح من الواضح في سنة 481 هـ / 1088 م. أن دول الطوائف ستقع لا محالة إما في أيدي يوسف، أو في قبضة ألفونسو، بسبب ما أصابها من التفتك والنزاع المستمر، فلم يعد في الامكان بقاؤها كوحدات مستقلة. ثم إن القوة العظيمة لجيوش ملهه ليهون وقشتالة من جهة، وجيوش المقاربة من جهة أخرى، أدت إلى إحداث عوة شاسعة بينها وبين دول الطوائف، ثم إلى حمل هذه الدول على الانضمام إلى إحدى الدولتين القويتين.

ولذلك كان سقوط إشبيلية النتيجة النهائية لضعف سياستها الخارجية التي لم تأخذ بعين الاعتبار احتمال تدخل ألفونسو السادس بصورة مباشرة، فأضى بدوره إلى التدخل العسكري من طرف يوسف بن تاشفين. فقد كانت مبادئ سياسة إشبيلية الخارجية، بطريقة غير مباشرة، وراء تزايد

(78) نفس المصدر، صفحات 164 - 165.

وجود ألفونسو في الأندلس وتأثيره فيها ثم إنها لم تعتبر قشتالة منافسة لها في عداوتها للدول الطائفية الضعيفة والقوية على السواء . فقد وافقت إشبيلية على أداء الجزية السنوية لقشتالة ، دون أن تدرك أن قرارها هذا يجعل مملكة قشتالة دولة قوية تصعب مواجهتها ولو بتوحيد قوة الدول الطائفية . ولم يظهر المعتمد بن عباد ، فعلا ، أية شكوك عند ما أبرم اتفاقية تحالفه مع ألفونسو ، إذ لم يتصور في يوم من الأيام أن يسلك الملك القشتالي سياسة يسعى بواسطتها إلى استسلام إشبيلية بدون قيد ولا شرط .

وبلاحظ من جهة أخرى أن المعتمد بن عباد ظل في تطبيق سياسته الخارجية على نفس خطة أبيه المعتضد . فقد ورث المعتمد دولة طائفية أصبحت أقوى بكثير مما كانت عليه سنة 493 هـ / 1041 م . عند ولاية المعتضد ، فواصل السياسة على نسق أبيه . وهكذا اتسعت رقعة نفوذها شرقاً إلى مرسية ، ونحو الشمال الشرقي حتى ضمت قرطبة . إلا أن الضعف الأساسي لهذه السياسة كان في عدم أخذها بعين الاعتبار لتطور العوامل الجديدة . وبالخصوص تزايد قوة ألفونسو السادس بفضل الاستقرار الداخلي بعد توحيد مملكتي ليون وقشتالة ، واستمرار تدفق الأموال المحصل عليها من دول الطوائف الممزقة بعد تنازل قوتها نتيجة نزاعاتها المستمرة المهلكة . ويبدو أن الهدف الأقصى لسياسة إشبيلية لم يكن يقتصر على فرض سيادتها على الأندلس كلها . فإذا نحن اعتبرنا عدم انصاف أهداف إشبيلية بالطابع الواقعي ، ونظرنا على الخصوص إلى التوزيع المتوازن للقوى بين الدول الطائفية ، وصلنا حتماً إلى الاستنتاج بأن سياسة إشبيلية الخارجية كانت تتميز بتناقضات داخلية .

ونلخص في نهاية التحليل إلى القول ، بعد إيراد الاعتبارات السالفة ، بأنه ربما كان من غير المعقول أن تنتظر من سياسة إشبيلية أن تنجح في إقناع الأندلس من تدخل خارجي معنوم ثم إن الدولة الطائفية لم تكن بكيفية تكوينها قابلة للنمو ، كما لاحظ ذلك كل من ابن حزم وابن حبان وعبد الله بن بلقين ، حاكم مرناطة . ولذلك وجب النظر إلى فشل سياسة إشبيلية الخارجية على ضوء ضعف الدولة الطائفية وهشاشتها معنظام حكم سياسي .

المصادر والمراجع

(1) لكسة المصادر

- البكري ، أبو صيد الله بن عبد العزيز ،
جغرافية الاندلس وأورها من كتاب « المسالك والممالك » ، تحقيق
د . عبد الرحمن علي الحجري ، بنغازي ، 1887 هـ / 1968 م .
- ابن الأبار ، أبو عبد الله محمد بن صيد الله القرطبي ،
« الحلة السيراء » ، في جزئين ، تحقيق د . حسين مؤنس ، القاهرة ، 1968 .
- ابن أبي زرع (1) ، أبو الحسن علي بن صيد الله الفاسي .
« الانيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ
مدينة فاس » ، الرباط ، 1972 .

(1) لقد اتفق الاساتذة عبد الله عنون وعبد السلام بن سودة ومحمد الفاسي وإبراهيم
مريجات وشانقيث البورنو على أن كتاب الانيس المطرب بروض القرطاس ليس لابن
أبي زرع ، فمؤلفه الحقيقي هو أبو محمد صالح بن عبد الحلیم .

ابن الاثير ، أبو الحسن علي بن محمد ،

« الكامل في التاريخ » ، الجزء 8 من أصل 8 أجزاء ، بيروت ، 1967 .

ابن يدرون ، أبو القاسم عبد الملك بن عبد الله الحضرمي ،

« حكمة الزهر - وفريدة الدهر » ،

Commentaire historique sur le poète d'Ibn Abdoun par Ibn Radroun, ed. by Hebbart P.A. Dozy. Leliden. 1940.

ابن يسام ، أبو الحسن علي الششتري ،

« الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة » ، 8 أجزاء ، تحقيق د . إحسان

عباس ، ليبيا - تونس ، 1895 هـ / 1975 - 1399 هـ / 1979 م .

ابن بشكوال ، أبو القاسم خلف بن عبد الملك ،

« كتاب الصلة في تاريخ أئمة الاندلس وعلماهم ومحدثهم وفقهائهم

وأديانهم » ، في جزئين ، تحقيق عزة العطار الحسيني ، القاهرة ،

1374 هـ / 1955 م .

ابن بلقين ، الامير عبد الله بن بلقين بن زيري ،

« كتاب التبيان » ، تحقيق أ . ليفي بروفنسال ، القاهرة ، 1956 .

ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد ،

« طوق الحمامة في الالف والالاف » ، تحقيق فاروق سعيد ، بيروت ، 1972 .

« فقط العروس » ، تحقيق سيبولد وترجمه الى الاسبانية لويس

سيكو دي لوثينا ، بلنسية ، 1974 .

- جوهرة أساطير العرب ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، القاهرة ، 1962 .
- ابن حمدون ، أبو المعالي محمد بن الحسن ،
- تذكرة بن حمدون السياسية والأدب الملصقة ، القاهرة ،
- 1864 هـ / 1827 م .
- ابن حمديس ، أبو محمد عبد الجبار السقلي .
- ديوان بن حمديس ، تحقيق د . إحسان عباس ، بيروت ، 1960 .
- ابن خاقان ، أبو نصر الفتح بن أحمد ،
- فرائد العقيان في محاسن الأعيان ، القاهرة ، 1388 هـ .
- مطمح الأنفس ومسرح الأنس في ملح أهل الأندلس ،
- قسطنطينية ، 1302 هـ .
- ابن خلدون ، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد ،
- المقدمة ، في جزئين ، تحقيق د . علي عبد الواحد وافي ، القاهرة ،
- 1376 هـ / 1957 م . - 1378 هـ / 1958 م .
- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر ،
- الجزء 4 من أصل 7 أجزاء ، القاهرة ، 1384 هـ .
- ابن خلصان ، أبو العباس أحمد بن محمد ،
- وفيات الأعيان في أنباء الزمان ، الأجزاء 2 ، 3 ، 4 ، 5 ، 6 ، 7 ، 8 ، ومن أصل
- 8 أجزاء ، تحقيق د . إحسان عباس ، بيروت ، 1968 - 1972 .

- ابن دحي ، أبو الخطاب عمر بن الحسن .
« المطرب من أشعار أهل المغرب » ، تحقيق إبراهيم الأبيري ،
حميد عبد المجيد وأحمد بدوي ، بيروت ، 1874 هـ / 1959 م .
- ابن زيدون ، أبو الوليد أحمد بن عبد الله ،
« ديوان ابن زيدون » ، تحقيق د . علي عبد العظيم ، القاهرة ، 1957
- ابن سعيد ، أبو الحسن علي بن موسى ،
« المغرب في حل المغرب » ، في جزئين ، تحقيق د . شوقي صيف ،
القاهرة ، 1958 - 1955 م .
« كتاب « رايات المبارزين وهايات المميزين » :
El libro de las banderas de los campeones, ed. and tr. into Spanish by Emilia García Gómez, Madrid, 1942
- ابن عباد ، المعتمد محمد بن عباد ،
« ديوان المعتمد بن عباد » ، تحقيق أحمد بدوي وحميد عبد المجيد ،
القاهرة ، 1916 .
- ابن عبد البر ، أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري الأندلسي ،
« التمهيد لما في معرفة أعيان علماء المذهب » ، تحقيق مصطفى بن
أحمد العلوي ومحمد عبد الكريم البكري ، الرباط ، 1287 هـ / 1967 م .
- ابن عبد الحلیم ، أنظر ابن أبي زرع .

ابن عبدون ، أبو محمد عبد المجيد بن عبد الله .

• رسالة في القضاء والحسبة ، تحقيق أ. ليفي بروفنصال تحت عنوان :

Trois traités hispaniques de l'Espagne : Documents arabes inédits sur la vie sociale et économique en occident musulmane au moyen âge Cairo 1958, pp. 8-68.

إن الرسالتين الأخيرتين هما : « رسالة في الادب والحسبة » لابن عبد الرؤوف و « رسالة في أدب الحسبة » للجرجسي .

ابن عذاري ، أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي .

• البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب ، الجزءين 1

و 2 ، تحقيق س. كولن و أ. ليفي بروفنصال ، لندن ، 1951 والجزء

3 ، تحقيق أ. ليفي بروفنصال ، باريس ، 1930 ، الجزء 4 ، تحقيق

د. إحسان عباس ، بيروت ، 1967 .

ابن العماد ، أبو فلاح عبد الهى بن أحمد العسكري الحنبلي .

• شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، الجزء 8 ومن أصل 8 أجزاء .

القاهرة ، 1850 هـ / 1961 م .

ابن فرحون ، برهان الدين إبراهيم بن علي العمري المدني المالكي .

• كتاب «الدباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب » القاهرة ، 1881 هـ

ابن الكردبوس ،

• كتاب « الاكتفاء في أخبار الخلفاء » المنشور في كتاب « تاريخ

الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط ، نصاب جديان » ،

تحقيق د. أحمد مختار العبادي ، مدريد ، 1871 .

- الأدريسي ، أبو عبد الله محمد بن محمد ،
« نزهة المشتاق في اختراق الآفاق » :
*Description de l'Afrique et de l'Espagne, ed. and tr. into French
by Reinsart P. A. Dozy and M. J. de Goeje, Leiden, 1866.*
- الأصفهاني ، عماد الدين محمد بن محمد ،
« خريدة القصر وجريدة أهل العصر » ، الجزء 1 و 2 - تحقيق د . صبر
الدسوقي وعليه عبد العظيم ، القاهرة ، 1964 .
نصوص من « خريدة القصر » في كتاب دوزي :
« تاريخ بني عباد » ، *Historia Abbadidarum* ،
ص 389 - 97 ، 417 - 19 ، 422 .
- الحلي ، شهاب الدين محمود بن سليمان ،
كتاب حسن التوصل إلى صناعة الترسيل ، القاهرة ، 1291 هـ / 1891 م .
- الحميري ، أبو عبد الله محمد بن فتوح ،
« جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس » ، القاهرة ، 1966 .
- الحميري ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم ،
« كتاب روض المعطار في خبر الأقطار » :
*La péninsule ibérique au moyen âge d'après le Kitab ar-Rawd al-Mu'tar
fi Habar al-Akbar al-Imam al-Mu'ayyad al-Himyari, ed. and tr. into French by
Evariste Lévi-Provençal, Leiden 1938.*
- الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد ،
« العبر في ذكر خبر من خبر » ، الجزء 8 ومن أصل 14 أجزاء ،
تحقيق فؤاد سيد ، الكويت ، 1980 - 1968 م .

ألفونسو العاشر وسانشو الرابع (آمرا بجمعه) . « أول تاريخ عام لاسبانيا » :

Alfonso X and Sancho IV, compiled by order of, *Primeru crónica general de España*, ed. by Ramon Menendez Pidal with the collaboration of Antonio G. Solalinde, Manuel Namoz Cortes and Jose Gómez Perez, vol. 2 : 2 vols. , Madrid, 1953.

الزجالي ، أبو يحيى عبد الله بن أحمد ،

« ري الاوام ومرعى السوام في نصحت الخواص والعوام » ، تحقيق
د . محمد بن شريفة كالجزة الثاني من كتاب « أمثال العوام في
الاندلس لابي يحيى الزجالي (617 - 694 هـ) . ، فاس ، 1391 هـ / 1971 م .

الضبي ، أبو جعفر أحمد بن يحيى القرطبي ،

« بقية الملتمس في ذكر رجال الاندلس » ، تحقيق فرانشكو كودرا
وخ . ريبيرا ، مدريد ، 1886 .

الطرطوشي ، أبو بكر محمد بن الوليد .

« سراج الملوك » ، القاهرة ، 1819 هـ .

القلقشندي ، أبو العباس أحمد بن هلي ،

« صبح الأعشى في صناعة الانشاء » ، الجزء 6 من أصل 14 أجزاء ،
(نسخة مصورة عن الطبعة الاميرية) ، القاهرة ، 1958 .

دوزي ، رينهارت ب. أ. (تحقيق) ،

« تاريخ بني عباد: نصوص مخطوطات عربية لم تنشر » :

Historia Abbadidarum: praemissa scriptorum Arabum de ea dynastia facta nunc primum edita, vols. 1-3 (vols. 2-3 are entitled *Scriptorum Abbadis*), Leiden, 1846-63.

عياض ، القاضي عياض بن موسى السبتي الحصبني ،

- « ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك » ،
الجزء 1 ، تحقيق محمد بن تاوييت الطنجي ، الرباط ، 1384 هـ . / 1965 م .
- والجزء 2 ، تحقيق عبد القادر الصحراوي ، الرباط ، 1386 هـ . / 1966 م .

عياض ، أبو عبد الله بن القاضي عياض ،

- « التعريف بالقاضي عياض » ، تحقيق د . محمد بن شريفة ، الرباط ،
(تاريخ نشره غير مثبت) .

مالك ، ابن أنس ، (جمعه سخنون بن سعيد التبوخي) ،

- « المدونة الكبرى » ، الجزء 10 من أصل 11 جزء ، القاهرة ، 1323 هـ .

مؤلف مجهول ،

- « الحلل الموسية في ذكر الاخبار المراكشية » ، تحقيق أ . س .
هلوش ، الرباط ، 1986 .

- « كتاب الاحتفاء في أخبار الخلفاء » ، (المنسوب الى أبي جعفر بن
عبد الحق التزرجي) ، توجد نصوص هذا الكتاب في كتاب دوزي
(تاريخ بني عباد) : *Historia Abbadidarum*, II, pp. 13-27.

- « قصيدة ميوسيد » : *Poema de Mio Cid*, ed. by Colin Smith, Oxford, 1972.

- « تاريخ رودريك » ، منسوب إلى المطران رودريكو :
(attributed to Archbishop Rodrigo). *Historia Roderici*, ed. by Ramón
Menéndez Pidal, in vol. 2 of *La España del Cid*, Madrid, 1929, pp. 913-67.

(2) لائحة المراجع العربية

- ابن شريفة ، د . محمد ،
« أمثال العوام في الأندلس لابي يحيى الزجاجي 671 - 694 هـ . »
الجزء 1 . فاس ، 1896 هـ / 1975 م .
- الحجوي ، الثعالبي محمد بن الحسن ،
« كتاب الفكر السامي في تاريخ الفقه الاسلامي » ، الرباط - فاس ،
1848 هـ .
- الحجوي ، عبد الرحمن علي ،
« تاريخ الأندلس من الفتح الاسلامي حتى سقوط فرناطة (92 - 887 هـ /
711 - 1492 م .) » ، دمشق ، 1976 .
- السعيد م . م . ،
« ديوان المعتضد بن عبد عباد » ، في مجلة « المشرق » ، عدد 5 ،
(1976 م .) ، صفحات 105 - 118 .
- السعيد ، محمد مجيد ،
« الشعر في ظل بني عباد » ، القاهرة ، 1972 م .
- الطوض ، عبد السلام أحمد ،
« بنو عباد باشبيلية » ، تطوان ، 1946 .

المباهي ، أحمد المختار ،

« الصقابة في إسبانيا » ، مدريد ، 1968 م .

المباهي ، عبد المجيد ،

« المجلد في تاريخ الانداس » ، القاهرة ، 1984 .

الفاسي ، عبد الرحمن ،

« ذهل وتعليق حول قضية المعتمد بن عباد » ، في مجلة « المناهل » :

رقم 1 (1304 هـ / 1974 م) ص - 226 - 228 ورقم 2 (1395 هـ /

1975 م) ص - 384 - 352 ورقم 3 (1395 هـ / 1975 م) ص -

340 - 361 ورقم 4 (1395 هـ / 1975 م) ص - 287 - 215 ورقم 5

(1396 هـ / 1976 م) ص - 343 - 369 ورقم 6 (1396 هـ / 1976 م)

ص - 468 - 475 ، ورقم 8 (1397 هـ / 1977 م) و ص - 351 - 371 (يتبع) ،

المرزوقي ، محمد والجلالي ، يحيى بن الحاج ،

« أبو الحسن الحضري » ، تونس ، 1968 .

المرير محمد ،

« كتاب الأبحاث السامية في المحاكم الإسلامية » ، في جزءين ،

تطوان ، 1061 هـ / 1965 م .

الهراس ، عبد السلام ،

« ابن اللبنة » ، في مجلة « البحث العلمي » ، رقم 2 (1384 هـ /

1984 م . ص . 245 - 263 ورقم 8 (1384 هـ . / 1964 م .) ص .
219 - 240 .

بلقرنج ، أحمد ، وخليفة ، عبد الجليل ،
« الادب الاندلسي » ، الجزء 1 ، تطوان ، 1360 هـ . / 1941 م .

خالص ، د . صلاح ،

« إشبيلية في القرن الخامس الهجري ، دراسة أدبية ، تاريخية لنشوء
دولة بني عباد في إشبيلية وتطور الحياة الادبية فيها (414 - 461) ،
بيروت ، 1965 م .

« المعتمد بن عباد الاشبيلي ، دراسة أدبية ، تاريخية » ، بغداد ، 1958 .
« محمد بن عمار الاندلسي ، حياته وشعره » ، بغداد ، 1967 .

زمامة ، عبد القادر ،

« المعتمد بن عباد » ، في مجلة البحث العلمي ، العددان 11 - 13
(1387 هـ / 1967 م .) ص . 127 - 136 .

ضيف ، د شوقي ،

« ابن زيدون » ، القاهرة ، 1958 .

عباس ، د . إحسان ،

« تاريخ الادب الاندلسي ، عصر الطوائف والمرابطين » ، بيروت ،
1960 .

- عبد العظيم ، علي ، *البحر الأدبي* ، دار المعارف ، القاهرة ، 1955 م .
- « ابن زيدون عصره ، حياته ، أديبه » ، القاهرة ، 1955 م .
- ملان ، محمد عبد الله ، *البحر الأدبي* ، دار المعارف ، القاهرة ، 1969 .
- « دول الطوائف » ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، 1969 .
- هزام ، عبد الوهاب ، *البحر الأدبي* ، دار المعارف ، القاهرة ، 1969 .
- « المعتمد بن عباد ، الملك الجواد الشجاع الشاعر المرزا » ، القاهرة ، 1969 .
- محمود ، الحسن أحمد ، *البحر الأدبي* ، دار المعارف ، القاهرة ، 1957 .
- « قيام دولة المرابطين ، صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى » ، القاهرة ، 1957 .
- مكي ، د . الطاهر أحمد ، *البحر الأدبي* ، دار المعارف ، القاهرة ، 1966 م .
- « ابن بسام ، صاحب الذخيرة في معاسن أهل الجزيرة » ، في مجلة « البحث العلمي » ، رقم 8 (1387 هـ / 1966 م .) ص . 186 - 192 .
- مكهن ، عبد القادر ، *البحر الأدبي* ، دار المعارف ، القاهرة ، 1967 م .
- « المعتمد بن عباد ، في مجلة « البحث العلمي » ، العددان 11 - 12 (1987 هـ / 1967 م .) ص . 137 - 136 .

(8) لائحة المراجع باللغات الأجنبية

Abdul Qadir, Muhammad al-Aroosi,

The Reception and Development of
Malikite Legal Doctrine in the Western
Islamic World, unpublished Ph.D. thesis,
Edinburgh, 1973.

Altamira, Rafael,

Historia de España y de la Civiliza-
ción española, vols. 2, 4, 4th ed., Barcelona,
1928.

Aluch, Abdelkrim,

Organización administrativa de las
ciudades en el Islam Español, unpublished
doctoral thesis, Granada, 1980.

Amador de Los Rios, José,

Historia social, política y religiosa
de los judíos de España y Portugal, Madrid,
1980.

Amedroz, H. F.,

The Hisba Jurisdiction in the Ahkam
Sultaniyya of Mawardi, J. R. A. S., (1916), pp.
77-101, 287-314.

Antuña, Melchor,

Ibn Hayyan de Cordoba y su historia
de la España musulmana, C.H.E., IV (1946),
pp. 5-71.

Ashtor, A.,

Prix et salaires dans l'Espagne musulmane au Xe et XIe siècles, A.E.S.C., XX (1965), pp. 664-79.

Asín Palacios, Miguel,

Abenházam de Córdoba y su Historia crítica de las ideas religiosas, vol. 1, Madrid, 1927.

Un códice inexplorado del cordobés Ibn Hazm, A.A., II (1954), pp. 1-58.

Baer, Yitzhak,

A History of the Jews in Christian Spain, vol. 1, Philadelphia, 1961.

Bernard, Richard,

L'Islam et les musulmans chez les chroniqueurs castillans au milieu du Moyen Age, H.T., XII (1971), pp. 107-52.

Bishko, L. J.,

Fernando I y los orígenes de la alianza castellano-leonesa con Cluny, C.H.E., XLVII-VIII, (1968), pp. 31-135.

Bosch Vila, Jacinto,

Consideraciones sobre «al-Tagr en al-Andalus», in Etudes d'Orientalisme dédiées à la mémoire de Lévi-Provençal, vol. 1, Paris, 1962, pp. 23-33.

Brockelmann, Carl,

Geschichte der Arabischen Litteratur,
3 vols. and 2 supplements, Leiden, 1887-49.

Brunschvig, Robert,

Urbanisme médiéval et droit musulman,
R.E.I., XV (1947), pp. 127-65.

Polémiques médiévales autour du rite
de Malik, A.A., XV (1950), pp. 377-415.

Burckhardt, T.,

Moorish Culture in Spain, London, 1972.

Castro, Américo,

La realidad histórica de España,
2nd ed., Mexico 1962,

Los Españoles: como llegaron a serlo,
2nd ed., Madrid, 1965.

Chalmeta y Jendron, Pedro,

El señor del zoco en España, Madrid,
1973.

Historiografía medieval hispánica :
arabica, A.A., XXXVII (1972), pp. 353-404.

Chejne, Anwar G.,

Muslim Spain, Its History and Culture,
Minnesota, 1974.

Codera, Francisco,

Estudios críticos de historia arabe-
española, ser. 1-2 (in 3), Saragossa, 1903-17.

Colmeiro, Manuel,

Historia de la economía política en España, repr., Madrid, 1865.

Compton, Linda,

Andalusian Lyrical Poetry and Old Spanish Love Songs: The Muwashshah and its Kharja, New York, 1976..

Cous, Auguste,

Un poète arabe d'Andalusie: Ibn Zaidoun, étude d'après le Diwan de ce poète et les principales sources arabes, Constantine, 1920.

Cubero Fierro, Antonio,

Al-Motadhid rey moro de Sevilla, Sevilla 1930.

Dozy, Reinhart P. A.

Recherches sur l'histoire et la littérature de l'Espagne pendant le Moyen Age, 2 vols., Leiden, 1860.

Histoire des Musulmanes d'Espagne jusqu'à la conquête de l'Andalousie par les Almoravides, 2nd ed., 3 vols ed. by E. Lévi-Provençal, Leiden, 1932.

Drury, Tom,

The Image of Alfonso VI and his Spain in Arabic Historians, unpublished Ph.D. thesis, Princeton, 1974.

Dufourcq, C.-E. and Gautier-Dalché, J.,
Histoire de l'Espagne au Moyen Age.
Publications des années 1948-1969. R. H.,
CCXLV (1971), pp. 127-88, 443-82.

Economies, sociétés et institutions
de l'Espagne chrétienne du Moyen-Age. M. A.,
LXXIX (1973), pp. 73-122.

Font Rius, José Maria,
Instituciones medievales españolas: la
organización política, económica y social
de los reinos cristianos de la Reconquista.
Madrid, 1949.

Freeman-Grenville, G. S. P.,
The Muslim and Christian Calendars,
London, 1983.

García de Cortazar, José Angel,
La época medieval, 2^{ed.}, Madrid 1974.
Nueva Historia de España en sus textos:
Edad Media, Santiago de Compostela. 1975.

García Gómez, Emilio,
Cinco poetas musulmanes: biografías
y estudios, Madrid, 1944.
Poesía arabigondaluza: breve síntesis
histórica, Madrid, 1952.

A propósito de Ibn Hayyán, A. A., XI
(1946), pp. 345-424.

La poésie politique sous le Califat
de Cordoue, R.E.I., XVII (1949), pp. 1940.

Bagdad y los reinos de Taifas, R.O.,
CXXVII (1944), pp. 1-22.

Gardet, Louis,

La cité musulmane: vie sociale et politique, 4th ed., Paris, 1976.

Gautier-Dalché, J.,

L'histoire monétaire de l'Espagne septentrionale et centrale du IX^e au XII^e siècles: quelques réflexions sur divers problèmes, A.E.M., VI (1969), pp. 45-95.

Glick, Thomas F.,

Islamic and Christian Spain in the Early Middle Ages, Princeton, 1979.

Glick, Thomas F. and Pi-Sunyar, O.,

Acculturation as an Explanatory Concept in Spanish History, C.S.S.H., VI (1969), pp. 135-54.

Goldman, S.,

The Development of Historical Writing among the Moslems in Spain, unpublished Ph.D. thesis. Oxford, 1956.

Graetz, Hirsch,

Les juifs d'Espagne (945-1805), tr. into French by G. Stenne, Paris, 1872.

Grassotti, Hilda.

Para la historia del bótín y de las parias en León y Castilla, Buenos Aires 1964.

Guichard, Pierre,

Structures sociales «orientales» et «occidentales» dans L'Espagne musulmane, Paris and the Hague, 1977.

Hamidullah, Muhammad,

Muslim Conduct of State, 3rd ed., Lahore, 1953.

Hazañas y la Rúa, Joaquín,

Historia de Sevilla, repr., Seville, 1974.

Hitchcock, Richard.,

An Examination of the Term «Mozarab» in Eleventh and Twelfth-century Spain, unpublished Ph. D. thesis, St. Andrews, 1984.

El Rito hispánico, las Ordalias y los Mozárabes en el Reinado de Alfonso VI, E.O., VIII (1973). pp. 19-41.

Hitti, Philip,

History of the Arabs from the Earliest Times to the Present, 8th ed., London, 1958.

Hole, Edwin,

Andalus, Spain under the Muslims, London, 1958.

Huici Miranda, Ambrosio,

Historia musulmana de Valencia y su región: Novedades y rectificaciones, vols. 1-2, Valencia, 1969-70.

Las grandes batallas de la Reconquista durante las invasiones africanas (Almorvídes, Almohádes y Benimerínes), Madrid, 1956,

Las luchas del Cid Campeador con los Almorávides y el enigma de su hijo, Diago, H.T., XI (1965). pp. 79-114.

Immamudin, S.M.,

Some Aspects of the Socio-economic and Cultural History of Muslim Spain, 711-1492 A.D., Leiden, 1965.

A Political History of Spain, Dacca, 1961.

Jackson, Gabriel,

The Making of Medieval Spain, London, 1972.

Jover, Jose Maria,

Panorama of Current Spanish Historiography, tr. into English by Daphne Woodward, C.H.M., VI (1961), pp. 1023-38.

Lacarra, Jose María,

Aspectos económicos de la sumisión de los reinos de Taifas (1010-1102), in Homenaje a Jaime Vicens, vol. 1, Barcelona, 1965, pp. 255-77.

Les villes frontières dans l'Espagne des XI^e et XII^e siècles, M.A., LIX (1963), pp. 205-22.

Lafuente Alacantara, Modesto,

Historia general de España, vol. 3,
Barcelona, 1888.

Lapeyre, Henri,

Interprétations de l'histoire d'Espa-
gne: Américo Castro et Claudio Sanchez
Abornoz, A.E.S.C., XX (1965), pp. 1015-37.

Lapidus Ira M.,

Muslim Cities in the Later Middle
Ages, Cambridge, Massachusetts, 1967.

The Early Evolution of Muslim Urban
Society, C.S.S.H., XV (1973), pp. 21-50.

Lévi-Provençal, Evariste,

Histoire de l'Espagne musulmane,
3 vols., Paris, 1950.

L'Espagne musulmane au X^{ème} siècle,
institutions et vie sociale, Paris, 1932.

Inscriptions arabes d'Espagne, Leiden-
Paris, 1951.

La civilisation arabe en Espagne,
vue générale, Cairo, 1938.

Alfonse VI et la prise de Tolède,
H. T., XII (1931) pp. 31-49.

Hispano-Arabica: La «Mora Zaida»,
femme d'Alfonse VI de Castille et leur fils
l'enfant Don Sancho, H.T., XVII (1934), pp. 1-8.

Sur de nouveaux manuscrits de la Dahirra
d'Ibn Bassam H.T., XVI (1953), pp. 158-61.

En relisant le Collier de la Colombe,
A.A., XV (1950), pp. 335-75.

«Mu'tadid», E.I., 1, vol. 3, pp. 777-78,
«Mu'tamid», E.I., I, vol. 3, pp. 779-81,
«Seville», E.I., 1, vol. 4, pp. 234-37,
«Abbadids (Banu'Abbad)», E.I., 2, vol. 1, pp. 5-7.

Lévi-Provençal, Evariste
and Garcia Gómez, Emilio.

Alfonso VI y su hermana la infanta
Urraca, A.A., XIII (1948), pp. 157-66.

Lévi-Provençal, Evariste, Garcia
Gómez, Emilio, and Olivier Asin, J.,

Novedades sobre la batalla llamada
al-Zallaqa (1086) A.A., XV (1950), pp. 11-55.

Lewis, Archibald R.,

Naval Power and Trade in the Mediter-
ranean A. D. 500-1100, Princeton, 1961.

Lombard, Maurice.

L'Islam dans sa première grandeur,
VIII^{ème} - XI^{ème} siècle, Paris, 1971.

Lourie, E.,

A Society Organised for War: Medieval
Spain, P.P., no. 5 (1968), pp. 54-78.

Mackay, Angus,

Spain in the Middle Ages, from Frontier to Empire, 1000-1500, London-Basingstoke, 1977

Makki, M.A.,

Ensayo sobre las aportaciones orientales en la España musulmana, y su influencia en la formación de la cultura hispano-arabe, R. I. E. E. I. M., IX-X (1961-62), pp. 66-231.

Margoliouth, D.S.,

Lectures on Arabic Historians, Calcutta, 1930.

Mena, José María de,

Historia de Sevilla, Seville, 1970.

Méndez Bejarano, Mario,

Histoire de la Juiverie de Seville, Madrid, 1922.

Menéndez Pidal, Ramón

La España del Cid, 2 vols, Madrid, 1929.

Historia de España: IV: España musulmana, 711-1081, Madrid, 1957.

Menéndez Pidal, Ramón,
and García Gómez, Emilio,

El conde mozárabe Sinsnando Davidiz y
la política de Alfonso VI con las Taifas,
A. A., XII (1947), pp. 27-41.

Miles, George C.,

Coins of the Spanish Muluk al-Tawa'if,
New York, 1954.

Monès, Hussayn,

Consideraciones sobre la época de los
reyes de Taifas, A. A., XXXI (1968),
pp. 205-28.

Le rôle des hommes de religion dans
l'histoire de l'Espagne musulmane jusqu'à
la fin du Califat, S. I., XX (1964), pp. 47-88.

La division político administrativa
de los reyes de Taifas, R.I.E.E.I.M., V (1967),
pp. 79-138.

Monroe, James T.,

Hispano-Arabic Poetry; a Student
Anthology, Berkeley, 1974.

Morales Belda, Francisco,

La marina de al-Andalus, Barcelona,
1970.

Moreno Nieto, José,

Estudio crítico sobre los historia-
dores arábigo-españoles, Madrid, 1864.

Nassif, Boulos Elias,

La Dajira de Ibn Bassam al-Santarini,
estudio crítico de su contenido, unpublsh-
ed doctoral thesis, Madrid, 1962.

Neumann, A. A.,

The Jews in Spain : Their Social,
Political and Cultural Life during the
Middle Ages, 2 vols., Philadelphia, 1944.

Palencia, A. Gonzalez,

Historia de la literatura arábigo-
española, 2nd ed., Barcelona, 1945.

Pellat, Charles,

Ibn Hazm, bibliographe et apologiste
de l'Espagne musulmane, A. A., XI (1954),
pp. 58-102.

Pérez. Herni,

La poésie andalouse en arabe classi-
que au XI^{ème} siècle: ses aspects généraux
et sa valeur documentaire, 2nd ed., Paris
1953.

Les éléments ethniques de l'Espagne musulmane et la langue arabe, au V^e / XI^e siècles, in Etudes d'Orientalisme dédiées à la mémoire de Lévi-Provençal, vol.2, Paris 1962, pp. 717-51.

Pons Boigues, Francesco.

Los historiadores y geógrafos arábigo-españoles, 800-1450 A.D., repr. Amsterdam, 1972.

Powers, James F.,

The Origins and Development of Municipal Military Service in the Leonese and Castilian Reconquest, 800-1250, T., XXVI (1970), pp. 81-111.

Prieto y Vives, Antonio,

Los reyes de Taifas: estudio histórico-numismático de los musulmanes españoles en el siglo V de la Hégira (XI de J.C.), Madrid, 1928.

Requena, Fermín,

Muhammad y al-Qasim «amires» de Algeciras, Antequera, 1956.

Russell, P.E.,

Spain: A Companion to Spanish Studies, London, 1973.

The Nessus-Shirt of Spanish History,
B.H.S., XXXVI (1959), pp. 219-25.

Sánchez Albornóz, Claudio,

La España musulmana, 2 vols., 3rd ed.,
Madrid, 1975.

En torno a los orígenes del feudalismo,
2 vols., Buenos Aires, 1972.

Espagne pré-islamique et Espagne mu-
sulmane, R. H., CCXXXVII (1967), pp. 295-338.

Sánchez Alonso, Benito,

Historia de la Historiografía española
vol. 1; 3 vols., Madrid, 1941-50.

Fuentes de la Historia española y his-
pano-americana, vol. 1, 3rd ed., Madrid 1952.

Scheindlin, Raymond P.,

Form and Structure in the Poetry of
al-Mu'tamid Ibn'Abbad, Leiden, 1974.

Seco de Lucena, Parades Luis,

Sobre el «Naqt-'arus» de Ibn Hazm de
Cordoba, Ibn Hazm, historiador político, A.A.,
VI (1941), pp. 357-75.

Soldevilla, Ferran,

Historia de España, vol. 1, Barcelona,
1952.

Sordo, Enrique,

Moorish Spain, Cordoba, Seville and Granada, tr. into English by Ian Michael, London, 1965.

Soufi, Khaled,

Los Banū Yahwar en Cordoba, 1051-1070 de J.C.-422-462 H., Cordoba, 1966.

Stern, Samuel Miklos,

Hispano-Arabic Strophic Poetry, selected and ed. by L. P. Harvey, Oxford, 1974.

Suarez Fernandez, Luis,

Historia de España. Edad Media, Madrid, 1970.

Tedgini, B.,

Un roi poète ou al-Mo'tamid Ibn'Abbad, prince de Séville, Casablanca-Fez, 1959.

Târès, Elias,

Linajes árabes en al-Andalus, según la «Yamhara» de Ibn Hazm, A.A., XXII (1957), pp. 55-112.

Enseñanzas de Ibn Hazm en la «Yadwat al-Muqtabis» de al-Humaydi, A.A., XXIX (1964), pp. 147-78.

Terrasse, Henri,

Islam d'Espagne, Paris, 1958.

Caractères généraux des émirats espagnols au XI^{ème} siècle, R.C.M.M., no. 2 (1966), pp. 189-98.

La vie d'un royaume berbère au I^{er} siècle: l'émirat ziride de Grenade M.C.V., 1 (1966), pp. 73-86.

Tibi, Amin Tawfiq,

The Tibyan of 'Abdullah b. Bulugguin, Last Zirid Amir of Granada, unpublished Ph.D. thesis, Oxford, 1972.

Torres Balbas, Léopoldo,

Ciudades hispano-musulmanas, 2 vols., Madrid, 1972.

Notas sobre Sevilla en la época musulmana, A.A., X (1945), pp. 237-66.

Plazas, zócos y tiendas de las ciudades hispano-musulmanas, A. A., XII (1947), pp. 457-76.

Turki, Abdel Majid,

La vénération pour Malik et la physiologie du Malikième andalous, S. I., XXIII (1971), pp. 41-66.

Ubieta Arteta, Antonio,

Ciclos económicos en la Edad Média española, Valencia, 1969.

Ubieta Arteta, Antonio, Regla, Juan, and Jover, José María,

Introducción a la historia de España, Barcelona, 1968.

Urvoy, Dominique,

Le monde des Ulémas andalous du V-XI^e au VI-XIII^e siècle, Geneva, 1978.

Valdeavellano, Luis García de,

Curso de Historia de las Instituciones españolas: de los orígenes al final de la Edad Média, 2nd ed., Madrid, 1970.

Historia de España: de los orígenes a la baja Edad Média, vol. 1, part 2, 3rd ed., Madrid, 1963.

Orígenes de la burguesía en la España medieval, Madrid, 1969.

Valdeón, Julio,

El reino de Castilla en la Edad Média, Bilbao, 1968.

Varliden, Charles,

L'Esclavage dans l'Europe médiévale, péninsule Ibérique-France, vol. 1, Bruges, 1955.

Vernet, Juan Ginés,

Los musulmanes españoles, Barcelona,
1981.

Vicens Vives, Jaime,

Aproximación a la historia de España,
3rd ed., Barcelona, 1982.

Historia social y económica de España
y América, colonizaciones, feudalismo,
América primitiva, vol. 1, Barcelona, 1957.

Vicens Vives, Jaime, with the Collaboratio
of Jorge Nadal Oller,

Manual de historia económica de España
5th ed., Barcelona, 1964.

Vilar, Pierre,

Histoire de l'Espagne, 6th ed., Paris,
1965.

Watt, W. Montgomery and Cachia, Pierre,

A History of Islamic Spain, Edinburgh,
1965.

Whishaw, Bernhard and Ellen M.,

Arabic Spain, London, 1912.

٤) تعريب لائحة المراجع باللغات الاجنبية

- هدى انقادى ، محمد العروسى ،
« تقبل وتطور المذهب المالكي في الغرب الاسلامى » .
الطامرا ، رفائيل ،
« تاريخ إسبانيا والحضارة الاسبانية » .
علوش ، د. عبد الكريم ،
« التنظيم الادارى للمدن في إسبانيا الاسلامية » .
أماذور دى لوس ريبوس ، خوسى ،
« تاريخ اليهود الاجتماعى والسياسى والدينى في إسبانيا والبرتغال » .
اميدروز ، هـ . ف . ،
« نظام الحسبة في كتاب الاحكام السلطانية للموردي » .
أتونيا ، ميلغور ،
« ابن حيان القرطبي وتاريخه لاسبانيا الاسلامية » .
أشطور ، أ . أ . ،
« الاسعار والاجور في إسبانيا الاسلامية في القرنين العاشر
والخامس عشر » .

أسين بالاثيوس ، ميغيل ،

« ابن حزم القرطبي وتاريخه النقدي للانحصار الذهبية » .

« مدونة غير معروفة لابن حزم القرطبي » .

أورغوا ، دومينيك ،

« عالم العلماء الأندلسيين من القرنين الخامس إلى السابع الهجري » .

بارناود ، ريتشارد ،

« الإسلام والمسلمون عند المؤرخين القشتاليين في منتصف

القرون الوسطى » .

بيشكو ، ل . ج . ،

« فيرناندو الأول - أصول حلف قشتالة وليون مع كلوني » .

بوش فيلا ، خاسينطو ،

« اعتبارات حول مفهوم الثغر في الأندلس » .

بروكيلمان ، كارل ،

« تاريخ الأدب العربي » .

برونشفيك ، روبرت ،

« تخطيط المدن في القرون الوسطى والقانون الإسلامي » .

« الجدل في القرون الوسطى حول مذهب مالك » .

أسين بالاثيوس ، ميغيل ،

« ابن حزم القرطبي وتاريخه النقدي للانحصار الذهبية » .

« مدونة غير معروفة لابن حزم القرطبي » .

أورغوا ، دومينيك ،

« عالم العلماء الأندلسيين من القرنين الخامس إلى السابع الهجري » .

بارناود ، ريتشارد ،

« الإسلام والمسلمون عند المؤرخين القشتاليين في منتصف

القرون الوسطى » .

بيشكو ، ل . ج . ،

« فيرناندو الأول - أصول حلف قشتالة وليون مع كلونفي » .

بوش فيلا ، خاسينطو ،

« اعتبارات حول مفهوم الثغر في الأندلس » .

بروكيلمان ، كارل ،

« تاريخ الأدب العربي » .

برونشفيك ، روبرت ،

« تخطيط المدن في القرون الوسطى والقانون الإسلامي » .

« الجدل في القرون الوسطى حول مذهب مالك » .

- بورخفارت ، ط . .
- « الثقافة الاسلامية في إسبانيا » .
- هاسطرو ، أميريكو ،
- « الواقع التاريخي لاسبانيا » .
- « الاسبانيون وكيف نشأوا » .
- شالميطا بي خيندرون ، بييرو ،
- « صاحب السوق في إسبانيا » .
- شاجنة ، أنوار ،
- « إسبانيا الاسلامية ، تاريخها وثقافتها »
- كوديرا ، فرانثيسكو ،
- « دراسات نقدية للتاريخ العربي الاسباني » .
- كولميرو ، مانويل ،
- « تاريخ الاقتصاد السياسي في إسبانيا » .
- كوميطون ، ليندا فيش ،
- « الموشح والمخرجة » .
- كور ، أوكويست ،
- « شاعر عربي من الاندلس ، ابن زيدون ، دراسة من خلال ديوانه

- وأهم المصادر العربية « . . . »
- سكوييرو فييرو ، أنطونيو ،
- المتضد ، ملك إشبيلية ،
- دوزي ، رابهارط ، ب . أ . ،
- أبحاث حول تاريخ إسبانيا وأديها خلال القرون الوسطى ،
- تاريخ المسلمون في إسبانيا إلى احتلال المرابطين لاندلس ،
- دروري ، طوم ،
- صورة ألفونسو السادس وإسبانيا في مهده حسب المؤرخين العرب ،
- دونورك ، س . أ . وجوتيي - دالشي ، ج . ،
- تاريخ إسبانيا في القرون الوسطى : الطبوعات خلال السنوات 1948 - 1969 ،
- الاقتصاد والمجتمع والمؤسسات في إسبانيا المسيحية خلال القرون الوسطى ،
- فونت روبس ، خوسي ماريا ،
- المؤسسات الاسبانية في القرون الوسطى : التنظيم السياسي والاقتصادي والاجتماعي عند الممالك المسيحية خلال حرب الامتراجاع ،
- فريمانث - كرينفيل ، ج . س . ب . ،
- التقويمات الاسلامي والمسيحي ،

- سكارثيا دي كورطثار ، خوسي أنجيل ،
- عهد القرون الوسطى .
- تاريخ إسبانيا الجديد من خلال نصوصه في القرون الوسطى .

سكارثيا كوميث ، إميليو .

- خمسة شعراء مسلمين : تراجمهم ودراسات عنهم .
- الشعر العربي الأندلسي : ملخص تاريخي وجيز .
- حول ابن حيان .
- الشعر السياسي خلال عهد خلافة قرطبة .
- بغداد وملوك الطوائف .

سكاردني ، لوي .

- المدينة الإسلامية : الحياة الاجتماعية والسياسية .

- هوتي - والشبيح .
- تاريخ نقود إسبانيا الشمالية والوسطى من القرن التاسع إلى القرن الثاني عشر : تأملات حول عدة مشاغل .

- طوماس ف .
- إسبانيا الإسلامية والمسيحية في أوائل القرون الوسطى .

- طوماس ف و بي - سونيار ، أ .
- التكيف الثقافي كتنصير لشرح التاريخ الإسباني .

- هولدمان ، س . .
» تطور الكتابة التاريخية عند المسلمين في إسبانيا « .
- كرايمتز ، هيرش ،
» يهود إسبانيا (945 - 1205) « .
- كراسوطي ، هيلدا ،
» حول تاريخ الشنمة والجزية في لبون وقشتالة « .
- كيشار ، بيير ،
» التراكيب الاجتماعية (الشرقية) و (الغربية) في إسبانيا الإسلامية « .
- حميد الله ، محمد ،
» سيرة الدولة الإسلامية « .
- هاناناس بي لارووا ، خواكين ،
» تاريخ إشبيلية « .
- هيشوك، ريتشارد ،
» مناقشة لفظ المغرب في إسبانيا خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر « .
» المذهب الإسباني والمغربيون في مملكة ألفونسو السادس « .
- حتي ، فيليب ،
» تاريخ العرب منذ البداية إلى الحاضرة « .

- هول ، إيدوين .
- الاندلس : إسبانيا تحت حكم المسلمين .
- ويلي ميراندا ، أمبروسيو ،
- تاريخ بلنسية الاسلامية وناحياتها : محدثات وتمديدات .
- المارك الكيري لحرب الاسترجاع خلال الغزو الافريقي (المرابطون والموحدون وبنو مرين)
- كفافح السيد ضد المرابطين ونزاهته دينيو .
- إمام الدين ، ص . م .
- مظاهر التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والثقافي لاسبانيا الاسلامية .
- التاريخ السياسي لاسبانيا .
- جاكسون ، كابريل ،
- صنع إسبانيا خلال القرون الوسطى .
- خوقير ، خوسي ماريا ،
- نظرة عامة حول كتابة التاريخ الاسباني الحالي .
- لاكارا ، خوسي ماريا ،
- المظاهر الاقتصادية لخضوع ملوك انطوائف 1010 - 1102 .
- مدن الحدود في إسبانيا خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر .

- لافونتي الكانترا ، موديسكو ، روزينا ، ...
« تاريخ إسبانيا العام » .
لابيري ، هنري ،
تفسيرات للتاريخ الإسباني : أميركو كاسترو وسانشيث البورنوك .
لابيدوس ، إيرام .
« المدن الإسلامية خلال القرون الوسطى المتأخرة » .
« التطور البدائي للمجتمع الحضري الإسلامي » .
ليفني برونصال ، إيفاريسنت ،
« إسبانيا الإسلامية في القرن العاشر ، مؤسساتها وحياتها الاجتماعية » .
« تاريخ إسبانيا الإسلامية » .
« نقوش عربية من إسبانيا » .
« الحضارة العربية في إسبانيا ، نظرة عامة » .
« ألفونسو السادس واحتلال طليطلة » .
« زائدة ، الزوجة المسلمة لألفونسو السادس ملك قشتالة وأبنةها
الأمير دون سانشو » .
« حول مخطوطات جديدة لكتّاب الذخيرة لابن بسام » .
« قراءة جديدة لكتّاب طوق الحمامة » .
« المعتصم - المعتد - إشبيلية - بنو عباد » .

- ليفي بروفنصال ، إيفاريسست ، وكنارثيا كوميث ، إنيمانيو ،
- ألفونسو السادس وأخته الاميرة أوراسكا . .
- ليفي بروفنصال ، إيفاريسست وكنارثيا كوميث .
- إيميليو أولنيسي آسين ، خ . .
- معلومات جديدة عن معركة الزلاقة (1088) . .
- لويس ، أرشيبالد ر . .
- القوة البحرية والتجارة في البحر الابيض المتوسط 600 - 1100 م . .
- لومبار ، موريس ،
- الاسلام في عظمته الاولى ، القرن الثامن الى القرن الحادي عشر . .
- لوري ، أ . .
- المجتمع المنظم للحرب : إسبانيا في القرون الوسطى . .
- ماكلي ، أنكوس ،
- إسبانيا في القرون الوسطى ، من حروب الحدود إلى قيام الامبراطورية 1000 - 1500 . .
- مكلي ، م ، ع . .
- عرض حول مساهمة المشرق في الاندلس وتأثيرها في تكوين الثقافة الاسبانية العربية . .

- مورغوليوث ، د. س . .
- محاضرات حول المؤرخين العرب ،
- ميئا ، خوسي ماريا دي ،
- تاريخ إشبيلية ،
- مينديث بيخارانو ، ماريو ،
- تاريخ الطائفة اليهودية في إشبيلية ،
- مننديث بيدال ، رامون ،
- إسبانيا في عهد السيد ،
- تاريخ إسبانيا الإسلامية 711 - 1031 ،
- مننديث بيدال ، رامون وثرثيا ثوميث ، إيجيليو ،
- الحكومت العرب سيسناندو دافنديث وسهامة ألفونسو السادس مع دول الطوائف ،
- ماهلز ، جورج س ،
- نقود ملوك الطوائف الاسبانيين ،
- مؤنس ، حسين ،
- اعتبارات حول ملوك الطوائف ،
- دور الفقهاء في تاريخ إسبانيا الإسلامية إلى نهاية الخلافة ،
- التقسيم السياسي والاداري لممالك الطوائف ،

- موترو ، جاهز ط . ،
» الشعر الاسباني العربي : مجموعة للطلاب « .
- موراليس بيلدا ، فرانشيسكو ،
» البحرية في الأندلس « .
- مورينو نيطو ، خوسي ،
» دراسة نقدية حول المؤرخين العرب - الاسبان « .
- ناصر ، بولس الياس ،
» الذخيرة لابن بسام الشنتري ، دراسة نقدية لمضمونها « .
- نيومان ، أرييل ،
» اليهود في إسبانيا : حياتهم الاجتماعية والسياسية والثقافية خلال القرون الوسطى « .
- بالهنا ، آ . كونثاليت ،
» تاريخ الادب العربي الاسباني « .
- بلات ، شارل ،
» ابن حزم ، العالم والمرشد في إسبانيا الاسلامية « .

بيريس ، هيبري ،

» الشعر الأندلسي بالعربية خلال القرن الحادي عشر : مظاهره العامة
وقيمته الوثائقية « .

» العناصر السلالية في إسبانيا الإسلامية واللغة العربية في القرن
الخامس الهجري « .

بونس بويكيس ، فرانيسكو ،

» المؤرخون والجغرافيون العرب - الأسيان ، 800 - 1450 م . . « .

باويرس ، جايمز ف . ،

» أصول وتطور الخدمة العسكرية في ليون وقشتالة خلال حرب
الاسترجاع ، 800 - 1350 م . . « .

بريتو بي فينيس ، أنطونيو ،

» ملوك الطوائف : دراسة تاريخية لتقود المسلمين الأسيانيين في
القرن الخامس الهجري « .

ريكيننا ، فيرمين ،

» محمد والقاسم أميرا الجزيرة الخضراء « .

راسيل ، ب . أ . ،

» إسبانيا : مرشد في الدراسات الإسبانية « .
» خلافاً من التاريخ الإسباني « .

سانشيس الجورفوث ، كلاكوديو ،

« إسبانيا الاسلامية » .

« حول أصول الاقطاعية » .

« إسبانيا ما قبل المسلمين وإسبانيا الاسلامية » .

سانشيث أوفسو ، بينتو ،

« تاريخ التاريخ الاسباني » .

« مصادر تاريخ إسبانيا وأمريكا اللاتينية » .

شاندلين ، رايغوند ، ب . .

« الشكل والبنية في شعر المعتد بن عباد » .

سيكو دي لوثينا ، براديس لويس ،

« حول نقط العروس لابن حزم القرطبي ، ابن حزم مؤرخ سياسي » .

سولدي فيلا ، فران ،

« تاريخ إسبانيا » .

سوردو ، إنريكي ،

« إسبانيا الاسلامية ، قرطبة وإشبيلية وغرناطة » .

الصوفي ، خالد ،

« بني جهور في قرطبة ، 1031 - 1071 م / 422 - 462 هـ » .

ستيرن ، سامويل ميكلوس ،

• الموشحات العربية الاسبانية • .

سواريث فرناندو ، لويس ،

• تاريخ إسبانيا ، القرون الوسطى • .

ديجيني ، ب . .

• الملك الشاعر أو المعتمد بن عباد ، أمير إشبيلية • .

طيريس ، إلياس ،

• الانساب العربية حسب كتاب الجوهرة لابن حزم • .

• تعاليم ابن حزم في كتاب جذوة المقتبس للحميدي • .

طيراس ، هنري ،

• إسلام إسبانيا • .

• مظاهر عامة للامارات الاسبانية خلال القرن الحادي عشر • .

• حياة مملكة بربرية في القرون الحادي عشر : الامارة الزهرية

في غرناطة • .

الطبيبي ، أمين توفيق ،

• كتاب التبيان لعبد الله بن بلقين ، آخر أمير زهري في غرناطة • .

طوريس بالباس ، ليوبولدو ،

- المدن الاسبانية الاسلامية .
- ملاحظات حول إشيباية في العهد الاسلامي .
- الساحات والاسواق والحوانيت في المدن الاسبانية - الاسلامية .

التركي ، عبد المجيد ،

- زواجر مالك والمظهر الخارجي لمذهبه في الاندلس .

أوبيطو أرطيطا ، أنطونيو ،

- دورات إقتصادية في إسبانيا خلال القرون الوسطى .

أوبيطو أرطيطا ، أنطونيو وريغلا ، خوان وخوغير ، خوسي ماريا ،

- مدخل إلى تاريخ إسبانيا .

فالدبا فيلانو ، لويس فرسيا دي ،

- درس في تاريخ المؤسسات الاسبانية منذ نشأتها الى نهاية
- العصور الوسطى .
- تاريخ إسبانيا من نشأتها الى أواخر العصور الوسطى .
- أصول اليورجوازية في إسبانيا خلال القرون الوسطى .

فالدبون ، خولبو ،

- مباحثة فشنالة في القرون الوسطى .

فيرلانديان ، شارل ،

» انريكو في أوروبا خلال القرون الوسطى (شبه جزيرة إيبيريا
والبرتغال) « .

فيرنيت ، خوان ،

» المسلمون الاسبانيون « .

فيسينس فيفس ، خايمي ،

» الاقتراب من تاريخ إسبانيا « .

» التاريخ الاجتماعي والاقتصادي لاسبانيا وأمريكا « .

فيسينس فيفس ، خايمي ، (بالتعاون مع خورخي فادال أويرا) ،

» موجز في التاريخ الاقتصادي الاسباني « .

فيلاز ، بيير ،

» تاريخ إسبانيا « .

واط ، مونتغميري وكاشيه ، بيير ،

» تاريخ إسبانيا الاسلامية « .

ويشا ، بيرنارد وإيلين م . ،

» إسبانيا العربية « .

2019

2019

2019

2019

2019

2019

2019

2019

2019

2019

2019

2019

2019

2019

الفهرس

أرجونة ، 31 ، 82 ، 108 ،	الاجتهاد ، 186 ،
أرحش ، 69 ، 122 ، 249 ،	الاجماع ، 184 ، 186 ، 197 ،
المرجة ، 166 ، 184 ، 185 ،	الادارة ، 37 ،
أنتقرة ، 82 ، 108 ،	الانداس ، 25 ، 26 ، 51 ، 52 ، 54 ،
أنسورجت ، بيدرو ، 265 ،	63 ، 76 ، 80 ، 81 ، 91 ، 101 ،
اعتماد الرميكية ، 70 ،	103 ، 104 ، 106 ، 109 ، 111 ،
أعمال أهل المدينة ، 184 ، 187 ،	113 ، 114 ، 116 ، 121 ، 123 ، 125 ،
أغبات ، 131 ، 188 ، 184 ، 204 ،	126 ، 128 ، 130 ، 132 ، 133 ، 138 ،
إفريقيا ، 181 ،	139 ، 150 ، 154 ، 156 ، 159 ، 161 ،
ألفونسو السادس ، 86 ، 68 ، 69 ،	163 ، 164 ، 166 ، 166 ،
70 ، 74 ، 75 ، 79 ، 89 ، 97 ،	167 ، 168 ، 170 ، 173 ، 179 ،
101 ، 120 ، 121 ، 124 ، 171 ،	180 ، 204 ، 218 ، 219 ، 222 ، 226 ،
172 ، 173 ، 176 ، 208 ، 236 ،	236 ، 240 ، 239 ، 234 ، 227 ، 226 ،
230 ، 234 ، 235 ، 236 ، 238 ،	251 ، 253 ، 255 ، 257 ، 259 ، 261 ،
249 ، 260 ، 251 ، 252 ، 254 ،	264 ، 266 ،
255 ، 257 ، 268 ، 259 ،	أبو هريرة ، 81 ، 185 ،

- 262 ، 263 ، 264 ، 265 ، 266 ، 267 ، 268 ، 269 ، 268
- إسبانيا ، 37 ، 125 ، 168 ، 176 ، الاستدلال ، 136
- إشبهية ، 7-9 ، 42-61 ، 69-69 ، 74 ، 75 ، 77 ، 85 ، 88 ، 91
- 102-104 ، 106-109 ، 111-113 ، 116-119 ، 122 ، 125 ، 127 ، 128
- 131 ، 133 ، 139 ، 140 ، 140 ، 150
- 154 ، 156 - 161 ، 168 - 170
- 175-188 ، 191-194 ، 197 ، 198
- 201-208 ، 210-218 ، 221-224
- 244 ، 245 ، 248 - 250 ، 253
- 265 ، 267 ، 268 ، 268 ، 269 ، 270
- إسطية ، 280
- أهل المدينة ، 132 ، 135 ، 136 ، 137
- ابن الامام التطيلي ، 131
- ابن الانطس ، 61
- ابن الانطس ، المظفر ، 240 ، 243 ، 244
- ابن أبي فرقة ، أبو نور ، 68
- ابن بلقين ، عبد الله ، 30 ، 31 ، 34 ، 65 ، 69 ، 70 ، 71 ، 72
- 73 ، 74 ، 82 ، 94 ، 101 ، 108
- 120 ، 131 ، 172 ، 173 ، 175
- 229 ، 235 ، 236 ، 251 ، 262 ، 264 ، 265 ، 270
- ابن إسماعيل ، عبد الله ، 159
- ابن الباجي ، عبد الملك ، 159
- ابن البرزالي ، 100
- ابن بلقين ، نعيم ، 73 ، 174 ، 176
- ابن تاقناوت ، 81
- ابن أمية
- ابن إسماعيل ، أبو محمد عبد الله ، 204
- ابن برد ، 184
- ابن بسام ، 60 ، 84 ، 100 ، 104 ، 219
- ابن بشكوال ، 139
- ابن حبوس ، جاديس ، 248
- ابن حمديس ، المقلبي ، محمد ، 184
- ابن حمود ، إدريس ، 43
- ابن حدود الحسن بن القاسم ، 49
- ابن حمود ، محمد بن القاسم ، 48
- 47 ، 50 ، 51 ، 52 ، 116 ، 117
- ابن حمود ، علي ، 40 ، 41 ، 42
- 43 ، 44 ، 45 ، 47 ، 48 ، 50

- ابن شيرين ، عبد الله ، 168 .
 ابن شلب ، 253 .
 ابن رشد ، 162 .
 ابن رشيق ، 82 ، 68 ، 87 ، 109 ،
 119 ، 120 .
 ابن زيدون ، أبو الوليد ، 60 ،
 84 ، 188 ، 185 .
 ابن زيدون ، أبو بكر ، 92 ، 93 ،
 102 ، 103 ، 180 .
 ابن زيري ابن دوناس ، محمد ،
 52 .
 ابن زيري ، بلقين ، 42 .
 ابن اللبانة ، 80 ، 189 ، 186 ،
 210 .
 ابن مرتين ، 102 ، 244 ،
 246 .
 ابن مزين ، 247 .
 ابن ميمون ، 31 ، 72 .
 ابن النفرالة ، يوسف ، 176 .
 ابن طيفور ، 240 .
 ابن عباد ، إسماعيل ، بن المعتضد ،
 61 ، 62 ، 64 ، 75 ، 109 ، 227 .
- 51 ، 52 ، 53 ، 54 ، 55 ، 57 .
 58 ، 59 ، 89 ، 170 .
 ابن حمود ، التماسم ، 117 ،
 170 ، 248 .
 ابن حمود ، يحيى ، 30 ، 88 .
 ابن حفص ، أبو الحسن هلي ،
 103 .
 ابن حيان ، 56 ، 61 .
 ابن الخطيب ، 184 .
 ابن حزم ، 138 ، 161 ، 162 ،
 195 ، 209 ، 270 .
 ابن حيمان ، 209 ، 211 ، 213 ،
 214 ، 270 .
 ابن جهور ، 213 ، 230 ، 238 ،
 243 .
 ابن خلدون ، 99 ، 105 .
 ابن خزرون ، عبدون ، 63 .
 ابن خزرون ، محمد ، 249 .
 ابن ذي النون ، 124 ، 170 ،
 177 ، 226 ، 229 ، 238 ، 244 .
 ابن سالم ، عبد الله ، 107 .
 ابن سهل ، القاضي ، 261 .

المدى ، وكذلك الوسائل المتعددة للوصول إليها والاختتام بعرض تقسيم عام للسياسة الخارجية .

وكما أن التقسيم الزمني إلى عدة قرون يعتبر أمراً مناسباً ، فإن من الملائم اختيار عهد بني عباد وعزله على مستوى مجرد ، نستطيع به حصر مجال التخصص والوصول إلى إدراك أعمق لهذا العهد . وقد كان تاريخ دولة إشبيلية الطائفية في الواقع جزء لا يتجزأ من تاريخ الأندلس خلال القرن الهجري الخامس ، حيث أننا نجد تشابهاً في الخصائص البارزة التي كانت وراءها دوانع داخلية وضغوط وتأثيرات خارجية متشابهة . إذ إذا لم تشك من إدراك طبيعة علاقة إشبيلية بالوحدات السياسية الأخرى والقوى التي حركت هذه العلاقات فسيستحيل علينا إدراك الأبعاد المختلفة لسياسة إشبيلية الخارجية .

2 - أهداف السياسة الخارجية

يتعين إدراج سياسة إشبيلية الخارجية خلال عهد بني عباد في إطار شامل للعلاقات الدولية إذا أردنا تقييم طاقنها في إطار الوحدات السياسية المحيطة بها والمجاورة لها فقيماً صحيحاً . فقد كانت إشبيلية بوصفها دولة طائفية تؤثر في مصير الوحدات السياسية الأخرى . إلا أن الاتجاه العام لسياستها الخارجية كان يتأثر باستمرار وبطريقة حاسمة ، بقوى خارجية . والنمط العام الذي نتج عن هذه الظروف يبرز قدرة إشبيلية وسيطرتها الاقتصادية والسياسية على دول الطوائف الضعيفة . كما أن إشبيلية بدورها كانت تخضع للدول الكبرى ، مستسلمة أحياناً ، وأطواراً عن قصد . وهذه

بنو أبي عامر ، 33 ، 34 ، 37 ، 40 ،
90 ، 91 ، 113 ، 220 .

بنو أمية ، 5 ، 6 ، 9 ، 31 ، 34 ،
37 ، 38 ، 40 ، 41 ، 48 ، 67 ،
83 ، 84 ، 91 ، 94 ، 98 ، 119 ،
119 ، 176 ، 177 ، 208 ، 220 ،
231 ، 237 .

بنو الانطس ، 111 ، 220 ، 226 ،
بنو حمود ، 47 ، 49 ، 51 ،
116 ، 156 .

بنو جهور ، 218 ، 220 ، 228 ،
243 .

بنو هباد ، 8 ، 9 ، 25 ، 44 ، 69 ،
65 ، 79 ، 80 ، 83 ، 85 ، 86 ،
87 ، 89 ، 90 ، 94 ، 96 ، 98 ،
99 ، 100 ، 103 ، 105 ، 109 ،
112 ، 139 ، 140 ، 141 ، 160 ،
155 ، 167 ، 169 ، 177 ، 178 ،
181 ، 182 ، 184 ، 198 ، 206 ،
216 ، 217 ، 231 ، 232 ، 230 ،
234 ، 243 .

أبن سعيد ، 165 ،
أبن سهل ، القاضي ، 174 ،
أبن هارون ، 247 ،
أبن وهبون ، 190 ،
أبن يحيى ، أبو القاسم ، 204 ،
247 ، 249 .

أبن الريح ، أبو الحسن ، 182 ،
باجة ، 240 ، 241 ، 242 ،
الباجي ، أبو الوليد ، 181 ، 209 ،
310 .

الباجي ، أبو محمد ، 198 ، 199 ،
الباجي ، عبد العزيز ، 161 ،
البخاري ، 185 .

البربر ، 116 ، 176 ، 210 ، 248 ،
البرزالي ، محمد بن عبد الله ،
58 ، 59 ، 61 ، 75 ، 240 ، 242 .

البرزالي ، المستظهر عزيز ، 248 ،
جزفوس ، 264 .

البيزلياني ، 75 ،
البكري ، أبو عهد ، 185 ، 247 ،
جلسية ، 163 ، 170 ، 171 ، 219 ،
225 ، 268 .

بنو زيري ، 238 ، بطليوس ، 60 ، 61 ، 111 ، 219 ،
البره ، 197 ، 232 ، 237 ، 238 ، 249

ج

جوفر ، 84 ،
الجزيرة الخضراء ، 43 ، 51 ، 170 ، 259 ، 282 ، 242

ح

العاجب جعفر بن عثمان المصفي ،
العصري ، أبو الحسن علي ، 183 ،
184 ، 86 ،
الحاجب ابن خزون ، 68 ،
الحديث ، 184 ، 195 ، 196 ،
حشاد ، علي ، 190 ،
الحوزي ، عمر بن الحسن ، 60

خ

الخبر الاحد ، 138 ،
الخليفة هشام بن عبد الرحمن ، 128

د

دائبة ، 80 ، 170 ، 209 ،
دافديث ، سيستاندو ، 255 ، 258 ،
الدماري ، عماد الدولة مناد ، 248 ،
259 ، 270

. 239 , 237 , 235 - 231	دول الطوائف - دولة طائفة، 126.
. 244 , 247 , 248 - 250 , 254	. 126 , 128 , 169 , 162 , 164
. 259 , 265 , 266 , 268 , 269	. 167 , 170 , 171 , 209 , 211
. 270	. 218 , 219 , 220 , 221 , 223 -

ر

الرعييني المقرئ، أبو الحسن شريح، 160	راميرو الثالث، 88 .
الرسول (ص)، 136 ، 137 .	الرماحي، أبو يوسف، 198 .
رهبان صكلوني، 252 .	رفدة، 68 ، 243 .

ز

الزبيري، القاضي الزبير، 180 .	الزبيري، القاضي الزبير، 180 .
الزفانين، 37 .	الزلاقة، 31 ، 32 ، 69 ، 249 ، 256 .
الزهري، أبو الفتح سعدون، 204 .	. 257 - 260 ، 263 - 265 .

ز

حباب بن تميم، 108 .

ل

لائحة الاساتذة الاشبيليين، 202 -	لائحة تلاميذ الفقيه أبي محمد
. 203	الهاجي، 199 - 201 .

- لائحة المؤلفين الاندلسيين في
مالك بن أنس ، 129 - 130 .
- لائحة المؤلفين الاشبيليين في
المذهب المالكي ، 132 - 133 .
- لائحة الفقهاء الاشبيليين المعاصرين
لبنى عباد ، 141 - 150 .
- لائحة الفقهاء الذين سكنوا
إشبيلية ، 154 - 160 .
- لائحة الفقهاء الذين شغلوا منصب
المشاور بإشبيلية ، 159 - 160 .
- زبلية ، 248 .
- لشبونة ، 241 .
- لوشة ، 91 ، 78 .
- ليون ، 86 ، 97 ، 168 ، 254 .
- ليوسنة ، 31 ، 88 ، 108 .
- ليبط ، 71 ، 120 ، 204 ، 267 .

م

- مالك بن أنس ، 182 ، 145 .
- مالقة ، 81 ، 42 ، 43 ، 59 ، 89 ،
108 ، 116 ، 176 ، 232 ، 238 ،
248
- محمد بن خالد وزير محمد بن
حمود ، 51 .
- المدينة ، 148 .
- مدينة الزهراء ، 89 .
- المذهب الاسباني ، 254 .
- المذهب الحنبلي ، 127 ، 184 .
- المذهب الحنفي ، 137 .
- المذهب الداوودي ، 127 .
- المذهب المالكي ، 9 ، 10 ، 127 ،
128 ، 180 ، 232 ، 184 ، 136 ،
137 ، 138 ، 140 ، 154 ، 161 ،
162
- المذهب الظاهري ، 162 .
- المذهب الشافعي ، 188 .
- المرابطون ، 5 ، 6 ، 58 ، 65 ، 112 ،
121 ، 122 ، 162 ، 178 ، 214 ،
268
- المرنضي ، 42 .

الممالك المسيحية ، 8 .	المسيحية ، 176 ، 190 ، 197
مرتش ، 230	المصالح المرسله ، 184 ، 188 ، 139
مرسية ، 68 ، 72 ، 87 ، 108 ، 109	المسيحية ، 176 ، 190 ، 197
120 .	المنصور محمد بن أبي عامر ، 92
مسكة ، 204	119 ، 135 ، 102 ، 220 ، 235
ملوك الطوائف . 25 ، 26 ، 53 ، 54	المغرب ، 8 ، 10 ، 37 ، 60 ، 64
57 - 59 ، 61 ، 67 ، 71 ، 77	113 ، 116 ، 125 ، 126
80 ، 87 ، 91 - 93 ، 97 ، 111	132 ، 169 ، 161 ، 163 ، 165
126 ، 162 ، 167 ، 176 ، 210	204 ، 250 ، 264 ، 267
218 ، 220 ، 224 ، 230 ، 232	مرسية ، 87 ، 108 ، 109 ، 120
233 ، 238 ، 239 ، 242 ، 249	المغيرة بن عبد الله الناصر ، 84
260 ، 262 - 267 ، 269 ، 281	المغراويون ، 87
262 ، 265 - 267	المشرق ، 161
المنصور محمد بن أبي عامر ، 38	المهني ، 89 ، 170
35 - 40 ، 93 ، 119 ، 125	الموحدون ، 8
192 ، 229 ، 235	مورورو ، 63 ، 248
المصالح المرسله ، 184 ، 188 ، 189	مؤمل ، 81 ، 7 ، 182
مصر ، 60 ، 204	مؤنس ، حسين ، 218 ، 219 ، 220

ن

الناصر سليمان بن الحكم ، 34	نقل الجماعة عن الجماعة ، 196
الناصر محمد بن سليمان ، 41	137

ص

صبيح أم هشام الزياتي ، 38-38 ،
الصقالية ، 29 ، 30 ، 176 ،
صقلية ، 189 ، 176

ط

طرطوشة ، 285 ،
طلحظة ، 74 ، 121 ، 124 ، 170 ،
طنجة ، 183 ، 171 ، 177 ، 220 ، 226 ، 235 ،

ع

عادر بن الفتح حاكم مالقة ، 42 ،
العالمي ، مجاهد ، 30 ،
عبد الرحمان بن أبي عامر ، 39 ،
عبد الملك بن أبي عامر ، 38 ، 40 ،
عبد الصمد ، أبو بكر ، 184 ،
العرب ، 29 ، 30 ، 176 ، 280 ،
العراق ، 60 ،
عمل أهل المدينة ، 184 ،
عياض القاضي ، 132 ، 136 ،

غ

غالب بن عبد الرحمان ،
غارسية ، 38 ،
غرناطة ، 31 ، 32 ، 43 ، 59 ،
72 ، 89 ، 94 ، 101 ، 108 ،
124 ، 166 ، 171 ، 173 ، 176 ،
210 ، 225 ، 236 ، 238 ، 251 ،
254 ، 270 ،

ف

فانيث ، الفار ، 74 ، 252 ، 255 ، 265 .
فرنانفو ، ملك قشتالة ، 88 ،
الفاطميون ، 87 .
قشتالة ، 87 ، 168 .
فائق ، 84 .
سرسطة ، 168 .

ق

القرآن ، 184 ، 186 .
قرمونة ، 58 ، 59 ، 80 ، 176 ، 200 .
القريش ، أبو مصعب ، 183 .
القلمية ، الفقيه ، 286 .
القضاة المالكي ، أبو عمر ، 204 .
قشتالة ، 89 ، 125 ، 206 ، 238 ،
289 ، 249 ، 250 ، 252 ، 254 ، 268 .
القيسي السبتي ، أبو بكر أحمد ، 204 .
القيسي ، أبو بكر محمد ، 159 .
القرآن ، 184 ، 186 .
قرمونة ، 58 ، 59 ، 80 ، 176 ، 200 .
248 ، 241 ، 283 .
قرطبة ، 7 ، 26 ، 32 ، 36 ، 39 ،
40 ، 42 ، 43 ، 44 ، 47 ، 51 .
60 ، 61 ، 66 ، 99 ، 90 ،
91 ، 92 ، 101 ، 108 ، 109 .
117 ، 189 ، 169 ، 167 ، 169 .
178 ، 210 ، 212 ، 213 ، 214 .

س

سانتياغو دي كومبوستيلا ، 87 ،
سانشو ملك نافارا ، 88 .
267 .
ساحكون ، 254 .
سان فيسنتي ، 87 .
سبنة ، 204 .

سرقسطة ، 219 ، 225 ، 265 .
سليمان ، 89 ، 40 ، 170 .
سير ، أمير ، 121 .
سيسناندو دافيديث ، 74 .
السيد رودريغو ديباث ، 126 .
268 ، 285 ، 284 .

ش

شذونة ، 81 ، 109 .
شويش ، 48 .
شلي ، 80 ، 249 .

س

سشام الثاني ، 84 ، 85 ،
37 - 43 ، 54 ، 56 ، 67 ، 92 .
110 ، 192 ، 243 .

و

الوزراء الكتاب ، 96 - 96 .

ي

ياجرة ، 240 .
اليفرنخي ، أبو نصر قنوح ، 248 .
اليهود ، 81 ، 72 ، 74 ، 161 ،
176 ، 174 ، 190 ، 197 ، 208 ، 262 .
يوسف بن تاشفين ، 26 ، 81 ،
32 ، 67 ، 68 ، 69 ، 71 ، 72 ،
74 ، 82 ، 109 ، 120 ، 121 ، 126 .
168 ، 174 ، 175 ، 183 ، 258 ، 269 .

تصحيح الاخطاء المطبعية

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
19	11	لتاريخ	بتاريخ
29	9	المضطرب	المضطرب
44	12	بن عباد	ابن عباد
86	1	مقرر	مقررا
87	6	بن عباد	ابن عباد
97	16	أن	إن
98	8	أن	إن
109	4	الوزراء* عانوا	الوزراء* اذعن عانوا
103	7	صلة	صلة وصل
107	12	وكان الموالي	وكان الوالي
110	14	أمر	أمرا
111	2	الانتاج	الانتاج
112	6	تأخذ	تأخذ
113	9	النظام	النظام
118	20	فالمضرورة	فالمضرورة
113	21	جاري	جار
116	1	نواحي	نواح
124	12	اعتقال	اعتقال
129	9	اسحاق ابن شعبان	اسحاق بن شعبان
129	12	ابن رازوية	بن رازوية

الصفحة	السطر	المقالات	الاصواب
139	22	ابن الولاد	بن الفهاد
136	10	دهائك	دهائك
140	11	المحافظة	المحافظة
150	6	بطريقة	بطريقة
156	15	الايجابة	الايجابة
159	3	فراحي	نواح
169	4	اهتئات	اشغيات
169	6	خمسة	خمسة
172	4	الجرية	الجزية
176	12	ابن حموه	بن حموه
180	4	عالي	عال
191	6	مرکز حناري هام	مرکز حناري هام
194	10	محض	محضة
196	7	تشتملهم	تشتملهم
202	15	نواحي	نواح
204	12	جدورهم	جدوره
221	6	نففل عن	نففل
230	1	بافضا	بافضا

الخشنة . إلى إضعاف ثقة الدول الطائفية بها . وكان الهدف الأول من تقوية سلطة إشبيلية وسيادتها لا يقتصر على حدود معينة . بل أصبح شعارها الشاغل دلاً من إنتاجها لسياسة واضحة تستهدف منافع بعيدة المدى . بل كان من المحتمل أن تصبح الرزاق والحكمة والشرعية من الخصائص التي تميز تلك السياسة التي لم يسطر الاعتبار الكافي لاهدافها ونجاحها في المدى البعيد . فجاء تطور الأحداث ليبرهن على أن شكل الاعتراف الذي رغبت فيه إشبيلية بإنتاج مفرد كان في نهاية الامر مناهضاً لمصالحها الرئيسية وهي العمل من أجل البقاء . ومع ذلك فإن شرعية مطالبة إشبيلية بالاعتراف الخارجي أمر غير مشكوك فيه ، بل إن الطموح المفرط الذي غذاه كتاب يساعد سياسة إشبيلية الخارجية والاسلوب السطحي الذي استعمل في تنفيذها . فأدى في النهاية إلى التقليل من قيمتها .

3 - دور الحرب في سياسة إشبيلية الخارجية

(1) الحملات العسكرية التخريبية

كان التعسف العسكري وسيلة مباشرة وفعالة في تطبيق سياسة إشبيلية الخارجية خلال الفترة التي لم تتردد فيها الدول الطائفية القوية في فرض نفوذها على الطوائف المستضعفة . وقد اعتمدت هذه الوسيلة من طرف دول الطوائف عموماً ، عندما اعتمدها ألفونسو السادس ويوسف بن تاشفين أيضاً . واتخذ التعسف أشكالاً مختلفة باختلاف الظروف والامتناع . وبصرف النظر عن تعدد تلك الظروف أو بساطتها الظاهرية فقد ظل التعسف العسكري أداة حيوية وجوهرية لتنفيذ السياسة الخارجية .

هذا الكتاب

يحتوي الكتاب على أربعة أقسام، يتعلق أولها بموضوع تحليل أسباب نهوض وانحيار دولة بني عباد الأشبيلية مع التركيز على فترة كل حاكم على حدة .

أما القسم الثاني من الكتاب فيتعلق بدراسة النظم السياسية والقضائية والعسكرية لدولة بني عباد الأشبيلية مع مقارنة النظام السياسي لهذه الدولة الطائفية مع نظام دولة بني أمية بالاندلس والمفارقات بينهما بالإضافة إلى إعطاء أهمية خاصة لموضوع هيمنة وانتشار المذهب المالكي في الاندلس ، وذلك ضمن رؤيا ومنهج يختلفان عن المناهج المتبعة لحد الآن في مثل هذه الدراسات .

ويعالج القسم الثالث المجتمع الأشبيلي في تركيبه وخصائصه الاجتماعية والاقتصادية .

أما القسم الرابع والآخر من الكتاب فيركز على دراسة وتقييم العلاقات الخارجية لدولة بني عباد الطائفية ، على النطاقين النظري والواقعي ، وفي إطار هذه العلاقات بصورة خاصة مع بقية دول الطوائف الاندلسية ، ومع مملكة ليون وقشتالة ، ثم مع المغرب .

رقم الابداع القانوني : 995 | 1.983

التمسك 50 درهماً

مطابع هـ الشويخ - تطوان